كتاب

آثار ابن باديس

الجزء الثاني من

المجلد الثاني

مقالات اجتماعية تربوية أخلاقية دينية سياسية

اعداد وتصنيف

دكتور عمار الطالبي

الشركة الجزائرية

لصاحبها

الحاج عبد القادر بوداود

24 ، شارع باب عزون - الجزائر

الشركة الجزائرية
لصاحبها
الحاج عبد القادر بوداود
24 ، شارع باب عزون ـ الجزائر

الطبعة الأولى ١٣٨٨ هجرية = ١٩٦٨ ميلادية
الطبعة الثانية ١٤٠٣ هجرية = ١٩٨٣ ميلادية
الطبعة الثالثة ١٤١٧ هجرية = ١٩٩٧ ميلادية

آثار ابن باديس

٤

آثار ابن باديس

٤

العلّامة الثائر الإمام عبد الحميد بن باديس

رائد النهضة الحديثة بالمغرب العربي
وقائد الحركة الإصلاحية ومؤسسها بالجزائر

هذا هو الجزء الثاني من المجلد الثاني والأخير من كتاب آثار ابن باديس ، وهو يشتمل على المقالات التالية : التاريخ ، العرب فيالقرآن ، التراجم ، القصص الديني والتاريخي ، الرحلات ، تطور الشهاب ، الصلاة على النبي ، الفقه والفتاوى .

وقد قامت لجنة من كبار علماء دمشق بالاشراف على تصحيح هذا الكتاب القيِّم اثناء طبعه ، ليأتي سليماً من الأخطاء ، خالياً من كل تحريف ، وذلك بالنظر لأهميته البالغة في النهضة الاسلامية العربية الحديثة في المغرب الاسلامي .

آثار ابن باديس

قسم التاريخ

تبليغ الرسـالة

تلخيص المحاضرة التي القاها صاحب هذه المجلة بنادي الترقي بالعاصمة في حفـلة المولد الشريف

مقـدمة :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً الى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيراً وَلا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً » •

أيهـا السادة . الحياة ماض ومستقبل وحال • وما أقل حظنا من الحياة لو حظنا منها هو الحال خاصة ، ذلك الجزء اليسير من الزمن الذي ما يجيىء حتى يذهب ، ولا يثبت حتى يزول ، ولكن حظنا من الحياة عظيم بالماضي المديد ، والمستقبل البعيد ، بالماضي اذا كانت لنا ذكريات نشعر بها ، وبالمستقبل اذا كانت لنا آمال نتوق الى تحقيقها ، وانه لتتسع حياة الشخص الماضية بقدر ما تمتد ذكرياته في سوالف الأزمان وتمتد آماله في غابرها ، حتى يكون كأنه ــ وهــو شخص واحــد ــ قد عاش اعمــار الأجيال والامم من السابقين واللاحقين • فالذكريات والآمال ــ أيها السادة ــ هي مقياس الأعمار •

ذكريات الشخص وآماله في حياته الخاصة لا تجعله يتجاوز نطاق ما قدر له أن يعيش من أمد محدود قصير جــداً بالنسبة الى عمــر

التاريخ الطويل • ولكن الذكريات والآمال الخارجة عن حياته الشخصية هي التي تجعله كأنه قد عاش الدهور الطوال •

فنحن في حفلنا هذا بذكرى المولد النبوي الكريم التي هي الثانية بعد الاربعمائة والالف من ولادة محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نشعر بالحياة الاسلامية في هذه القرون كلها حتى كأننا عشناها فعلاً •

ونريد أن نحلي شعورنا بهذه الذكرى بذكر ناحية من نواحي حياة هذا النبي الكريم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ليبعث فينا العلم بتلك الناحية آمالاً عظيمة في المستقبل الاسلامي القريب والبعيد ويدفعنا الى تحقيق تلك الآمال بما استطعنا ، فنكون كأننا نعيش مع الأجيال الآتية من أبناء الاسلام •

المقصد :

الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ جاء بالرسالة من الحق لهداية الخلق فكيف بلغ هاته الرسالة ، هاته هي الناحية التي نريد الكلام عليها •

فصل علمي :

قد بلغ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ رسالة ربه بالقول والعمل الى آخر رمق من حياته ، وكان تبليغه كما أمره ربه على درجات حسب التدريج الذي هو من سنة الله في خلقه وفي شرعه •

الدرجة الاولى الامر بالتبليغ المطلق :

بدأ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من الوحي بالرؤيا الصادقة التي هي تلقي الروح من عالم الملائكة عند تخليها بعض التخلي عن الجسد في حالة النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق

الصبح ، ثم جاءه الملك بالوحي ، فكان أول ما أنزل من القرآن قوله تعالى :

« إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الانسَانَ مِنْ عَلَقٍ إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ عَلَّمَ الانسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .

ولم يكن في هذا أمر بالتبليغ لغيره . فرجع الى بيته فاعلم زوجته خديجة رضوان الله عليها فصدقته ، وقوته بذكر صفاته العالية وأخلاقه الكريمة الطيبة التي لا يجازي الله صاحبها الا بالكريم الطيب وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان ، فقالت له : فوالله لا يخزيك الله أبداً ، فوالله انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق . فكانت هي أول مصدق له . ثم فتر الوحي ، ثم رأى الملك المرة الثانية ولم يكن قد اعتادت بشريته رؤية الملائكة ، فرجع الى أهله يقول لهم : دثروني دثروني ! فدثروه أي غطوه بثياب فأنزل عليه قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ » .

فكان هذا أول امر بالتبليغ والانذار فكان تبليغه لزوجته وهي مصدقة له وكان يبلغ الفرد والفردين وكان ابو بكر الصديق أول من آمن من الناس ، وكان علي كرم الله وجهه في كفالته مستمسكاً بأذياله ما عرف باتباعه فكان من أول من آمن به .

الدرجة الثانية الامر بتبليغ العشيرة :

ثم أمر بانذار قومه قريش بقوله تعالى : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ » فخرج حتى صعد الى الصفا ثم نادى يا صباحاه وكانت

العرب اذا دعا الرجل بياصباحاه اجتمعت اليه عشيرته • **فاجتمعت اليه** عشيرته ، فاجتمعت اليه قريش عن بكرة أبيها ، فقال لهم : **ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل وان العدو مصبحكم او ممسيكم ، اكنتم مصدقين ؟** قالوا : ما جربنا عليك كذبا•قال : **فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .** ثم قال : **يا آل كعب بن لؤي ، يا آل مرة ابن لؤي ، يا آل قصي ، يا آل عبد شمس ، يا آل عبد مناف ، يا آل هاشم، يا آل عبد المطلب ، يا صفية ام الزبير** – وهي عمته – **يا فاطمة بنت محمد • انقذوا أنفسكم من النار اني لا املك لكم من الله شيئا •** فكانت هذه دعوته العامة لقومه من قريش •

الدرجة الثالثة الامر بتبليغ العرب حوالي مكة :

ثم كان أمره بأن ينذر العرب خارج مكة بمثل قوله تعالى :

« وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا » •

فكان يعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج الى أن كانت بيعة العقبة وايمان الانصار •

الدرجة الرابعة الامر بالتبليغ العام لمن في عصره ولمن بعدهم :

ثم أمر بالتبليغ العام بمثل قوله تعالى :

« قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً »

فكاتب الملوك خارج جزيرة العرب كسرى وقيصر والمقوقس وغيرهم• وقد بلغ من جاء بعده من الامم بما ترك لهم من كتاب الله لقوله تعالى :

« لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ » •

أي لأنذركم بالقرآن وانذر من بلغ القرآن فعم ذلك كله من بلغه •

فصل عملي :

كل من آمن بمحمد ــ صلى‌الله عليه‌وآله‌وسلم ــ فهو مأمور بتبليغ رسالتــه على الخصوص والعموم ، لمقتضى ما نطالب به من التــأسي والاقتداء به ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ولقوله تعالى :

« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إلى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي » .

فجعل من اتبعه داعيا معه الى الله على بصيرة .

ولقد عرف السلف هذا فكانوا دعاة الى الله بأقوالهم وأعمالهم المطابقة لها ، حتى انتشر الاسلام في أقل من ربع قرن في المعمور . أما نحن فقد قصرنا في هذا الواجب غاية التقصير ، فتركنا تبليغ الدين الى الأمم ، حتى لنخشى أن يكون من أوزارنا بقاء الامم الضالة على ضلالها لتقصيرنا في التبليغ اليها . وأكبر من هذا تقصيرنا في تبليغ الدين الى أنفسنا باهمالنا جانب التعليم الديني والوعظ والارشاد .

واليوم وقدعرفنا كيف بلغ النبي ــ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ــ رسالة ربه ، فلنعقد العزم على الاجتهاد في التبليغ ، ولنبدأ بأهلينا ومن الينا ، ولنفكر ثم لنعمل فيتبليغ الدين كما جاء به النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ الى أمة الاجابة وأمة الدعوة. وليكن تفكيرنافي هذا واهتمامنا به ثمرة احيائنا لهذه الذكرى الكريمة ، وعلمنا بهذا النزر من حياة ذلك النبي الكريم ، ولنا ــ بعد عون الله تعالى ــ من الايمان والمحبة فيه ما يعيننا على ذلك ويقوي أملنا فيه ويبلغنا اليه .

الخاتمة :

أيها السادة قد عدنا من هذه الذكرى بمسألة تبليغ الرسالة ، وعدنا بأمل تبليغ الهداية ، وقد انبثق من هذه الذكرى في صدورنا نور ،

وجددت منها في قلوبنا قوة • ولن تستطيع ظلمات ، ظلم الحياة ، وان كثفت ، أن تطفيء ذلك النور ، ولن تستطيع نكبات الزمان وان جلت أن تبطل تلك القوة • أبداننا للأيام فلا بد لها من تصرفاتها • أما قلوبنا فهي لنا ، لنا مؤمنة مطمئنة بدين الله ومحبة محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ • وان قلوبا وضعنا فيها اسم الله واسم محمد لهي بمأمن من عمل الظالمين وكيد الخائنين • فجددوا نورها وقوتها بمثل هذه الذكرى ، واعملوا لتحقيق ما تحييه فيكم الذكريات من أمل ورجاء ، واقصروا أعمالكم وجملوها بالاحسان والتقوى • إنَّ اللهَ مَعَ الَّذينَ اتَّقَوْا والَّذينَ هُمْ مُحْسِنونَ (1) •

(1) ش : ج ٩ ، م ٦ ، ص ٥٣٥ ـ ٥٣٩
غرة جمادى الاولى ١٣٤٩ هـ ـ اكتوبر ١٩٣٠

محمـــــد

صلى الله عليـه وآله وسلم

رجل القومية العربية

لا يستطيع أن ينفع الناس من أهمل أمر نفسه. فعناية المرء بنفسه — عقلا وروحاً وبدناً — لازمة له ليكون ذا أثر نافع في الناس على منازلهم منه في القرب والبعد ، ومثل هذا كل شعب من شعوب البشر لا يستطيع أن ينفع البشرية ما دام مهملا مشتتا لا يهديه علم ، ولا يمتنه خلق ، ولا يجمعه شعور بنفسه ولا بمقوماته ولا بروابطه . وانما ينفع المجتمع الانساني ويؤثر في سيره من كان من الشعوب قد شعر بنفسه فنظر الى ماضيه وحاله ومستقبله ، فأخـذ الاصول الثابتة من الماضي . واصلح من شأنه في الحال ، ومد يده لبناء المستقبل يتناول من زمنه وأمم عصره ما يصلح لبنائه معرضا عما لا حاجة له به أو ما لا يناسب شكل بنائه الذي وضعه على مقتضى ذوقه ومصلحته .

فمحمد — صلى الله عليه وآله وسلم — وهو رسول الانسانية ، كانت أول عنايته موجهة الى قومه وكانت دعوته على ترتيب حكيم بديع لا يمكن أن يتم اصلاح انسانيا أو شعبيا الا بمراعاته . فكان « أول دعوته — صلى الله عليه وآله وسلم — لعشيرته لقولـه تعالى : « وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ » فلما نزلت صعد الصفا ثم نادى « يا صباحاه » — وكان دعوة الجاهلية اذا دعاها الرجل اجتمعت اليه عشيرته — فاجتمعت إليه قريش عن بكرة أبيها ، فعمَّ وخصَّ فقال : **ارايتكم لو اخبرتكم ان العدو مصبحكم اكنتم مصدقي** . قالوا ما جربنا

عليك كذبا . قال : **فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . يا بني كعب ابن لؤي يا بني مرة بن لؤي يا آل عبد شمس يا آل عبد منـاف يا آل هاشم يا آل عبد المطلب يا صفية يا فاطمة ، سلوني من مالي ما شئتم ، واعلموا ان أوليائي يوم القيامة المتقون ، فان تكونوا يوم القيامة مع قرابتكم فذلك . وإياي ، لا يأتي الناس بالاعمـال وتأتون بالدنيا تحملونها على اعنـاقكم فـاصد بوجهـي عنكم فتقولون يـا محمـد فاقول هـكذا** ـ وصرف وجهــه الى الشق الآخر ـ **غير ان لكم رحما سابلها ببلالها** .. ثم وجه دعوته الى بقية العرب لقوله تعالى : « لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ » وهم عامة العرب فكان يعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج وما يتصل بها من أسواقهم ثم عمم دعوته لقوله تعالى : « لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ » فكاتب ملوك الأمم وقد عمت دعوته العرب وتهيأ أمرهم لعموم دخولهم في الاسلام وكان ذلك أيام هدنته مع قريش قبيل فتح مكة . ثم تجد أكثر السور المكية قد وجه فيها الخطاب الى قريش والى العرب وعولجت فيه مفاسدهم الاجتماعية وضلالاتهم الشركية وما كان منهم من تحريف وتبديل لملة ابراهيم فكان أول الاصلاح متوجها اليهم ومعنيا بهم حتى ينتشلوا من وهدة جهلهم وضلالهم وسوء حالهم وتستنـير عقولهم وتتطهر نفوسهم وتستقيم أعمالهم فيصلحوا لتبليغ دين الله وهدى رسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ للامم بالقول والعمل . ثم لاجل أن يشعروا بأن القرآن هو كتاب هداية لهم كلهم وان الرسول لهم كلهم ، أنزل القرآن على سبعة أحرف ، فعم جميع لهجاتهم ، وكان النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يخاطبهم بتلك اللهجات وينطق بالكلمات منها ليس من لهجة قريش . وكان في هذا ما أشعرهم بوحدتهم بالتفافهم حول مركز واحد ينتهون كلهم اليه ويشتركون فيه . وقد نبه على هــذا المعنى قوله تعالى : « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ

وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ » فأخبره ان القرآن شرف له ولقومه ــ نزل بلغتهم ونهض بهم من كبوتهم وأخرجهم من الظلمات الى النور وهيأهم لهداية الامم وانقاذها من الهلاك وقيادتها لعزهـا وسعادتها ــ وانهم يسئلون عن هذه النعمة • يقول هذا ليعملوا بالقرآن ويعلموا ان شرفه انما هو للعالمين •

على ان العرب رشحوا لهداية الامم ، وان الامم التي تدين بالاسلام وتقبل هدايته ستتكلم بلسان الاسلام وهو لسان العرب فينمو عـدد الأمة العربية بنمو عدد من يتكلمون لغتها ، ويهتدون مثلها بهـدي الاسلام • علم هذا فبيَّن أن من تكلم بلسان العرب فهو عربي وان لم يتحدر من سلالة العرب ، فكان هذا من عنايته بهم لتكثير عددهم لينهضوا بما رشحوا له • بين هذا في حديث رواه ابن عساكر في تاريخ بغداد بسنده عن مالك الزهري عن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال : (جاء قيس بن مطاطية الى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي فقال : هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل « يعني النبي صلى الله عليه وسلم » فما بال هذا « يعني الفارسي والرومي والحبشي ما يدعوهم الى نصره وهم ليسوا عربا مثل قومه » فقام اليه معاذ بن جبل ــ رضي الله عنه ــ فأخذ بتلبيبه « ما على نحره من الثياب » ثم أتى النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فأخبره بمقالته فقال النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ مغضبا يجر ردائه « لما أعجله من الغضب » حتى أتى المسجد ثم نادى : الصلاة جامعة « ليجتمع الناس » ، وقال ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : **« ايها الناس ، الرب واحد والاب واحد ، وان الدين واحد ، وليست العربية باحدكم من اب ولا ام وانما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي»** فقام معاذ فقال : فمـا تأمرني بهـذا المنـافق يا رسول الله ؟ قال : **« دعه الى النار »** فكان قيس ممن ارتد في الردة فقتل •

تكاد لا تخلص أمة من الأمم لعرق واحد وتكاد لا تكون أمة من الأمم لا تتكلم بلسان واحد فليس الذي يكون الأمة ويربط اجزاءها ويوحد شعورها ويوجهها الى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة ، وانما الذي يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد : ولو وضعت أخوين شقيقين يتكلم كل واحد منهما بلسان وشاهدت ما بينهما من اختلاف نظر وتباين قصد وتباعد تفكير ، ثم وضعت شامياً وجزائرياً ــ مثلا ــ ينطقان باللسان العربي ورأيت ما بينهما من اتحاد وتقارب في ذلك كله ، لو فعلت هذا لأدركت بالمشاهدة الفرق العظيم بين الدم واللغة في توحيد الأمم .

فانظر بعد هذا الى ما قرره هذا النبي الكريم ، رسول الانسانية ورجل القومية العربية ، في الحديث المتقدم فقضى بكلمته تلك على العصبية العنصرية الضيقة المفرقة ، فنبه على تساوي البشر في انهم كلهم مخلوقون لله فربهم واحد وانهم كلهم من عنصر واحد فأبوهم آدم واحد ، وذكر باخوة دين الاسلام دين الاخوة البشرية والتسامح الانساني ، ثم قرر قاعدة عظمى من قواعد العمران والاجتماع في تكوين الامم . ووضع للامة العربية قانونا دينيا اجتماعيا طبيعيا لتتسع دائرتها لجميع الامم التي رشحت لدعوتها الى الاسلام بلغة الاسلام . وقد كان ذلك من أعظم ما سهل نشر الهداية الاسلامية وتقارب عناصر البشرية وامتزاجها بعضها ببعض حتى كان ثمرة اتحادها وتعاونها ذلك التمدن الاسلامي العربي الذي أنار العالم شرقا وغربا ، وكان السبب في نهضة الغرب والاساس لمدنية اليوم . وبذلك أيضا كانت الامة العربية اليوم تجاوز السبعين مليونا عدا لا تخلو منهم قارة من قارات المعمور .

كوّن رسول الانسانية ورجل القومية العربية أمته هذا التكوين المحكم العظيم ووجهها لتقوم للاسلام والبشرية بذلك العمل الجليل . فلم يكونها لتستولي على الامم ، ولكن لتنقذهم من سلطة المتسولين

باسم الملك أو باسم الدين • ولم يكونها لتستخدم الامم في مصالحها ، ولكن لتخدم الامم في مصالحهم • ولم يكونها لتدوس كرامة الامم وشرفها ولكن لتنهض بهم من دركات الجهل والذل والفساد ، الى درجات العز والصلاح والكرامة • وبالجملة : لم يكونهم لانفسهم بل كونهم للبشرية جمعاء • فبحق قال فيهم الفيلسوف العظيم غوستاف لوبون : لم يعرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب ، نعم لانهم فتحوا فتح هداية لا فتح استعمار ، وجاءوا دعاة سعادة لا طغاة استعباد •

هذا هو رسول الانسانية ورجل القومية العربية الذي كان له الفضل ـ باذن الله ـ عليهما ويشهد المنصفون من غير العرب وغير المسلمين له بهذا الفضل ويتغنى العرب غير المسلمين بذكره • وكم دبجت اقلام الكتاب والشعراء من اخواننا نصارى العرب بالشرق من حلل البيان في الثناء عليه والاشادة بفضله •

هذا هو رسول الانسانية ورجل الامة العربية الذي نهتدي بهديه، ونخدم القومية العربية خدمته ، ونوجهها توجيهه ، ونحيا لها ونموت عليها ، وان جهل الجاهلون ••• وخدع المخدوعون ••• واضطرب المضطربون •••

والى أعتابه الكريمة تتقدم بهذه الكلمة في مولده الشريف ، الذي هو عيد الاسلام والعروبة والانسانية كلها • عاد الله فيه باللطف والرحمة على الجميع [1] •

---

(١) ش : جـ ٣ ، م ١٢ ، ص ١٠٣ ـ ١٠٧
غرة ربيع الاول ١٣٥٥ هـ ـ جوان ١٩٣٦ م .

شكوى الجزائر وبلواها

منذ ستة واربعين سنة

عثرنا في أوراق عمنا السيد حميدة بن باديس الذي كان نائبا عماليا عن قسنطينة في عهد من حياته ، على تقرير عن الحالة بالجزائر في ذلك العهد ، حرره هو بالعربية وأمضاه معه زملاؤه بالمجلس العمالي السادة : محمد الطاهر بن الحاج علي معيزة ، عمار بن احمد ، وذو امضاء لم أفكه . وترجمه م. ميرسي تحت رقم ١٦٫٢٤٥ وقدمه لاحد رجال السينا الذي قدم للبحث عن الحالة . ونظرة فيه تدلنا على المظالم الثقيلة التي اثقلت كاهل الامة من قديم ، وعلى اجتهاد رجال من نوابها في ذلك العهد في اظهار حقيقة حالها للحكومة الفرنسية العليا دون مبالاة ولا محاباة ، وعلى ان الحالة كانت معلومة عند الحكومة الفرنسية تمام العلم دون حاجة الى تتابع الوافدين على الجزائر للبحث والتنقيب .

وقد رأينا ـ بمناسبة ما تقوم به لجنة البحث البرلمانية اليوم في الوطن ـ أن ننشره على القراء كوثيقة تاريخية يعتبرون بها ويقارنون بين الماضي والحاضر .

• • •

لقد جاءت من فرنسا جماعات وأفراد من وزراء ونواب وكبار موظفين مرات عديدة من ذلك العهد البعيد الى اليوم . تعاقبوا كلهم على البحث عن الجزائر وحالة المسلمين ولكن بدون جدوى ولا تخفيف للبلوى ولا أدل على ذلك من الحالة التعيسة التي بلغنا اليها اليوم ،

من جهل وفقر وسقم وقهر وظلم واذلال • لا جرم ان حصل للجزائر ـ بعد هذا كله ـ يأس وقنوط من بحث كل باحث ووعد كل واعد ، بل ومن الحكومة الفرنسية نفسها • وما رجع للنفوس شيء من الامل ضئيل الا يوم جاءت هذه الحكومة الشعبية وأعلنا نحن ثقتنا بها للناس من أول يوم سعينا في تأسيس المؤتمر الاسلامي الجزائري وذلك لما نعرفه في أحزابها من احترام ما ، للامم المرتبطة بفرنسا ، واتساع حرية في الفكر والانسانية ، ولما رأينا من أخذها في التفكير في شأننا والحديث عنا •

وبتلك الثقة وبذلك الامل تلقت الامة الجزائرية لجنة البحث البرلمانية التي تجول اليوم في انحاء الوطن • وهي ـ والحق يقال ـ لجنة ممتازة عن كل لجنة كما امتازت الحكومة الشعبية عن كل حكومة• فقد تقصت في البحث واتصلت بجميع الناس وتباعدت عن المظاهر الادارية وقابلتها الامة بكل ما يعينها على مهمتها فأطلعتها على جميع نواحي بؤسها وشقائها • مرتجية فيها ان تطلع فرنسا : شعبها ونوابها وحكومتها على ذلك كله حاثة للجميع على المبادرة بالعلاج الحاسم لتلك الادواء كلها من جميع النواحي كلها ، مبينة للجميع ان كل محاولة للتسكين بغير الدواء الحقيقي لا تزيد الادواء الا استفحالا ، ولا الحالة الا ارتباكا واضطرابا الى عواقب سيئة لا يعلمها الا الله •

• • •

وهذا نص المقال الذي ذكرناه :

الحمد لله

لما بلغنا اشتغال الدولة الفرنسية بتأسيس أمور المسلمين سكان بر الجزائر واصلاح حالهم وجلب المنفعة لهم ودفع المضار عنهم وتحقق عندنا ذلك بقدوم المعظم السيد فرانك شفو أحد الاعضاء بالسينا لبلدنا

ودعائه إيانا للحضور لديه بواسطة السيد البريفي وحضرنا نحن وجماعة بيرو الكونساي جنرال وسمعنا ما وقع من الكلام من أولئك السادات وعرفنا من لسان السيد السنتور المذكور المسائل التي نحن مسؤولون عنها ومحتاجون للجواب عليها وطلبنا منه أن يأذن لنا بالجواب عنها بالكتابة وأباح لنا ذلك على سبيل الاطلاق بحيث يمكننا أن نتكلم فيها أو في غيرها من الحقوق وكنا نحن وكلاء على عامة المسلمين سكان عمالة قسنطينة ، وكان الواجب بطريق الشرع والسياسة على الوكيل أن يقوم بحق موكله بالجد وغاية الجهد ولا يبالي بقول قائل ولا بلوم لائم ، فشرعنا حينئذ في التأمل والتدبر فيما يجب في الجواب عن كل مسألة بكلام مختصر مفيد . ولا شك انعقول أربابالدولة الراسخة تفهم شرحه وايضاحه فنسأل الله ــ تعالى ــ الاعانة والالهام للصواب ونقول المسألة الاولى حال المسلمين مع الكولون الفرانسويين فالجواب عنها ان المسلمين سكان اقليم الجزائر مثلهم كمثل الاغنام التي رعاتها عاجزون عن القيام بها على الوجه الاكمل وسبب ذلك ان الحكام الآن مربوطة أيديهم على صرف الأموال في المصالح العمومية ولا يقدرون أن يحدثوا شيئا الا بمساعدة وموافقة من أعضاء الديوان العـام في العمالة المعبر عنه بالكونساي جنرال وانه لا يكون فيهم الا الخمس أو السدس من المسلمين وان الكثير من الاعضاء الفرنسويين لا يكترثون بعامة المسلمين ولا يبالون بمنافعهم ويعز عليهم صرف المال في مصالح المسلمين الخاصة بهم فلا يكون حينئذ للمسلمين ناصر ولا معين لان كلمة اخوتهم المسلمين في الكونساي جنرال كل شيء ومع هذا فـان الكونساي جنرال يطلب المرة بعد الاخرى ابعاد المسلمين عنهمواخراجهم من بينهم . نعم قد يكون بعض الاعضاء الفرانسويين راغبا في مصالح المسلمين ولكن لا يجد سبيلا لذلك لقلتهمبالنسبة لغيرهم وربما لاتسعهم مخالفة اخوانهم ، ومثلهم الحاكم فانه مربوط اليد علىالتوصل الىجانب

المنفعة للمسلمين والاصل في ذلك كله ان الكثير من الكولون سكان اقليم الجزائر ضد للمسلمين ولا يحبون لهم الا الضعف والتلاشي والهلاك ووكلاؤهم في الديوان العمومي يسيرون على حسب غرضهم وقصدهم • وأما الحكام مع كونهم مربوطة أيديهم كما ذكرنا فاذا ظهرت منهم الحمية على المسلمين [1] توجه لهم الكولون بالإذاية والذم في الجرنالات وغيرها فمنهم من يصبر لذلك ومنهم من يتقلق ويكره وظيفته ، ويرغب في الرجوع لفرنسا وها نحن نبين سبب حقد بعض الكولون أو الكثير منهم على المسلمين وذلك السبب أمر باطني يعتقدونه في عقولهم ويظنون ان المسلمين منتصبون دائما لايقاع الاذاية لهم والاضرار بهم في أموالهم أو ذواتهم ويزعمون ان دين الاسلام هو الذي يحرضهم على ذلك وخصوصا القرآن وقد رأينا في بعض الجرنالات كلاما منسوبا لبعض السادات في السينا يوافق ما يعتقده الكولون في جانب المسلمين من ان القرآن يحرضهم على الجد في إذاية الفرنسويين وذلك غلط صراح • اما أولا فان الركن الاعظم في الدين الاسلامي الصلاة خمس مرات بين اليوم والليلة وهي لا تقام الا بقراءة القرآن ، والا تكون باطلة فهذا هو السبب الذي أوجب على المسلمين قراء القرآن وتعليم أولادهم له في المكاتب ليحصلوا بذلك معرفة القلم العربي ومعرفة اللسان العربي الخالص الذي تكتب به الكتب ويتوصلون الى حفظ القرآن وقراءته في الصلوات • وثانيا فان دين الاسلام يوجب على المسلمين الوفاء بالعهود وعدم الغدر والمكر وعدم الفساد في الارض ، ولولا خوف الاطالة لجلبنا النصوص الدالة على صدق قولنا من الكتاب والسنة • ومن جملة ما يقوي الحقد في قلوب الكولون انه مهما تقع من مسلم جناية الا ويسبون بها جميع جنس المسلمين ويعيرونهم بذلك

(1) هذا ما فعلوه مع م. فيوليت تماما ، فما أشبه الليلة بالبارحة (المؤلف)

في الجرنالات وغيرهم ولم يتأملوا في ان ما يفعله أصحاب الجنايات المعروفين بالجرأة هو من طبعهم من زمن ولاية الاسلام ومع ذلك فان كثير ما يصدر منهم يقع على اخوانهم المسلمين.وأيضا فان الجنايات لا يخلو وقوعها في كل بلد وفي كل أمة والحاصل ان الذي يعتقده المسلمون وخصوصا ذوو الخبرة بأحوال الدول ان الدولة الفرنسوية أشد رفقا وحنانة على رعيتها وانها تراعي جنس الخليقة الادمية من غير نظر للمخالفة في الدين أو في الطبيعة وانها ترغب دائما في تبديل طبيعة أهل الغلاظة وجلبهم الى التمدن واتقان الخدمة وحسن العيش والامتزاج والمؤاخاة ولكن لم يتم ذلك المراد لبعضهم عن المسلمين وعدم اطلاعهم على أحوالهم فلو كان الفرنسويون المقيمون باقليم الجزائر مجتهدين فيما هو غرض للدولة ومساعدون للحكام على صرف الاموال في الامور التي تصلح حال المسلمين وتخرجهم من الظلمة الى الضوء وتسدد أحوالهم ولا يبخلون بصرف الاموال في الاسباب التي ينتج منها ما ذكر كاستعمال المدارس ونحو ذلك فلا شك ان قصد الدولة يتم والمرض الذي في المسلمين يزول ويعم الخير والنجاح جميع الناس في أمد قليل فيتخلص مما ذكرنا ان المسلمين ان نالوا خيرا بسبب اجتهاد الحكام وتعبهم في ذلك كما وقع ذلك مرات من بريفي عمالة قسنطينة وخصوصا وقت المسغبة ونزول الجراد فيهم فرحوا واستبشروا واذا نزل بهم أمر مضر صبروا على مصيبتهم التي تؤديهم الى الفقر والخصاصة وسوء الحال ولم يجدوا ناصرا[1] كضيق الارض عليهم وانتزاعها من بعضهم وثقل المغرم عليهم واجراء الاحكام على من تراخى في دفع المغرم أو عجز بالخطية والحبس على حسب ما يقتضيه قانون لانديجينا وغير ذلك مما يطول شرحه وخصوصا واقعة السكيسطر على التهمة بايقاد النار من غير حجة قاطعة فينبغي للدولة أن تتنبه لهذه الامور

(١) انظر هذه المظالم فهي ما لا نزال نقاسيه الى اليوم .

وتتخذ طريقا يتوصل بها المسلمون الى حقوقهم ويستعملون لهم نوابا في المجالس الكبرى على المنوال الذي يتأتى ويمكن على طريق السداد، ونرغب من السيد السينتور ان يتأمل في البرشور الذي كنا استعملناه في شرح[1] حال العرب في تاريخ الرابع والعشرين من افريل عام ١٨٨٢، المسألة الثانية ادخال المسلمين جملة في «الناطور اليزاسيون» واعطاؤهم الحرية الكاملة في اختيار أعضاء النواب عنهم في ديوان العمالة أعني « الكونساي جنرال » . الجواب عن هاته المسألة لا يخفى على أحد ان المسلمين وخصوصا سكان البوادي قليلا ما يكون منهم من يدرك المقصود من كل حاجة وما ينتج منها وكثير هم في غاية الجهل والغلاظة حتى انه اذا أظهر لهم بعض الافراد بحسب عقله الفاسد ان القصد من هذه الحوادث الاضرار بهم وافساد دينهم أو غير ذلك رسخت تلك المقالة في أذهانهم وجزموا بها وحصل لهم غاية الخلق بخلاف الناس العقلاء العارفين للامور فانهم يعلمون ويتحققون ان قصد الدولة من ادخالهم في «الناطور اليزي» توقيرهم واحترامهم وتسهيل الطريق للتوصل الى حقوقهم . لكنهم [2] لا يرغبون في ذلك مراعاة لما يقع من الخلل في مسائل دينية كالميراث والنكاح والطلاق وغير ذلك ، فبهذا السبب لا تجد الا أفرادا قليلة يرغبون في «الناطور اليزي» وأما انتخابهم للنواب عنهم فلا يليق بهم لجهلهم للامور وكونهم[3] مربوطين دائما لكبرائهم من حكام أو غيرهم فينتج حينئذ ان اختيار

---

(١) ش : فهذا النائب وزملاؤه كانوا شرحوا الحالة منذ ثمان سنوات قبل تقريرهم هذا وبقي الحال على الحال ولكنهم كتبوا هذا التقرير لانهم لم يصلوا الى حالة البؤس بعد ما اصبرنا معشر الجزائريين على البلاء وما اطمعنا في معسول الوعود (المؤلف) .

(٢) ش : فرفض الطورين قديم (المؤلف) .

(٣) ش : قد شاهدنا هذا عيانا في عصرنا هذا وان كنا نرجو ان يخف في المستقبل (المؤلف) .

النواب يكونِ على حسب غرض بعض الأفراد لا على حسب غرض العامة وربما يتولد بينهم الهرج[1] •

والمناقشة فبهذا السبب ينبغي أن يكون أمرهم في ذلك مفوضا لحكام الدولة لانهم بحسب الجهل الموجود في كثيرهم والاعتماد في أمورهم على رأي غيرهم صاروا كالمحاجير نعم انما يليق بهم بعد زمان وذلك حين تنتقل طبيعتهم من الغلاظة الى التمدن لكن ينبغي للدولة ان تزيد في عدد نواب المسلمين في «الكونساي جنرال» وأن تجعل لبعض أولئك النواب مدخلا في مجمع «الكونساي سبريور» •واذا أرادت الدولة الجد في نفع المسلمين فينبغي أن تجعل لهم نوابا[2] بالقامرة من أبناء جنسهم ، ان أمكن أو من الفرنسويين ويكون اختيار النواب الفرنسويين بنظر نواب العامة من المسلمين في الكونساي جنرال مع شخص أو شخصين من أعضاء « الكونساي منسبال» المسلمين يعينهم «الكونساي منسبال» من كل «كمون» وينبغي للدولة ادخال أعضاء « الكونساي منسبال» من المسلمين في اختيار « المير » كما كان الامر في السابق [3] لان « المير » وخصوصا في الفلاجات هو الحاكم في كل شيء وكثير من سكان الكمون هناك مسلمون باضعاف فكيف يمنعون من اختيار من يليق بهم ويعرف أحوالهم ؟ المسالة الثالثة : الزام المسلمين بالدخول في خدمة العسكر بالجبر على حسب الترتيب الجاري في فرنسا ، الجواب عن هاته المسألة انها ثقيلة على كافة المسلمين لا يرضون بها ويتألمون منها غاية بحسب ما يراعيه ويخممه كل طائفة منهم وخصوصا الجبر والإلزام وحيث يكون الامر كذلك

(١) ش : قد شاهدنا هذا عيانا في عصرنا هذا وان كنا نرجو أن يخف في المستقبل (المؤلف) .

(٢) ش : فطلب النيابة في البرلمان قديم ليس ابن اليوم (ابن باديس)

(٣) ش : اذا قد كان المسلمون ينتخبون المير ثم منعوا . . (ابن باديس)

فالاولى والأليق فتح البـاب للناس في الدخول في عسكر الطريور فانه يوجد العدد الكثير ويحصل المقصود بالغرض وطيب النفس • نعم قد جرت العادة انـه اذا احتاج جـانب المخزن للاستعـداد للحرب في نازلة يطلب من سكان الاعراش الاعانة في ذلك ويعين على كل فريق عددا معلوما فينقادون لذلك بلا كلفة فغالب الظن اذا طلب جانب المخزن من كل عرش عدداً معلوما يحملون السلاح ويتعلمون الحرب والسفر أمدا معلوما فانهم لا يبخلون بذلك وأيضا فينبغي التأمل في انه اذا صار أهل البادية كلهم حاملين السلاح ربما تقع منهم بعض الفتن، ولو مع بعضهم بعضاً، ألا ترى أن من جملة عوائدهم الفاسدةاذا تشاجر أحد من عرش مع واحد من عرش آخر قامت الفتنة بين الفريقين وتضاربوا بما يجدونه بأيديهم وربما تقع بينهم الموت فانظر اذا صارت أيديهم عامرة بالسلاح مع هاته الطبيعة• المسألة[1] الرابعة : في ذكرمانزل بالعرب من الفقر وسوء الحال بسبب انتزاع الارض منهم وعدم قدرتهم على مفارقتها، والرضىبالبقاء فيها بالكراء الغالي الذي يوقعهمفي ضعف الحال وذهاب المال وذلك ان كثير الكولون لمـا يأخـذون الارض ولايقدرون على خدمتها والقيام بها وتحصيل الفائدة منها يؤول أمرهم الى اكرائها الى العرب بالسعر الذي لايقدرالمكتري علىتحصيلهوتحصيل معاشه والمغرم اللازم له فيتلاشون ويعجزون عن الحرث ولا يجد رب الارض لمن يكريها فيبيعها ان أمكنه أو يتركها وينتقل وبهذا السبب لم تتم عمارة « الفلاجات » كما ينبغي ، ويوجد كثير أراضيها خاليا والعذر محقق للكولون في العجز عن تعمير الارض لان أرضنا وان كان ترابها جيدا فانها معدومة الماء الا في مواضع قليلة وان الحمى لا تفارق النواحي الكثيرة منها وتضر الذوات التي نبتت الارض الجيدة الصحيحة

(١) ش : تأمل في هذه المسألة والتي بعدها الحيل الشيطانية التي يرتكبها الاستعمار لنزع الاراضي من اهلها (ابن باديس) .

كأرض فرنسا وبالجملة فكثير أرضنا بالنسبة لقلة الماء كذات بلا روح • المسألة الخامسة في كيفية تمليك أراضي العرش لاربابها وتمكينهم بالعقود الذين يتوصلون بها الى البيع والرهن وغير ذلك • الجواب عنها ان ذلك الترتيب وان كان فيه عدل وانصاف ووفاء بالحقوق لكنه لا يناسب حال الاعراش وما جرت عليه عادتهم من التداخل في بعضهم بعضا والانتفاع بالمرعى مع بعضهم • ولما وقع ماذكر، أولا: تمزقت أراضيهم ودخلها الاجانب وحصل لهم ضيق في انتفاعهم بأراضيهم ضد ماكانوا عليه سابقا ولا شك ان الاليق بهم لو أبقتهم الدولة على حالهم السابق من الانتفاع بالارض فقط كالحبس ، وليس لهم البيع ويدفعون الحكر الذي هو منزل كالرنط على الكونسيسيون فبذلك يستقيم حالهم ويكونون في غاية الهنا في عيشهم ولا يقدر واحد أن يضر بأخيه ، وأما اذا صار هذا يبيع قطعة من ناحية وهذا يبيع قطعة من أخرى انحلت عليهم أبواب الهرج والاختلاط مع من لا يناسب قصده طبيعتهم • وأيضا ففي بقائهم على حالهم منفعة لجانب البايلك من حيث انهم يدفعون الحكر • المسألة السادسة: قضية الشريعة، الجواب عنها أن الدولة الفرانسوية كانت احترمت شريعة الاسلام وأمرت باجرائها على أصلها ونصبت القضاة في كل ناحية وضبطت أمورهم بقوانين مؤسسة على أحسن ما يكون وأباحت لمن شاء من المسلمين اعادة النظر في خصومته لدى مجالس «الطريبونال» و«الاكور» واستمر الحال على منوال حسن الى ان برز القانون المؤرخ بسبطامبر سنة ١٨٨٦ فردت خصومات المسلمين الى «الجوج» على أن يحكم بينهم بمقتضى شريعتهم • ولم يكن ذلك، وصارت الاحكام تقع بين المسلمين على خلاف شريعتهم ولاجل ذلك يقع كثيرا تكسير أحكام الجوج في مجالس «الطريبونال» اذ تعاد • ومع هذا فلما كانت اشغال الجوج كثيرة ولا ينتصب لحوائج المسلمين الا مرة في الجمعة ويحتاج في فهمه للقضية بواسطة الترجمان الى زمان طويل

ويحتاج أيضا طالب الخصومة الى المصروف الذي يبلغ في كثير من الاوقات الى أزيد من الحق الذي يطلبه ويتعطل طالب الخصومة على اشغاله بسبب تردده الى محل الحكم ، وتأجيل خصومته الى جمعة بعد جمعة، فضاعت الحقوق وصار الناس يأكلون حقوق بعضهم ويقع بينهم بسبب ذلك الحقد والاذاية لبعضهم بعضا . والحاصل ان القانون المذكور أضر بالمسلمين غاية الضرر وخصوصا من جانب ابطال الاسيسورات وعدم تسمية من مات أو عزل وحط درجة من لازال موجودا من المشاركة في النظر الى المشورة فقط مع ان « الاجواج » الفرنسويين محتاجون للاستعانة بهم فاذا أمكن الدولة ان تبطل العمل به وتأمر بالعمل بالقانون البارز عام ١٨٦٦ ففي ذلك خير المسلمين وان لم يمكن ذلك بدلته ولم تبقه على حاله . ولو تتبعنا شرح المسائل التي أضرت بالمسلمين بسبب القانون المذكور في شريعتهم وقعنا في الاطناب في الكتابة . المسألة السابعة : قضية المغرم على المسلمين ، الجواب عنها :لا يخفى على أحد ان المسلمين يدفعون المغرم على طريقين واحدة على حسب عادة الاسلام في الزمان السابق وواحدة على حسب السيرة الجارية بفرنسا ولا شك ان في ذلك ثقل [1] لان الرجل صار حاملا لحملين وقد حصل للناس ضرر وخصوصا من جانب ما جرى به العمل من ان الرجل ينسب له ما لا يملكه من الحيوان وغيره ويلزم باداء المغرم عنه وان عجز أو تراخى عن الدفع يقع عليه الحكم بالخطية والحبس . وآخر ما نختم به كلامنا ان تأسيس اقليم الجزائر مثل بناء قصر عظيم والبناء يحتاج الى أساس والاساس يحتاج الى صانع عارف بالبناء ويحتاج الى الآلات كالجير والحجر والرمل وغيرها . اما الآلات[2] تيسر العيش للناس ونشر

---

(١) كذا

(٢) ش : تأمل هذا الختام جيدا فانه مشتمل على المطالب وعلى فكرة الكاتب في عاقبة قبولها وعدم قبولها ، فاما المطالب فهي : (١) تيسير

العلم والصناعات بينهم ليتحولوا الى التمدن والرفق بهم والتسوية بين الفريقين فاذا تمت هذه الامور كمل بناء الأساس ووجب شكر الصانع الذي خدمه وهم الحكام ويكون بعد ذلك تمام القصر وزينته بحصول المؤاخاة بين الناس ، وصفو الباطن وتمام العافية والرفاهية في العيش . ونرغب من وقف على غلط في شيء مما قلناه فيصفح كما هو شأن الكرام والسلام[1] .

حرر في العاشر من افريل عام ١٨٩١ م

محمد الطاهر بن الحاج علي معيزة

حميدة بن باديس

عمار بن احمد

أسباب العيش (٢) نشر العلوم والصناعات . (٣) الرفق بهم . (٤) المساواة بينهم وبين الاوروبيين ــ واما فكرة الكاتب فهي ان المؤاخاة وصفاء القلوب وحصول العافية للجميع لا تكون الا اذا قبلت هذه المطالب . واذا لم تقبل فلا مؤاخاة ولا صفاء قلوب ولا عافية لاحد . ولقد صدق فيما قال اذ ما قال الا ما هو طبيعة الانسان في جميع الازمان والبلدان .

(١) ش : ج ٢ ، م ١٣ ، ص ٦٢ ــ ٧١
صفر ١٣٥٦ هـ ــ افريل ١٩٣٧ م .

محمد عثمان باشا

داي الجزائر سنة (١٧٦٦ - ١٧٩١)

هذا اسم السفر الجليل الذي ألفه - أخيرا - الأخ الاستاذ أحمد توفيق المدني ، لخص فيه تاريخ الجزائر في العصر التركي ، وبيّن حالتها الاجتماعية والادبية والسياسية بأسلوب بديع جمع الفصاحة والتناسق ، وعرض للتاريخ بين دلائل العلم ومناهج الفن ، وبروح اسلامية لا تعرف الا الصدق عربية لا تفارقها العزة والشهامة ، واذا[1] كان « الوطن هو تاريخ الوطن » كما يقول الاستاذ عبدالرحمن صدقي، و « لا حياة لأمة الا باحياء ماضيها » كما يقول الدكتور هيكل ، فالأخ الاستاذ المدني بكتابه هذا لم يكن كاتبا بليغا ومؤلفا مبدعا ومؤرخاً حكيماً فحسب ، بل كان فوق ذلك من خير من بعثوا أوطانا وأحيوا أمماً .

ان من جنايات الاستعمار الأوربي على البشرية انه قلب حقائق التاريخ على الناس فقد صور الأمم التي ابتليت به وأصيبت بشره بصور من الهمجية والوحشية والتأخر والانحطاط لا أبشع منها ذلك ليبرر استيلاءه عليها، ومنّ عليها بما زرعه فيها من عمران،وان كان هوالمستغل لذلك العمران والمستبد به . فأميركا - مثلا - يصورها الاستعمار ويصور سكانها الاصليين بأقبح الصور حتى هب من أبنائها الاصليين ومن العلماء المنصفين من رد ذلك التصوير وزيفه. وهاك بعضا مما يبين

(١) راجع المقالين المنشورين في هذا الجزء في باب المجتنيات . (المؤلف) .

لك هذا ذكره الاستاذ محمد كرد علي في آخر كتابه « الاسلام والحضارة العربية » قال الاستاذ :

« ذكر أحد الباحثين في جريدة الكوتيدين Le Quotidien الباريسية تحت عنوان (تاريخ الامم المغلوبة على أمرها لم يكتب) ان المجلس الأعلى لبقايا هنود أمريكا في الولايات المتحدة أرسل الى شيخ مدينة شيكاغو احتجاجا جاء فيه (ان الكتب المدرسية المستعملة الآن في الولايات المتحدة صورت قبائل الهنود في صورة مخالفة للحقيقة التاريخية) قال الكاتب وليتنا نفكر قليلا فيما كانت عليه امريكا قبل أن يفتحها كاومبس ، ونقرأ ما قصه الفاتحون الأولون وأرباب الرحلات الأقدمون من الأقاصيص الغريبة ، ونلقي رائد الظرف على المدن القديمة في العالم الجديد وما بلغته من الازدهار وما غصت به من المعابد العظيمة التي تضاهي بعظمتها معابد مصر ، وتماثيلها العظيمة المحلاة بالذهب ، وما كان هناك من متاحف وخزائن كتب ومراصد فلكية . واذا كتب لنا أن نتوغل في المكسيك ومدينة الماياس في يوكتان ولانكاس في الانو ـ اذا رأيت كل هذا استنتجت ـ والدهشة آخذة منك ـ ان فتح أميركا كان من اعظم جنايات أوروبا » اهـ .

هذا هو نفس ما وقع بالجزائر من تشويه تاريخها وتصويرها في جميع عصورها خصوصا في العصر العثماني ـ بأقبح الصور في الكتب التي تدرس في المكاتب الفرنسية وتدرس ـ يا للبلية يا للحسرة لابنائها ! ـ غير ان الجزائر ليس فيها جمعية تحتج على هذا التشويه الباطل القبيح ، بلى : من أبنائها ـ المثقفين بالافرنسي طبعا ـ من ينكر تاريخها جملة ويزعم ان لا شخصية لها . لكن لا يمكن للحقيقة أن تبقى مستورة بالاباطيل فهي كالشمس لا بد أن تظهر ولو توالت أيام الدجن والغيوم . فقد جاء الأخ أحمد توفيق المدني بكتابه هذا يبين ما كانت عليه الجزائر من القوة والعمران قبل الاحتلال الفرنسي

وما أصابها من التخريب والتقتيل أيام الاحتلال وبعيد الاحتلال ناقلا له من كتب ووثائق أفرنسية لا غبار عليها •

هذا الى بيان ما كانت تتمتع به من حرية في دينها وقضائها ولغتها وتعليمها وبيان غير ذلك من أحوالها • لا تتسع هذه الصفحات لعرض كل ما في الكتاب ولكني أقول بكلمة واحدة : (انه يتحتم على كل مسلم جزائري أن يقرأ هذا الكتاب) • وانك اذا ختمته ــ أيها المسلم الجزائري ــ لا بد أن تخرج منه تحب من يجب أن تحب ••• وتبغض من يجب أن تبغض ••• والحب والبغض سلاحان لازمان في الحياة ولا بقاء لامة بدونهما اذا استعملتهما في محلهما •

وحقيق عليّ أن أذكر بالاعجاب والسرور المطبعة العربية للاخ الشيخ أبي اليقظان التي أخرجت الكتاب في حلة فنية جذابة تدل على تقدم الجزائر في الفن المطبعي وأن أذكر بالثناء المكتبة المصرية لحضرة محمود نسيم افندي التي تولت نشره • جازى الله العاملين على نشر العلم واحياء الامم بكل احسان وجميل [1] •

عبد الحميد بن باديس

---

(١) ش : جـ ٧ ، م ١٣ ، ص ٣١٩ ــ ٣٢١
شعبان ١٣٥٦ هـ ــ سبتمبر ١٩٣٧ م •

كلمة عن الجامـع الأخضر

عمره الله

الجامع الأخضر أحد الجوامع الثلاثة الجمعية الباقية بعد الاحتلال الفرنسي بقسنطينة .

أمـا مؤسسه فهـو حسين بـك بن حسين ١١٤٩ ــ ١١٦٧ هـ ١٧٣٦ ــ ١٧٥٤ م فحكم البلاد ١٧ عاما مقتفيا اثر سلفه في سياسة التعمير والانشاء فنظم المدينة وخطط شوارعها وانشأ منازل رفيعـة وبناءات ضخمة لكامل اعيان البلد ، وحافظ على توطيد الأمن طيلة مدة حكمه . وكما كان له ولع بالعمارة كانت له عناية فائقة بالعلم[1] فقد وجد في المحفوظات الكتابية اذن صدر منه لعائلة ابن وادفل في تأسيس مدرسة عليا للحقوق بالمسجد الذي امرهم بتأسيسه في عين فوا . وبني الجامع الاخضر للتعليم كما هو منقوش فوق مدخـل بيت الصلاة وهذا نصه :

« أمر بتأسيس هذا المسجد العظيم، وتشييد بنائه للصلاة والتسبيح والتعليم ذو القدر العلي والتدبير الكامل وحسن الرأي ، أميرنا وسيدنا حسين باي أدام الله ايامه . وكان تمام بنائه اواخر شهر شعبان سنة ست وخمسين ومائة وألف » ودفن مؤسسه ــ رحمه الله ــ في التربة المجاورة للجامع مع عائلته وبعض العلماء رحمهم الله أجمعين » .

والجامع لهذا العهد ليس له مدرس رسمي اما في العهد الماضي

---

(١) راجع ترجمته في كتاب قسنطينة تحت البايات باللسان الفرنسي

فلا شك انه كان به من يدرس العلم اذ لا شك ان مؤسسه ـ وقد كان مشهورا بنشر العلم وبنى مسجده للتعلم ـ لا بد ان يكون اوقف اوقافا للتعليم فيه فاستولت عليهـا السلطة كما استولت على سائر الاوقاف .

اما بداية تعليمي فيه فقد كانت اوائل جمادي الاولى عام ١٢٣٢ هـ وكان ذلك بسعي من سيدي ابي لدى الحكومة فاذنت لي بالتعليم فيه بعد ما كانت منعتني من التعليم بالجامع الكبير بسعي المفتي في ذلك العهد الشيخ المولود بن الموهوب .

وقد يسر الله لنا بفضله القيام بالتعليم فيه الى اليوم والله نسأل أن يجازي كل من أعاننا فيما قمنا به كل خير وان ييسر لنا القيام بخدمة العلم فيما بقي من العمر ، وان يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين آمين . وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين [١] .

عبد الحميد بن باديس

---

(١) ش : جـ ٤ ، م ١٤ ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤
غرة ربيع الثاني وجمادى الاولى ١٣٥٧ هـ ـ جوان جويلية ١٩٣٨ م .

فاجعة قسنطينة

كتبنا في الجزء الماضي كلمة مختصرة جامعة في هذه الفاجعة واردنا الاكتفاء بها ، لكن كثيرا من قراء الشهاب بقسنطينة وغيرها طلبوا منا ان نكتب الحقائق التي نعلمها بالصدق والصراحة التي تعودوها من مجلتهم فرأينا الصواب فيما طلبوا فعدنا للكتابة في هذا الجزء معتمدين في تصوير الواقع على ما شاهدناه بأنفسنا وما شهده من يكون محل ثقة عندنا .

ابتداء الاعتــداء :

ليلة السبت :

بينما كان الناس في ميضأة الجامع الأخضر أثر صلاة العشاء ليلة السبت وعددهم نحو الاثني عشر ، اذا باليهودي الياهو خليفي يفاجئهم مطلا عليهم من نافذة الميضأة مدعيا عليها كشف العورة عند الوضوء ومبادرا لهم بقوله « نعل دينكم وصلاتكم وجامعكم والكبرا اتتاعكم» فاجابه بعض الحاضرين : « نحن لا نكشف عورتنا عند الوضوء وديننا ينهانا عن كشف العورة دائما ولا نلوموك [1] لانك سكران » فاجاب : « لاراني بعقلي وراني عسكري نعــ.... النبي تتاعكم » .

خرج الناس في غاية الاستياء فأشار عليهم قيم المسجد ـــ لاجـــل تهدئتهم ـــ بتقديم شكاية للكوميسارية وهي برحبة الصوف أمامهم ، فامتثلوا وذهب شرطيان ، الزواوي وابن عريوة ، ودعا عليه البـــاب بانهما من اعوان الشرطة وان عليه ان يجيب الكوميسارية وانه لا خوف

---

(١) كذا في الاصل .

عليه من شيء ، فأبى أن يجيبهم [1] بكلمة ، ومرت فرقة الجند المتجولة فاعلمها الشرطيان بالواقعة وطلبا منها اخراج الجاني ، فأبى من الامتثال لها ، كما أبى من الامتثال للشرطة ، ففرق الشرطيان الناس وقالا لهم هذا شغلنا فتفرقوا ولم يبق الا القدر المعتاد في رحبة الصوف وذهبا •

بعد ذهابهما وقف اليهودي وزوجته في نافذة محلهما واخذا في السب مثل السب الاول فارسل الناس القيم الى المفتي ليقوم بكف عادية هذا المعتدي بواسطة الحكومة وانتظر الناس المفتي على احر من الجمر وهم يسمعون في السب من المعتدي •

رجع الشرطيان فوجدا الناس متجمهرين ، فلما سألاهم لماذا رجعتم قالوا لهما : انه عاد الى السب كما تسمعان ، وكان هو وزوجته اذ ذاك مازالا في النافذة على حالهما وكان غيرهما قد شاركهما في السب ، وسمع الشرطيان بعض الناس يقول نهجم على داره فذهبا ووقفا عند بابها يحرسانها •

في هذه الساعة ابتدأ اليهود المجاورون برمي الكوانين والبيادين فأجابهم المسلمون برمي الحجارة فشرع اليهود في الرمي بالرصاص •

اثناء هذا جاء المفتي بعد ما ارسل الناس اليه مرة ثانية من اتوا به او وجدوه آتيا فوقف يهدي الناس باذلا غاية جهده في ذلك فلم ينفع شيئا وقال له بعض الناس من برودتكم لحقنا هذه الاهانات كلها حتى وصلنا لهذه الحالة •

اثر هذا جاء الدكتور جلول وقد كان خارج البلد في معالجة بعض مرضاه فوقف يهدىء الناس ، والرصاص مازال ينصب من نوافذ اليهود، واستطاع بعد الجهد الجهيد ان يسكن الناس ويفرقهم وانتهت المصيبة نحو الساعة الثالثة •

(1) كذا في الاصل ، والصواب : يجيبهما .

استنتاجات من حوادث هذه الليلة :

رغم ماسمعه المسلمون من سب الياهو الأول لدينهم وصلاتهم وجامعهم وكبرائهم لم يهتاجوا واجابوه بكل تعقل وعذروه بانه سكران وهذا دليل قطعي على تسامحهم وعدم حملهم لحقد ديني على اليهودي وعدم استعدادهم لفرصة الانتقام •

أما هو فانه نفى عن نفسه السكر واعتز بأنه عسكري وأعاد السب بأقبح من الأول • وهذا دليل على أنه كان شاعرا بما يقول ويفعل ، وعلى اغتراره بالحرمة العسكرية وعلى قصده الى المبالغة في الاذاية ، والاغترار بالحرمة والقصد الى المبالغة في الاذاية هما الامران المشاهدان من عامة اليهود دائما في معاملتهم للمسلمين •

امتثل الناس لقيم المسجد وقدموا شكايتهم للكوميسارية وهذا دليل على أنهم لم يكونوا يريدون ان ينتقموا لانفسهم وانما يريدون ان يتوصلوا لحقهم على يد العدالة •

اقتناع الياهو المعتدي من اجابة الشرطة ومن اجابة فرقة الجند المتجولة دليل على تمرده حتى على رجال الحكومة المدنية والعسكرية وما تجرأ على هذا الا لعلمه بان نازلته مع المسلمين وقد تعود هو وامثاله ان نوازل تعديهم على المسلمين في الغالب ــ تكلاصا : تطرح وتهمل •

لما فرق الشرطيان الناس تفرقوا وهذا دليل آخر على انقياد الناس لاوامر دائرة حفظ الامن واعتمادهم عليها ودليل آخر على انهم لم يكونوا يفكرون ان يجعلوا ما وقع من المعتدي سببا للانتقام •

بعد عودة اليهودي للسب هو وزوجته من نافذة دارهما لم يفعل المسلمون شيئا غير ارسالهم للمفتي وهذا دليل آخر على ضبطهم

لعواطفهم وعدم قصدهم للانتقام وتصميمهم على انتظار الانصاف من طرف الحكومة ودائرة الامن العام •

شارك المعتدي غيره من يهود الحومة في السب بدل أن يكفوه عنه وهذا دليل على الروح المتفشية في عوام طائفتـه من الاستهانة بالمسلمين والتمالؤ على اذايتهم وعدم احترام الحكومة في ناحيتهم • وقف الشرطيان المسلمان عند باب اليهودي يحرسان داره ، وهذا دليل على ما يتحلى به المسلم من احترام واجبه وقيامه به وعلى شدة محافظة اعوان الشرطة المسلمين على الامن والنظام •

رغم ما رأى المسلمون وما سمعوا فقد استمروا ماسكين لايديهم حتى ابتدأهم اليهود برمي البيادن والكوانين وهذا دليل واضح على تحمل اليهود لمسؤولية الشر بالقول والفعل •

استطاع الدكتور جلول بعد ما بذل جهد الابطال ان يسكن ثائرة الناس وهذا اول مواقفه العظيمة في اطفاء هذه الفتنة وهو دليل على مكانته عند الامة وعلى حسن استعماله لهذه المكانة في الخير •

صبيحة السبت ٤ اوت :

جئت الى ادارة الشهاب الساعة الثامنة فعلمت بالواقعة واعلمت باستدعائي من طرف مدير الشرطة م• فيزرو مثلما استدعي غيري •

اجتمعنا عنده فكان مما قال لنا انني دعوتكم لتعينوني على تنزيل العافية فابتدأته انا فقلت له : « وترجم عني السيد يحيى احمد » ان فطرتنا الاسلامية وعقائدنا الدينية واحترامنا لرجال الحكومة كل هذه تحملنا على معاونتكم فيما ذكرتم ولكن بمزيد الاسف ان الدين الذي نهذب به الناس ونربيهم وتنزل في قلوبهم الرحمة قد وصلت الاهانة والتعدي اليه ومع ذلك فاننا سنبذل غاية المجهود • ورأى الجماعة ان

يقابلوا القائم مقام البريفي فطلب لهم الكوميسار مقابلته وذهبنا كلنا الى دار العمالة •

خرج علينا م• لنديل القائم مقام «البريفي» فألقى خطابا طويلاترجمه السيد عمر بن الموفق ، كله تأسف على ماوقع وتوصية بلزوم العافية وتهوين لما كان من اليهودي السكران ووعد بأن العدالة ستقتص منه وبعد ما فرغ من خطابه سأل هل من يريد الكلام فابتدأته انا فكان مما قلت : ان هـذا الاعتداء ليس هو الاعتداء الاول واننا معشر المسلمين نحب السلم بطبعنا وقد بات مفتينا ونائبنا يهدئان الناس وان المسلمين لا يستطيعون الصبر دائما على التعدي على امر دينهم واننا نستطيع ان نمسك بغضب المسلمين الا اذا اهينوا في دينهم فان الامر حينئذ يصعب علينا وان اليهودي المعتدي على الجامع اذا كان هو سكران فان زوجته وجيرانه الذين شاركوه في السب وابتدأوا بالضرب ليسو بسكارى وبينت له ان الشيء الذي جرأ اليهود على هـذه التعديات المتكررة هو ما يحملون من السلاح ، مع علمهم بأن المسلمين لا سلاح لهم وانهم ما داموا يحملون السلاح ويطلقون الرصاص لادنى شيء فان الشر لا ينتهي وطلبت منه لذلك نزع السلاح منهم فاعتذر بان هذا لا يمكنه معهم لانهم «سيطويان» وطلبت منه أن يقوم بتوصيتهم والتأكيد عليهم في كف عامتهم عن الشر فاجاب بأنه يفعل ذلك او قد فعله •

ثم استدعى جماعتهم فيهم اعيانهم ونوابهم وحبرهم وخطب على الجميع بلزوم التسامح والنسيان لما مضى فابتدأته انا بالكلام فمما قلت له : ان المسامحة الحقيقية لا تكون الا بعد العتاب الودي المبني على الحقائق الواقعة وتوجهت لمخاطبة الجماعة الاسرائيليين فذكرتهم باعتداءاتهم المتكررة التي من اقربها اعتداء اولادهم على ولد ابن البجاوي من تلامذة « الليسي» حتى كسروا ساقه، وقبيلها اعتداؤهم على

وعلى مدير مجلة الشهاب السيد احمد بوشمال وذكرتهم بمسامحتنا وسترنا للواقعة حتى لا يقع بسببها شر • كل ذلك لما نحن مصممون عليه من منع كل فتنة بين السكان وذكرت لهم انهم غير ما مرة اجتمعوا مع جماعة المسلمين أمام رجال دار «البريفي» وفي كل مرة تعدون بكف سفهائكم ولكن الاعتداء يتجدد ، فهذا أما لأن عامتكم لاتحترمكم ولا تنقاد اليكم واما لانكم انتم لم تصدقوا في تهدئتهم وكفهم عن الشر واذا كانت عامتكم لا تنقاد اليكم والحكومة لا تنزع منها السلاح فمن الذي يكفها ويرد عنا شرها ؟

انتهى المجلس باعتذارهم عما وقع ووعدهم ــ كالعادة ــ بكف سفهائهم ، وتصافح الجميع وتصافت الخواطر وخرج المجتمعون كلهم متواعدين على العمل على تنزيل العافية وتوطيد الامن •

مساء السبت :

اجتمعت بالدكتور جلول فاتفقنا على أن نخطب في الناس لتهدئتهم، ورأيناوجوب المبادرة بذلك قبل دخول الليل وكان هذا في آخر النهار نحو الخامسة ونصف فامرنا من نادى في الناس بالاجتماع في الجامع الكبير على الساعة السابعة فما جاءت الساعة السابعة حتى امتلأ الجامع الكبير بالناس من جميع طبقاتهم رغم ضيق ما بين وقت المناداة ووقت الاجتماع وكان الناس في تهيج شديد وتأثر بالغ فقد ضرب اليهود بعض افراد في ذلك المساء وقبل ان أصعد على كرسي الخطابة نادى جماعة بأن اليهود مازالوا يحملون السلاح لقتلنا وقد ضربوا وجرحوا في هذا المساء منا فبادرت بالصعود على الكرسي وافتتحت الخطاب واستطعت ــ باذن الله ــ التغلب على تلك العواطف الثائرة ، وأظهروا الطاعة والقبول فنزلت عن الكرسي وصعد الدكتور جلول فالقي خطابا مؤثرا فازداد الناس قبولا وخرج ذلك الجمع الذي يقدر بالآلاف هادئا

مهدئا بعد ما كان متأثرا هائجا ووقفنا في الطريق العام نفرق الجموع ونطلب منهم ان يذهب كل واحد الى محله وان يعلم غيره بما دعوناهم اليه من لزوم الهدوء ، وما تفرق الناس حتى أقسمت لهم أنني لا أذهب حتى يذهبوا • وكنا عند الخروج من الجامع قد جاءنا خبر صحيح بجرح ولد صغير مكفول لاحد الناس فاستطعنا ــ باذن الله ــ ان نقف الخبر عن الانتشار وأن نهدىء من بلغه الخبر وكافل ذلك الصغير •

تفرق الناس وخلت منهم الطرقات ونزل الهدوء التام وباتت البلدة في أمن وأمان وسهرت انا والدكتور جلول وبعض النواب الى منتصف الليل تتجول في بعض الشوارع فشاهدنا بأنفسنا هدوءا شاملا للبلدة كلهـا •

استنتاجات من حوادث يوم السبت وليلة الاحد :

في قول من قال قبل الشروع في الخطبة « ان اليهـود مازالوا يحملون السلاح لقتلنا ، وقد ضربوا وجرحوا في هذا المساء منا » ، دليل على ما كان لبقاء السلاح عنـد اليهود من الاثر السيء في ادخال الروع في القلوب ممـا يقوي في النفس غريزة الـدفاع عن الحياة ، وعلى ما كان من عود اليهود الى الضرب الذي فرغ ما عند المسلمين من الصبر عليه •

وفي هدوء المسلمين بعد ما سمعوا مني ومن الدكتور جلول دليل على انقيادهم لمن يكون محل ثقتهم وتمسكهم باسباب العافية حتى في احرج الاوقات • وكانت ليلة الاحد بتمامها اصدق دليل واقـواه على ذلك •

يوم الاحد ٥ اوت :

أصبح الناس يوم الاحد على احسن حال لا فرق بينه وبين سائر

الايام واصبحت المعاملات التجارية بين المسلمين واليهـود في سوق الخضر وغيره كعادتها •

مررت نحو الثامنة ونصف امام دار « المير » نازلا الى باب الوادي ، فالتقيت بسي سليم البوليس السري فسألني هل عندكم اجتماع هـذه الصبيحة في الصنوبر فأجبته بالنفي وذكرت له ان الاجتماع الذي أردناه قد وقع امس عشية بالجامع الكبير واننا اخترنا بالامس الجامع الكبير ليكون اعون لنا على ضبط الناس وقد حصل مقصودنا مـن تهدئة الناس باجتماع امس فلماذا نعقد اجتماعا آخر ؟ وكيف يكون في الصنوبر •

وصلت الى ادارة الشهاب نحو الساعة التاسعة فجاء من اخبرني ان بعض الناس اجتمعوا في الصنوبر وقيل لي ان هؤلاء لما سمعوا بالاجتماع ولم يعلموا بوقوعه امس ظنوا يقع اليوم وبعد نحو ربع ساعة جاء من اعلمني بانهم افترقوا •

نحو الساعة العاشرة ذهبت الى جمعية التربيـة والتعليم لالقي محاضرتي على اعضائها فما كدنا نشرع في المحاضرة حتى جاءنا من اخبرنا ان اليهود اطلقوا الرصاص في جهة رحبة الصوف وان الفتنة قد وقعت واخذنا اثر ذلك نسمع في طلق الرصاص المـرات الكثيرة فمكثنا كلنا بالجمعية الى الساعة الثانية عشرة ، فسرحت التلامذة مثنى وثلاث وأمرتهم بأن لا يصعدوا الى رحبة الصوف التي كنا نحسب اذ ذاك ان الفتنة قاصرة عليها • ونحو الساعة الواحدة بعد الزوال صعدت الى دارنا بنهج القصبة محروسا بفرقة من الجند •

كيف ابتدات الفتنة وكيف انتهت :

من الشائع المتواتر الذي عرفته حتى الجرائد الباريسية فنشرته جريدة « لاكسيون فرانسيس » ان الفتنة ابتدأت بسبب طلق ابنـاء

الزاوي اليهود الرصاص ثم كان اهتياج الناس بقدر ما يتزايد اطـلاق الرصاص من اليهود الحاملين السلاح •

حضر الدكتور جلول لرحبة الصوف والفتنة على اشدها فدخل المعمعة يهدىء الناس من ناحية ويضمد الجراح من ناحية اخرى وكانت حالة الناس ــ وهم يسمعون دوي الرصاص ويشاهـدون الجرحى يتساقطون منهم ــ اعظم من ان تهدأ • ومع ذلك فقد استطاع الدكتور جلول ان يرد الناس عن الهجوم على الشارع حومة اليهود ولولاه لكان ذلك الجمع مصبحا اليهود في شارعهم شر صباح •

انتشر الخبر في البلد وماجت الانهج بالناس وكثر ضرب اليهود بالرصاص من النوافذ فانكب الناس على دكاكين اليهود التي كانت مقفلة يوم الاحد يكسرون ابوابها ويمزقون ما فيها من قماش ويهشمون مافيها من اثاث ويمزقون الاوراق المالية واطلقوا النار في بعضها وقتلوا نيفا وعشرين نفسا وفرغوا من عملهم نحو الساعة الثانية •

استنتاج وتعليل :

فتح أسواق الخضر الاسلامية كعادتها ، وتعاطي المسلمون البيع والشراء مع اليهود واليهوديات دليل قاطع على ان المسلمين كانوا قد اطمأنوا وأمنوا وعلى انهم ما كانوا عازمين على شيء من الشر لليهود •

ابتدأ ابناء الصائغي بضرب الرصاص ، ورؤية الناس المسلمين السلاح بيد اليهود والرصاص يتهاطل من نوافذهم وهم لا سلاح لهم بعث فيهم الرعب والحنق فاندفعوا ذلك الاندفاع القوي السريع المحطم •

غريزة الدفاع عن النفس فطرية في الانسان بل في جميع الحيوان فاذا أحس بالخطر فانه يعمل اعمالا عن غير وعي لا يستطيع أن يعملها لولا ما احس به من الخطر وما تحرك فيه من غريزة الدفاع عن النفس

فقد يجري الانسان فاراً أمام حيوان يريد افتراسه بمقدار من السرعة لا يستطيعه ابدا في غير تلك الحال فالانسان الاعزل الذي لا سلاح معه عندما يرى خصمه مسلحا ويشاهد الرصاص منطلقا من سلاحه يحس بخطر محقق داهم فتتحرك فيه غريزة الدفاع عن النفس فينبعث عن غير وعي فينقض على خصمه انقضاض المستميت فربما قضى عليه رغم سلاحه • هذا في الفرد من الناس أما في الجموع منهم فان المسألة تكون اروع لان الجماعة لا تعمل عن عاطفة فاذا خافت على أنفسها واندفعت بغريزة الدفاع عنها فانها تأتي في تلك الحالة بما لا تتصوره العقول •

بهذا التقرير العلمي النفسي نعلل ما كان من الجماعة المسلمة العزلاء من السلاح امام اليهود المسلحين في اندفاعها وما اتت به من اعمال مروعة •

ولعلمنا بهذه الحقيقة العلمية النفسية كنا حريصين امام القائم مقام «البريفي» على نزع السلاح من اليهود ، وقد أمرت السلطة أعوانهابنزع السلاح من المارة في الازقة ولكن بعد فوات الوقت •

فالذين قاموا بتلك الاعمال من المسلمين لم يكونوا مندفعين اليها بحقد على اليهود ولا بعامل ديني ولا ببغض جنسي وانما كانوا مندفعين بغريزة الدفاع عن النفس امام الخطر المسلح •

نعم كان المسلمون يسمعون دائما سب دينهم ونبيهم من اليهود وخصوصا من النساء وكانوا يلقون منهم سوء معاملة خصوصا من النساء في سوق الخضر وكانوا يشعرون بتسلطهم في دوائر الحكومة وعلى رجال بارزين من الساسة الفرنسيين ويعلمون تغلبهم في الوظائف حتى على الفرنسيس انفسهم وحسبك ان موزعي البريد ببلدة قسنطينة منهم ثلاثون ونيف ومن الفرنسيس خمسة ومن المسلمين واحد ولكن

هذا كله ما كان ليبعثهم على ما انبعثوا اليه لو لم تتحرك فيهم غريزة الدفاع عن النفس امام الخطر المسلح • بل كان ذلك كله مما اسكن في قلوبهم الخوف والاستسلام للواقع •

قتل من اليهود نيف وعشرون كان منهم خمس نسوة وستة من الصبيان وكان المعتدون لما يشتد الرمي بالرصاص من النوافذ ومن ايدي بعض النساء في بعض الجهات يصعدون للمنازل فيبطشون بمن فيها عن غير تمييز • وكان قتل النساء والصبيان دليلا على ان المعتدين لم يكن اندفاعهم عن عقيدة الاسلام الذي معلوم مشهور عند اهله انه يحرم قتل النساء والصبيان حتى في الحرب المشروعة وعلى ان تلك الفظاعة هي من آثار الجهل ، وتلك الحالة النفسية الخاصة الطارئة ، لا من آثار الاسلام •

المصائب على الجانبين :

اذا كانت دكاكين اليهود قد اصيبت لما اصيبت ، فان دكاكين المسلمين التي في حومة اليهود قد اصيبت كذلك، واذا كانت خسائرها قليلة فذلك لانها قليلة ولانها ضعيفة كأصحابها الضعفاء ، بخلاف دكاكين اليهود فقد كانت خسائرها كثيرة لانها هي كثيرة ولانها قوية كأصحابها الاقوياء •

واذا كان القتلى من اليهود نيفا وعشرين ومن المسلمين اثنين فالفضل لمسدسات اليهود التي خانتهم عند الضرب فالمطر الوابل من الرصاص الذي نزل من مسدساتهم ما قصدوا به الا القتل وازهاق الارواح بلا فرق بين من في الانهج من رجال ونساء وشيوخ وصبيان وجنود ، وقد جرحوا بالفعل نحو الاربع من الصبيان ، وجرحوا اجنديين او ثلاثة فلو صحت من اليهود في الرمي زنودهم ، كما صحت في القتل قصودهم ، لكان القتلى من المسلمين — كبارا وصغارا — يعدون

بالمئات وليس من قصد القتل وارتكب سببه ولم يتم له ما قصد لمانع ، دون من قتل بالفعل في الجرم •

اما عدد الجرحى فقد تساوى او تقارب من المسلمين ومنهم فكان من الجانبين نيفا وعشرين وكان كثير من جرحى المسلمين بسلاح الجند مما يدل على ان الجنود وان لم يطلقوا الرصاص لعدم الاذن لهم بذلك فقد دفعوا الناس بالسلاح الابيض •

ليلة الاثنين ويومها :

اعلنت حالة الحصار ومنع المرور بالانهج الا بورقة المرور •

وفي مساء الاثنين رغبت مني دار «البريفي» بواسطة انسان له مقام عندي ، ان أذهب الى عين البيضاء لتهدئة الناس • ولما كان هذا من أعمال الخير التي وقفت لها نفسي ، أجبت الطلب وصحبني السيد عمربن الموفق ليباشر هو الناحية الادارية ورجالها واباشر انا ناحية الامة • ولما وصلنا الى عين البيضاء في منتصف الليل بقيت السيارة ونزل السيد عمر الى دار «المير» وبعدنحو ساعةرجع الي يقول ان بعض النواب يرون انهم قد قاموا بتهدئة الناس وان دخول غيرهم ربما يشعر بتقصيرهم هم في واجبهم ، فقفلنا راجعين •

وقد علمنا بعد ذلك من حوادث عين البيضاء ان شرطيا يهوديا اطلق الرصاص على ولد صغير مسلم ارسله ابوه لشراء الغاز وهذا الولد جيء به الى مستشفى قسنطينة وتوفي به • وان النائب العمالي س• بومالبي قدم استعفاءه للبريفي احتجاجا على تكليف غيره بتهدئة الناس •

في ليلة الاثنين جدد اليهود اعتداءهم على بيوت الله :

يقع مسجد سيدي الكتاني في رحبة سوق العصر في وسط حومة

اليهود ففي ليلة الاثنين هاجمه اليهود فكسروا اربعة أو خمسة من نوافذه وهشموا التخاريب التي على احد ابوابه وقد حققت ذلك ادارة الامن واثبتت فيه تقريرا رسميا •

استنتاجات وملاحظات :

اجبنا رغبة الحكومة لما دعتنا الى فعل الخير ومددنا يدنا للتعاون معها على ذلك فهل علمت من ذلك اننا دعاة خير وسعاة احسان ، وهل هي بعد ذلك تستطيع ان تخلي بيننا وبين ما نقوم به مما هو أصل كل خير الا وهو نشر العلم والدين ؟•

اما النواب الذين زعموا ذلك الزعم فاحسب ان الانانية حالت بينهم وبين فهم معنى التعاون والا فان القائم بواجبه مهما كان مقدار قيامه فانه لا يألف من اعانته فيه محبة في تحقيق ذلك الواجب على اكمل وجوهه لكن هذا اذا كان قيامه بالواجب لاجل الواجب نفسه ، لا لشائبة من حظه وغرضه •

واما النائب الذي قدم استعفاءه وتحمس فاننا كنا نود ان لو كان عنده هذا الحماس وهذه الغيرة والحمية في مواطن اخرى كان فيها حضرته باردا ومبردا ، ولا حاجة لنا الى تعريفه بهذه المواطن فالناس كلهم على علم بها وعلى ذكر منها • ونحن وان كنا نرى حماسته هذه في غير محلها فانا نتفاءل لحضرته بها خيرا ونرجو ان تدوم له في مواقفه القادمة في حياته العامة ان قدر له العود اليها •

قتل اليهودي الشرطي ولداً صغيرا رميا بالرصاص !! وهل نحتاج بعد هذا الى دليل على روح العداء والتعدي ؟ ومن الثابت ايضا ان بعض الشرطة اليهود بقسنطينة اطلقوا الرصاص وان شرطيا اسمه علوش سكر قال سأضرب وأفعل فعزل من الشرطة المثبوت ذلك عليه • فاذكر هنا ما تقدم عن ليلة السبت بقسنطينة وكيف وقف الشرطيان المسلمان

امام دار اليهودي الياهو اصل الشر والبلاء يحرسانها وقس بين الروح والروح والتربية والتربية .

صبيحة الثلاثاء :

استدعى الوالي العام وفداً من المسلمين وألقى عليهم خطاباً دلّ على وقوفه موقف الحاكم العادل الذي يريد أن يعرف الحقيقة لذاتها . وأذن للجماعة بالكلام فقدموا الدكتور جلول فألقى خطاباً جامعاً صوّر فيه الواقعة تصويراً فوتوغرافياً نظن أنه أبلغ وأصدق ما سمعه الوالي العام عن صورة الحالة . سأل الوالي الدكتور عن سبب اجتماع الناس في الصنوبر صبيحة الاحد فأجابه الدكتور بأن الذين اجتمعوا بالصنوبر هم الذين سمعوا مساء السبت بالاجتماع على الساعة السابعة فحسبوها صباحاً وأوقعهم في هذا الغلط ضيق ما بين وقت الاعلام بالاجتماع الذي وقع بالجامع الكبير ووقوعه . ثم قدموا الاستاذ مختار ابن الحاج سعيد المحامي فألقى خطاباً بليغاً دافع فيه عن الحقيقة بصدق وانصاف ، ثم تكلم النائب المالي السيد محمد المصطفى ابن باديس وقال انه موافق على كل ما قاله الدكتور جلول والاستاذ مختار . ثم أعاد الوالي الحديث وسأل الوفد هل يستطيعون أن يعدوه بكف المسلمين فأجابه السيد ابن باديس أن المسلمين منكفون بالفعل وأننا نعد بكفهم ، وأننا نستطيع ذلك بشرط أن ينكف اليهود الذين قد تكرر منهم الاعتداء فأجاب الوالي العام بأنه يعتمد عليهم وأنه سيكلم اليهود مثل ما كلمهم .

وفـاء الوفد بوعـده :

خرج ذلك الوفد الاسلامي الحافل المتركب من النواب والأعيان وبعض أهل العلم فارتأوا أن يبادروا بوفاء وعدهم للوالي العام بأن يتجولوا في الأنهج الاسلامية ويعرفوا الناس بمقابلتهم للوالي العام وما طلب منهم وما التزموا به عن اخوانهم المسلمين واتفقوا على أن أقوم

خطيباً في كل نهج من الأنهج الكبرى الاسلامية لأخطب في الناس بذلك فوقفنا بضعة عشر موقفاً ألقيت فيها بضع عشرة خطبة أخاطب فيها الناس باسم الوفد وأدعوهم الى الهدوء والسكينة وأذكرهم بآداب الاسلام وأعرفهم بما كان من طلب الوالي العام وما كان من التزام نوابهم ، وكان الله ــ وله الحمد ــ يفتح في كل موقف بفن من فنون التذكير ، وكان اخواني المسلمون ــ جعلني الله فداءهم ــ يلتفون بنا في كل موقف ويبدون من الاستماع للوعظ والانقياد للخير ما عرفني بما تنطوي عليه تلك الصدور المحمدية الطيبة من الروح الاسلامية الشريفة ، والآداب الدينية العالية الكامنة فيهم ، التي لا يحتاج في اظهارها إلا لكلمة صادقة عن نية خالصة • وكان كل موقف يختم باعطاء كلمتهم بأن لا يكون منهم سوء وبالدعاء للجميع •

عملت تلك الخطب ــ باذن الله ــ عملها في قلوب كانت متفرقة فاتحدت وأرواح كانت متناكرة فتعارفت وما انتهينا الى آخر مواقفنا ــ وكان أمام مكتب وعيادة الدكتور ابن جلول ــ حتى تصافح هو والسيد محمد المصطفى بن باديس وصعد النواب كلهم الى مكتب الدكتور ، فأعدتهم الى النهج ليحضروا آخر موقف وليسمعوا آخر خطاب ، ولم أكتف بوقوفهم بنوافذ المكتب المطلة على النهج فلما نزلوا خطبت في الجمع خطاباً يشتمل على أصل ما ألقيت الخطب لأجله وعلى ما ناسب ذلك الموقف الذي تجلت فيه روح الاخاء والصفاء ، وكان ذلك الموقف لمواقفنا ــ والفضل لله ــ خير ختام •

يوم السبت ١١ اوت :

صبيحة السبت قابل وفد المسلمين عامل العمالة ودار الحديث في الحوادث التي وقعت ورأينا من عاملنا الجديد رجلا يحمل روحاًفرنسية لطيفة ويتحلى بآداب الموظف العالي • أبدى تأسفه أن وجد قسنطينة

أول قدومه في هذه الفاجعة وأظهر رغبته في رجوع الامور الى مجاريها.
وبعدما تكلم الدكتور جلول والطبيب زرقين وغيرهما تكلم النائب المالي ابن باديس فذكر للسيد العامل أن الأمن من ناحية المسلمين قد استتب وأن جماعة المسلمين قد استطاعوا بما قاموا به أن يهدئوا اخوانهم على كثرة عدد المسلمين وانتشارهم ، وأن جماعة اليهود من ناحيتهم لم يقوموا بشيء مما قام به جماعة المسلمين على قلة عدد اليهود وسهولة ابلاغ الصوت اليهم ولذا فان المسلمين لم يتجدد منهم شيء من يوم الحادثة وأما اليهود فقد تجدد منهم الاعتداء مراراً وذكر له الولد بياع الجرائد الذي جرحوه برحبة الصوف وولداً آخر صب عليه المادة الملتهبة الفيتريول والرجل الذي أطلقوا عليه الرصاص بنهج فرانس كل هذا ما بين يوم الاربعاء والسبت فوعد العامل بأمرهم بالكف والتأكيد عليهم به .

تنظير بين المسلمين واليهود :

نريد أن نعرض الطبقات من المسلمين واليهود لنعرف موقفهم من هذه الفتنة اعتماداً على المعلومات المتقدمة .

النواب :

وقف الدكتور جلول النائب العمالي ليلة السبت برحبة الصوف وقفة المهدىء للجمع المسكن للثائرة ومعه السيد محمد امزيان النائب البلدي يعينه على ذلك ويبذل جهده مثله .

وحضر النائب العمالي اليهودي لولوش فبدلا من أن يهديء قومه ويأتي باليهودي المعتدي ويدخله حبس الكوميسارية وكان في استطاعته ذلك ولو فعله لأطفأ تأثر المسلمين في الحين ، لانهم ما كانوا يريدون إلا عقاب ذلك المعتدي على دينهم ونبيهم وجماعتهم ومسجدهم ، بدلا من أن يفعل هذا كان تارة يستبعد وقوع ما وقع من الاعتداء وتارة

يستكبر على المسلمين تأثرهم من ذلك الاعتداء ان وقع • ولم يظهر منه أدنى شيء في التهدئة والتسكين •

كان الدكتور جلول صبيحة الاحد ينتقل من مكان الى مكان مهدئاً للناس مداوياً للجرحى معرضاً نفسه للخطر ، وممن شهد له بمواقفه في ذلك اليوم التقرير الرسمي للجندرمة • أما النائب العمالي لولوش فقد اختار السلامة التي ذاق حلاوتها أيام أبقته الاعذار بقسنطينة عن ميادين الحرب الكبرى •

أبدى النواب المسلمون في كل ما كتبوا ونشروا وتكلموا أمام الحكام غاية التعقل والرصانة والحكمة ، وأعلنوا ثقتهم بالحكومة وبالعدالة وكرروا دعوتهم الى تناسي الماضي والعمل لخير المستقبل وجددوا تأسفهم بعبارات دالة على كمال في الانسانية وسمو في الدين •

أما النائب لولوش وغيره فقد كانت تقاريرهم وخطبهم ومنشوراتهم ـ وخصوصاً رابور لولوش ـ تهجمات حتى على الحكومة وتقولات بالباطل والكذب[1] على النواب المسلمين مما ينم عن أمراض قلبية ـ والعياذ بالله ـ ويدل على قلة أدب وافلاس سياسة •

طاف النواب الأنهج الاسلامية وخطبوا في الناس بلسان من قدموا لذلك ووفوا بوعدهم للوالي العام • ولم يفعل شيئاً[2] من ذلك النواب اليهود •

مفتي المسلمين وحبر اليهود :

جاء المفتي ليلة السبت وبذل جهده • أما حبر اليهود فلم يأت لا هو ولا واحد من طرفه •

---

(١) في الاصل : تكذب
(٢) في الاصل : شيء

الشرطـة :

قام الشرطة المسلمون بواجبهم ولم تغلب عواطفهم على أماتتهم حتى تقدم منهم من حرس باب المعتدي الأثيم الياهو خليفي • أما الشرطة اليهود فقــد كان منهم من أطلق النار ومنهم من قتل وهــو شرطي عين البيضاء •

الامـة :

وفي المسلمون بوعدهم لجماعتهم فلم يكن منهم أي اعتداء ، أما اليهود فما زال الاعتداء يتكرر منهم على من ينفردون به وحده كما فعلوا ببعلي سليمان بن لخضر • ومن أقرب ذلك رمى صبيانهم نوافذ من جامع سيدي الكتاني فكسروها • نقول هذا ونحن على ثقة من تعقل اخواننا المسلمين وعدم التفاتهم الى هذه الأفعال الطائشة التي تتولى أمرها العدالة وأنهم يبلغون كل ما يلحقهم الى العدالة لتقوم بواجبها نحو المعتدين كما طلبنا منهم في خطبنا ووعدوا به وهم الموفون بما وعــدوا •

القتـلى :

دفن اليهود قتلاهم في مشهد حافل ، أما قتلانا ــ وهم الرجل الذي قتل يوم الأحد والصبي الذي قتله الشرطي بعين البيضاء والذي مات من جراحه بعد ذلك ــ فانهم دفنوا دون أن يشيعهم أحد ، ودون أن تقال عليهم كلمة ودون أن تراق عليهم دمعة •

علمنا أنهم يدفنون هكذا وسكتنا ــ لا لهون المصاب علينا ولا لقلة ألمنا وحزننا ــ ولكن موافقة للادارة على تجنب كل ما قد يثير العواطف ويكون مخيف العاقبة ، وعلمت الأمة بهذا ورضيت به انقياداً لرجالها لما لها بهم من الثقة واظهاراً لما عندها من الرغبة في الهدوء والسكينة والتغلب على العاطفة أمام ما فيه مصلحة عامة •

الخاتمة :

كتبنا هذا التقرير عن الحالة كما شاهدنا فيما شاهدنا ، وكما تحققنا فيما بلغنا من الثقات عندنا ، واننا بعد ذلك نأسف ونألم على ما يصيب الانسان من أخيه الانسان وعلى أن تجري هذه الحوادث بين عنصرين ساميين ابراهيميين عاشا قروناً في وطن واحد دون أن يشهدا مثلهاونسأل الله تعالى أن يبطل كيد الظالمين ، ويرد شر المعتدين عن الخلق أجمعين ، وأن يرحم المستضعفين وينصر المظلومين من جميع العالمين .

وصدق الله العظيم في كتابه الكريم : « وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ » ، « مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ، لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ » (١) .

عبد الحميد بن باديس

(١) ش : ج ١٠ ، م ١٠ ، ص ٤٣٨ ــ ٤٦١
غرة جمادي الثانية ١٣٥٣ هـ ــ ١١ ديسمبر ١٩٣٤ م .

آثار ابن باديس

قسم العرب في القرآن

العرب في القرآن

الخطاب الذي ارتجله الاستاذ عبـد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في اجتماعها العام بنادي الترقي لهذه السنة . وموضوعه (العرب في القرآن) وقد حافظنا على معانيه وعلى الكثير من الفاظه ، وهيهات هيهات لما نود من نقله للقراء بالفاظه وجمله . فانه خطاب عظيم في موضوع خطير لا يضطلع به غير استاذ في علمه بفنون القرآن وغوصه على مغازيه البعيدة ونفاذه في معانيه العالية .

وعلى كل فاننا نرجو اننا قدمنا الموضوع للقراء كـامل المعاني وحسبنا هذا (١) .

— ١ —

حق على كل من يدين بالاسلام ويهتدي بهدي القرآن أن يعتني بتاريخ العرب ومدنيتهم وما كان من دولهم وخصائصهم قبل الاسلام ذلك لارتباط تاريخهم بتاريخ الاسلام ولعناية القرآن بهم ولاختيار الله لهم لتبليغ دين الإسلام وما فيه من آداب وحكم وفضائل الى أمم الأرض فأما انهم قد ارتبط تاريخهم بالإسلام فلأن العرب هـيِّئوا تاريخيا لاجل أن ينهضوا بأعباء هذه الرسالة الاسلامية العالمية ، ولان الله الحكم العدل الذي يضع الأشياء في مواضعها بحكمة ويأمرنا أن تنزل الناس منازلهم في شريعته ، ما كان ليجعل هذه الرسالة العظيمة لغير أمة عظيمة ، اذ لا ينهض بالجليل من الأعمال الا الجليل من الأمم والرِّجال. ولا يقوم بالعظائم الا العظام من الناس .

---

(١) تعليق ناسخ المحاضرة .

وأما عناية القرآن بالعرب فلأجل تربيتهم لأنهم هم الذين هُيِّئوا لتبليغ الرسالة فيجب أن يأخذوا حظهم كاملا من التربية قبل الناس كلهم ، ولهذا نجد كثيرا من الآيات القرآنية في مراميها البعيدة اصلاحا لحال العرب وتطهيرا لمجتمعهم وإثارة لمعاني العزة والشرف في نفوسهم، ومن هذا الباب الآيات التي يذكر بها العرب ان هذا القرآن أنزل بلسانهم مثل : « إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً » ، « إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » والذين يعقلون القرآن قبل الناس كلهم هم العرب • ومن أول القصد الى العرب والعناية بلسانهم وتنبيههم الى ان القرآن أنزل بلسانهم دون جميع الألسنة ، جلبا لهم حتى يعلموا انه أنزل لهم وفيهم قبل الناس كلهم •

ان العرب قوم يعتزون بقوميتهم وهم قوم ذوو عزة وإباء خصوصاً في الجاهلية فكان من حكمة القرآن أن يجلب نافرهم ويقرب بعيدهم بأن هذا القرآن أنزل بلسانهم •

ومن هذا الباب توسعة الله في قراءة القرآن على سبعة أحرف وهي اللهجات التي تجتمع على صميم العربية وتختلف في غير ذلك • وسع عليهم في ذلك لتشعر كل قبيلة ان هذا القرآن قرآنها • لان اللسان الذي نزل به لسانها • وهذا هو ما يقصده القرآن ، ومن هذا الباب أيضاً اشعارهم بأن صاحب الرسالة منهم « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ » الآية •

فمن الطبيعة العربية الخالصة انها لا تخضع للاجنبي في شيء لا في لغتها ولا في شيء من مقوماتها ولذلك نرى القرآن يذكرها بالشرف ويحدثها كثيرا عن أمة اليهود التي لا يناديها الا بيا بني اسرائيل تذكيراً لها بجدها الذي هو مناط فخرها كل ذلك لأنها أمة تحيا بالشرف والسمو والعلو ــ ويذكرها بالذكر ــ وهو في لسانها الشهرة الطائرة

والثناء المستفيض يقول تعالى لنبيه وهو يعني القرآن : « فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ » • والأنبياء لم يبعثوا الا في مناسب الشرف ومنابع القوة ومنابت العزة ليبنى المجد الطريف من الدين على المجد التليد من أحساب الأمة وأنسابها وشرفها وعزتها • وما كان لها من مناقب تلتئم مع أصول الدين • فقوله تعالى : « وإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ » يعني انه شرف لكم وقومه هم العرب لا محالة •

ويقول بعد ذلك : « وَسَوْفَ تُسْئَلُون » ليشعرهم ان عليهم من الواجبات في مقابلة هذا الشرف الذي أعطوه ما ليس على غيرهم ولا شك ان ثمن المجد غال •

وهذا الشرط الذي ذكره الله وذكر به العرب هو شرط واجب الاعتبار والتنفيذ •

لأن الأمة التي لا تؤدي ثمن المجد لا تحافظ عليه • ثم هي أمة لا يعتمد عليها في النهوض بنفسها ولا بغيرها • وانما ذكرهم الله بذلك لينهضوا بالأمم على ذلك الأساس وهو إحياء الشرف الانساني في نفوسها وليعاملوها على ذلك الأساس بالعدل والرحمة والتكريم وما ذكر القرآن العرب بتكريم بني آدم وخلقهم في أحسن تقويم إلا ليعاملوهم على هذه القاعدة التي وضعها الخالق ، وان أعداء البشرية اليوم وقبل اليوم يعمدون الى قتل الشرف من النفوس ليستذلوا من هذا النوع ما أعز الله ويهينوا منه ما كرم الله •

والخلاصة ان عناية القرآن باحياء الشرف في نفوس العرب ضرورية لاعدادهم لما هيئوا له من سياسة البشر • وبهذا نستعين على فهم السر والحكمة في اختيار الله للعرب للنهوض بهذه الرسالة الاسلامية العالمية واصطفائه إياهم لانقاذ العالم مما كان فيه من شر وباطل •

وهذا السر هو انهم ما كانوا عليه من شرف النفس وعزتها والاعتداد بها هو الذي هيأهم لذلك ولو كانوا أذلاء لما تهيأوا لذلك العمل العظيم.

وانظروا واعتبروا ذلك بحال أمة هي أقرب أمة الى العرب وهي أمة اسرائيل فانها لم تكن مهيأة لإنقاذ غيرها . وانما هيئت لأنقاذ نفسها فقط لان مقوماتها النفسية لم تصل بها الى تلك الدرجة العليا : ولذلك عانى موسى معها ما عانى مما قصه القرآن علينا لنعتبر به في الحكم على الأمم .

ولا حاجة الى التطويل في الحديث عن بني اسرائيل فان القرآن قد فصل لنا شؤونهم تفصيلا وانما أنبهكم على هذا الفارق الجوهري بين الأمتين .

وقد تقولون ان بني اسرائيل اختارهم الله وفضلهم على العالمين ، والجواب الذي يشهد له الواقع انه اختارهم لينقذوا أنفسهم من استعباد فرعون وليكونوا مظهراً للنبوة والدين في أول أطوارهما وأضيق أدوارهما وهذا هو الواقع فان الأمة العربية استطاعت أن تنهض بالعالم كله وان تظهر دين الله على الدين كله ، وأما بنو اسرائيل فانهم ما استطاعوا أن ينهضوا حتى بأنفسهم وانما نهض بهم موسى نهضة قائمة على الخوارق وما نهضوا بأنفسهم الا بعد موسى بزمن مع اتصال حبل النبوة فيهم ومغاداة الوحي الالهي ومراوحته لهم .

فالأمتان العربية والإسرائيلية متمايزتان بحديث القرآن عنهما واذا تلمسنا الحكمة المقصودة من اختيار الله لبني اسرائيل مع إنهم غير مستعدين للقيام بنهضة عالمية عامة وجدنا تلك الحكمة في القرآن مجلوة في أبلغ بيان ، في قوله تعالى : « وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ

فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنودَهُمَا مِنهُمْ ما كَانوا يَحْذَرونَ».

فالسر المتجلي من هذه الآية هو ان الله أراد بما صنع لبني اسرائيل وبما قال لهم ان يعلم هذا العالم الانساني من سنن الله في كونه ما لم يكن يعلم وهو اخراج الضد من الضد واخراج الحي من الميت وانقاذ الأمة الضعيفة التي لا تملك شيئاً من وسائل القوة الروحية ولا من وسائل القوة المادية ، من العباد الأقوياء المتألهين فهو مثل عملي ضربه الله لخلاص أضعف الضعفاء من مخالب أقوى الأقوياء وجعل المستضعفين أئمة وارثين ، وسادة غالبين ، والتمكين لهم في الأرض ، وإراءة الأقوياء المستعلين في الأرض عاقبة باطلهم لكيلا ييأس المستضعفون في الأرض من روح الله وقد قال موسى لبني اسرائيل تمكيناً لهذا المعنى في نفوسهم : « عَسَى رَبُّكُمْ أنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ » .

وإلى هذا المثل العملي تشير الآية : « ألَمْ تَرَ إلى الَّذينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ المَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أحياهُمْ إنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أكثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ » .

وأما العرب فانهم اختيروا لوظيفة عالمية عامة لما فيهم من شرف متأصل واستعداد كامل وصفات مهيأة ولهذا كان منبع الرسالة بمكة وشأنها عند العرب هو شأنها ، فهم مجمعون على تخليصها ولأنها في وسط الجزيرة وصميمها ، ووسط الجزيرة بعيد كل البعد عن المؤثرات الخارجية في الطباع والألسنة تلك المؤثرات التي يجلبها الاحتكاك بالاجانب والاختلاط بهم . وكل أطراف الجزيرة لم تخل من لوثة في الطباع وعجمة في الألسنة ، جاءت من الاختلاط بالأجنبي ، ولا أضر على

مقومات الامم من العروق الدساسة . فاليمن دخلتها الدخائل الاجنبية من الحبشة والفرس على طباع أهلها وألسنتهم ، والشام ومشارفه كانت مشرفة على الاستعجام والعراق والجزيرة لم يسلما من التأثر بالطباع الفارسية . فكانت هذه الاطراف تنطوي على عروبة مزعزعة المقومات ، ولم يحافظ على الطبع العربي الصميم الا صميم الجزيرة ومنه مكة التي ظهر فيها الاسلام وهذا الوسط وان كان عريقا في الصفات التي تسمى العصر لأجلها جاهليا ، ولكنه بعيدا عن الذل الذي يقتل العزة والشرف من النفوس والجاهل يمكن أن تعلمه والجافي يمكن أن تهذبه . ولكن الذليل الذي نشأ على الذل يعسر أو يتعذر أن تغرس في نفسه الذليلة المهينة عزة وإباء وشهامة تلحقه بالرجال .

هذا توجيه موجز مقرب لاختيار الله تعالى العرب للنهوض بالرسالة العامة .

وشيء آخر يرتبط بهذا وهو ان الله كما اختار العرب للنهوض بالعالم كذلك اختار لسانهم ليكون لسان هذه الرسالة وترجمان هذه النهضة ، ولا عجب في هذا فاللسان الذي اتسع للوحي الإلهي لا يضيق أبدا بهذه النهضة العالمية مهما اتسعت آفاقها وزخرت علومها وهذا جانب لا أتحدث عنه فقد كفانا مؤنته أخونا الاستاذ محمد البشير الابراهيمي في محاضرته التي سمعتموها بالأمس[1] .

---

(١) ش : ج ١ ، م ١٥ ، ص ٢١ ـ ٢٥
غرة محرم ١٣٥٨ هـ ـ فيفري ١٩٣٩ م .

العرب في القرآن

- ٢ -

أيهـا الاخوان :

جعلنا عنوان الخطاب « العرب في القرآن » وقلنا في أول كلمة منه ان العناية بالعرب حق على كل مسلم لارتباط تاريخهم بتاريخ الإسلام . فما هو حظ العرب من القرآن من الناحية التاريخية بعد أن سمعتم هذه التوجيهات العامة .

والعرب مظلومون في التاريخ فان الناس يعتقدون ويعرفون ان العرب كانوا همجا لا يصلحون لدنيا ولا دين حتى جاء الاسلام فاهتدوا به فأخرجهم من الظلمات الى النور .

هكذا يتخيل الناس العرب بهذه الصورة المشوّهة ، ويزيد هذا التخيل رسوخاً ما هو مستفيض في آيات القرآن من تقبيح ما كان عليه العرب ليحذرنا من جاهلية أخرى بعد جاهليتهم .

والحقيقة التي يجب أن أذيعها في هذا الموقف هي أنّ القرآن وحده هو الذي أنصف العرب . والناس بعد نزول القرآن قصّروا في نظرتهم التاريخية الى العرب فنشأ ذلك التخيل الجائر عن القصد . والتاريخ يجب أن لا ينظر من جهة واحدة بل ينظر من جهات متعددة وفي العرب نواح تجتبى ونواح تجتنب ، وجهات تذم وتقبح وجهات يثنى عليها وتمدح . وهذه هي طريقة القرآن بعينها . فهو يعيب من العرب رذائلهم النفسية كالوثنية ونقائصهم الفعلية كالقسوة والقتل .

وينوه بصفاتهم الانسانية التي شادوا بها مدنياتهم السالفة واستحقوا بها النهوض بمدنية المدنيّات ٠

ولنذكر عاداً فهي أمة عربية ذات تاريخ قديم ومدنية باذخة ذكرها القرآن فذكرها بالقوة والصولة وعزة الجانب ونعى عليها الصفات الذميمة التي تنشأ عن القوة قال تعالى : « فأمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَقَالوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ٠ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً » ٠

فالنظرة التاريخية المجردة في هذه الآية وفيما ورد في موضوعها ترينا ان عاداً بلغت من القوة والعظمة مبلغاً لم تبلغه أمة من أمم الأرض في زمنها حتى إن الله جل شأنه لم يتحد قولهم : « مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً » إلا بقوته الإلهية التي يذعن اليها كل مخلوق ، ولو كانت في أمم الأرض إذ ذاك أمة أقوى منهم لكان الأبلغ أن يتحداهم بها ٠ وان أمة تقول هذه الكلمة بحالها أومقالها لهي أمةمعتدة بقوتهاوعظمتها٠

ومن هذه الآية وحدها نستفيد إن عاداً كانت أشد الأمم قوة وانها ما بلغت هذه الدرجة من القوة الا بمؤهلات جنسية طبيعية للملك وتعمير الأرض وان تلك المؤهلات فيها وفي غيرها من شعوب العرب هي التي أعدتهم للنهوض بالرسالة الإلهية ٠

وان القرآن لا ينكر عليهم هذه المؤهلات وانما ينكر عليهم لوازمها ولا ينكر عليهم القوة والعظمة وانما ينكر عليهم أن يجعلوها ذرائع للباطل والبغي ومحادة الله بدليل قوله لهذه الأمة : « وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إلى قُوَّتِكُمْ » ٠ فهو يضمن لهم انهم آمنوا وعملوا الصالحات يزيد قوتهم تمكيناً وبقاء ، ومحال أن ينكر القرآن على

الناس القوة وهو الداعي اليها والمنفر من الضعف وانما شرع القرآن بجنب الدعوة الى القوة أن تكون للحق وللخير وللرحمة والعدل •

وكذلك قوله تعالى : « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وإذا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللهَ وأطيعُونِ »[1]، فان هذه الآية ــ زيادة عن إفادتها لمعنى ماقدمناه ــ تكشف لنا نواح[2] من تاريخ هذه الأمة العربية ومبلغ مدنيتها وتعميرها فهي تدل على انهم كانوا بصراء بعلم تخطيط المدن والأبنية وهو علم لا يستحكم الا باستحكام الحضارة في الأمة ومأخذ هذا من قوله : « بِكُلِّ رِيعٍ » •

والآية في قوله آية هي بناء شامخ يدل على قوتهم أو هي آية هادية للسائرين وهي على كل حال بناء عظيم يدل على عظمتهم وقوتهم وما زالت عظمة البناء تدل على عظمة الباني •

ولم ينكر عليهم نبيهم نفس البناء الذي هو مظهر القوة • وانما أنكر عليهم الغاية المقصودة لهم من ذلك البناء الشامخ فمحَطّ الانكار قوله : « تَعْبَثُون » ، ولا شك ان كل بناء شامخ لا يكون لغاية شريفة محمودة فهو عبث ولهو وباطل •

والمصانع ، يقول المفسرون انها مجاري المياه أو هي القصور ، وعلى القولين فهي دليل على معرفتهم بفن التعمير علماً وعملاً وبلوغهم فيه مبلغاً عظيماً فهي من شواهدنا على ماسقنا الحديث اليه •

ولكن ليت شعري ما الذي صرف المفسرين اللفظيين عن معنى المصنع اللفظي الاشتقاقي والذي أفهمه ولا أعدل عنه هو ان المصانع

(١) ٢٦/١٢٨ ــ ١٣١

(٢) كذا في الاصل والصواب : نواحي .

جمع مصنع من الصنع كالمعامل من العمل وأنها مصانع حقيقية للادوات التي تستلزمها الحضارة ويقتضيها العمران • وهل كثير على أمة توصف بما وصفت فيه في الآية ، أن تكون لها مصانع بمعناها العرفي عندنا ؟ بلى وان المصانع لأول لازم من لوازم العمران وأول نتيجة من نتائجه •

ولا أغرب من تفسير هؤلاء المفسرين للمصانع الا تفسير بعضهم للسائحين والسائحات بالصائمين والصائمات والحق ان السائحين هم الرحالون والرواد للاطلاع والاكتشاف والاعتبار والقرآن الذي يحث على السير في الأرض والنظر في آثار الامم الخالية حقيق بأن يحشر السائحين في زمرة العابدين والحامدين والراكعين والساجدين فربما كانت فائدة السياحة أتم وأعم من فائدة بعض الركوع والسجود •

ولا يقولن قائل اذا كانت المصانع ما فهمتم فلماذا يقبحها لهم وينكرها عليهم فانه لم ينكرها عليهم لذاتها وانما انكر عليهم غاياتها وثمراتها فان المصانع التي تشيد على القسوة والقسوة لا تحمد في مبدأ ولا غاية • وأي عاقل يرتاب في ان المصانع اليوم هي أدوات عذاب لا رحمة ووسائل تدمير لا تعمير فهل يحمدها على عمومها وان دلائل حضارة ومدنية كانت •

ومن محامد المصانع أن تشاد لنفع البشر ولرحمتهم ومن لوازم ذلك أن تراعى فيها حقوق العامل على أساس أنه إنسان لا آلة •

(وإذا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ) لا بد لكل امة تسود وتقوى من بطش ولكن البطش فيه ما هو حق بان يكون انتصافا وقصاصا واقامة لقسطاس العدل بين الناس وفيه ما هو بطش الجبارين والجبار هو الذي يجبرك على أن تعمل بارادته لا بارادتك فبطشه انما يكون انتقاما لكبريائه وجبروته وارضاء لظلمه وعتوه وتنفيذا لارادته الجائرة التي لا تبنى على شورى وانما تبنى على التشهي وهوى النفس

لذلك لم ينقم منهم البطش لانه بطش وانما نقم منهم بطش الجبابرة الذي كله ظلم .

وفي القرآن ما هو كالتتمة لبحثنا عن حضارة العرب وكالعلاقة لحضارة عاد بعينها وهي حكاية عاد ارم ذات العماد .

فهذا الوصف البليغ الذي نقرؤه في سورة الفجر صريح بألفاظه ومعانيه في انه وصف لحضارة عمرانية لا نظير لها ، فالعماد لا تكون الا في القصور والأبنية الباذخة والمدن المخططة على نظام محكم ، وقد قال تعالى وهو العالم بكل شيء انه : « لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي البِلاَدِ » ، ومدينة هذا وصفها لا تشيدها الا أمة لا نظير لها في القوة وآثار الحضارة يتبع بعضها في الضخامة والعظم والوصف القرآني لها وان سبق للاتعاظ بعاقبتهم يدل الباحث التاريخي على أنهم بلغوا في الحضارة غاية لا وراءها ، وهم أمة عربية . فهذه المدينة شيدت في جزيرة العرب لا محالة . وان الأقرب في التذكير بهم والاتعاظ بمصيرهم أن تكون الرؤية في قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ » علمية لان التذكير عام لمن تتيسر له رؤية العين ولمن لم تتيسر له ، ولو ائتمرت الامم الاسلامية بأوامر القرآن لنشأ فيها رواد يرودون الجزيرة ويجوبون مجاهلها ولو فعلوا لامكن ان يعثروا على آثار هذه المدينة ارض عاد وهي معروفة ويجمعوا بين الرؤية البصرية والرؤية العلمية وبين العلم والاتعاظ واننا لا نعبأ في مقام البحث العلمي بما حف هذه الحكاية من اساطير . ولا بما وقع فيه شيخ المؤرخين ابن خلدون حينما تعرض لنقض تلك الأساطير[1] .

---

(١) ش : ج ٢ ، م ١٥ ص ٧٠ ــ ٧٤
غرة صفر ١٣٥٨ هـ ــ مارس ١٩٣٩ م .

العرب في القرآن

من الخطاب الذي القاه رئيس جمعية العلماء

في اجتماعهـا العام الماضي

– ٣ –

وأمة أخرى من الأمم العربية وهي ثمود ، وهي أمة عربية نلعنها بلعن القرآن لها ولكننا نذكرها بما ذكرها به القرآن من قوة وتعمير وحضارة، فصالح رسول هذه الامة يقول في دعوتها الى الله وتعريفها بنعمه : (هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) • فأية أمة لا تعمر الارض الا اذا ملكت وسائل التعمير وهـي كثـيرة ومجموعها هو ما نسميه الحضارة أو المدنية •

وقد كشفت لنا عن هذا الاستعمار الثمودي عدةآيات بليغةالوصف، ولكن أبلغها وصفا وأدقها تصويرا قوله تعالى : « أَتُتْرَكُونَ فِيمَا هَا هُنَا آمِنِينَ في جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ » •

أما المغزى الذي سبقت هذه الآية لاجله فهو النفي عليهم • كيف يستعينون بنعم الله التي يسرها لهم على الكفر به ، وإنذارهم ان الكفر بها وبمؤتيها سيكون سببا في زوالها وفي ضمن هذا عرفنا حالتهم التي كانوا عليها في تعمير الأرض • وهي حالة أمة بلغت النهاية في الحضارة المادية وفنونها من زرع الارض وتلوينها بأصناف الشجر منظمة وتقسيم المياه على تلك الغروس الى مايستلزمها كل ذلك من علم

بحال الارض وطبائعها واحوال الاشجار المغترسة وطبائعها واحـوال الفصول الزمنية واحوال الجو واحوال التلقيح والآبار والجني وعـلم باصناف التمتع من مناظر ومجالس ومقامات ومآكل • ثم القيـام على حفظ ذلك العمران من افساد الايدي السارقة وكل هذا ممـا يستلزمه وصف القرآن لحالهم لاجل تذكيرهم والتذكير بهم ، وقـد ذكرهم القرآن في مواضع باتقانهم لنحت الحجر ، والشجر والحجر آيتا الحضارة المبصرتان ، ومن يعرف الحضارة الرومانية بهذا الوطن يعرف انها ما قامت الا على نحت الحجر وغرس الشجر •

وان نحت الحجر ليستدعي حاسة فنية ويستدعي مع ذلك قوة بدنية وقد نعتهم القرآن في نحتهم للحجر بحالة ملابسة فوصفهم مرة بانهم آمنون ومرة بانهم فارهون ، والفاره هو الذي يعمل بنشاط وخفة ولا يأتيه ذلك الا من خبرته بما يعمل وعلمه بدقائقه واعتياده له • ومعنى هذا أن أصول هذه الصناعة التي اشتهر بها المصريون القدماء والرومان قد رسخت فيهم ولكن التاريخ المنقول ظلم العرب وبخسهم حقهم كما قلت لكم في طالعة الخطاب •

هاتان أمتان من الامـم العربية اثبت القرآن حالهما فـكان لنا مصدرا تاريخيا معصوما في اثبات حضارة الشعوب العربية التي بزت فيها الأمم •

ولننتقل الآن الى ناحية اخـرى من نواحي الجزيرة وهي اليمن التي عرفها اليونان وغيرهم وعرفوا المدنيات التي قامت فيها فسموها بالعربية السعيدة واننـا اذا انتقلنا الى هذه الناحية من الجزيرة نجد العز القدموس والمجد الباذخ والماضي الزاهر لهذه الامة التي نفتخر بالانتساب اليها ونباهي الامم بمدنياتها بالحق والبرهان • واننا في حديثنا عن اليمن لا نخرج عن شواهد القرآن •

قال تعالى : « لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيةٌ جَنَّتانِ عَنْ يَمينٍ وَشِمالٍ كُلوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُروا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفور فأعْرَضوا فأرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ وَبَدَّلناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وأثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَليلٍ ذَلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَروا وَهَلْ نُجازى إلاَّ الكَفُورَ وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى الَّتي بارَكْنا فيها قُرىً ظاهِرةً وَقَدَّرْنا فيها السَّيْرَ سيروا فيها لَيالِيَ وأيّاماً آمِنينَ فَقالوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أسْفارِنا وَظَلَموا أنْفُسَهُمْ فَجَعَلْناهُمْ أحاديثَ وَمَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ » •

ليس المقام مقام تبسط في وجوه البلاغة المعجزة التي تنطوي عليها هذه الآيات فقد استوعبت تاريخ أمة في سطور • وصورت لنا أطواراً اجتماعية كاملة في جمل قليلة أبدع تصوير ووصفت لنا بعض خصائص الحضارة والبداوة في جمل جامعة لا أظن غير اللسان العربي يتسع لحملها كقوله : « قُرىً ظاهِرةً » وكقوله : « وَقَدَّرْنا فيها السَّيْرَ » • وكقوله : « باعِدْ بَيْنَ أسْفارِنا » ، حتى اذا وصل القارىء الى مصير هذه الأمة التي سمع ما هاله من وصفها واجهه قوله تعالى : « فَجَعَلْناهُمْ أحادِيثَ » ، وأدركه الغرق في لجج البلاغة الزاخرة •

اللهم ان السلامة في الساحل واننا لا نعدو موضوعنا تصور حضارة العرب مما يحكيه القرآن عنها في معرض بيان مصائرها حين كفرت بأنعم الله وبرسله •

الآيات صريحة في أن مدنية سبأ كانت مدنية زاهرة مستكملة

الأدوات ومن قرأ القرآن بعقله فهم ما نفهم من آياته وعلم كما نعلم أن مدن سبأ كانت عامرة بالبساتين عن يمين وشمال • ويمين من؟ وشمال من ؟ انه ولا شك يمين السائر في تلك المـدن أو الاراضي وشماله ومعنى هذا ان طرق السير كانت منظمة تبعا لتنظيم الغروس عن يمينها وشمالها والاكتشافات الأثرية اليوم التي كان لليمن حظ ضئيل منها وان كان على غير يد أهلها ـ تشهد بأن أمم الحضارات اليمنية كانوا من أسبق الامم الى بناء السدود المنيعة لحصر المياه والانتفاع بها في تعمير الارض ، واقامة السدود لا تتم بالفكر البدوي •• والعمـل اليدوي ، بل تتوقف على علوم فكرية منها الهندسة والهندسة تتوقف ثمراتها على علوم كثيرة وعلوم العمران كعروق البدن يمد بعضها بعضاً فهي مترابطة متماسكة متلاحمة ـ فما يكون السبإيون بلغوا في الهندسة مبلغاً أقاموا به سد مأرب حتى يبلغوا في غيره من علوم العمران ذلك المبلغ •

ولكن لما كفروا بأنعـم الله واستعملوها في ما يسخطه سلط الله عليهم من الأسباب ما خرب عمرانهم وأباد حضاراتهم وذلك قوله تعالى : « فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ••• الخ » •

ويقول في وصف عمرانهم : « وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً » ، يعني ان عمرانهم لم يكن محدوداً ، وانما كان متصلاً بعضه ببعض • فالقرى والمدن يظهر بعضها من بعضها لقربها وتلاحمها فلا يكاد المسافر يبرح مدينة حتى تبدو له أعلام الأخرى ، ولا يكون هذا الا اذا كان العمران متصلاً • وهذا هو معنى الظهور في الآية فهو ظهور خاص • وتقدير السير هو أن يكون منظماً ومن لوازمه أن تكون الأوقات مضبوطة بالساعات والطرق محدودة بالعلامات التي

تضبط المسافة ، وقوله تعالى : « سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وأيّاماً آمِنينَ » يرشدنا الى امتداد العمران مسافة الليالي والأيام وان الأمن كان ما دار رواقه على هذا العمران . ولا يتم العمران الا بالأمن ولكن فات القوم أن يحصنوا هذه المدنية الزاخرة بسياج الايمان والشكر والفضيلة والعدل وكل مدنية لم تحصن بهؤلاء فمصيرها الى الخراب ، والناس من قديم مفتونون بعظمة المظاهر يحسبون أنها خالدة بعظمتها باقية بذاتها ، فالقرآن يذكرنا كثيراً من مصائر الأمم حتى لا نغتر بمظاهرها وحتى نعلم ان سنة الله لا تتخلف في الآخرين كما لم تتخلف في الأولين .

وأما قوله تعالى : « قالوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا » فان المفسرين السطحيين يحملونه على ظاهره وأي عاقل يطلب بعد الأسفار ؟

والحقيقة انهم لم يقولوا هذا بألسنتهم وانما هو نتيجة أعمالهم ، ومن عمل عملاً يفضي الى نتيجة لازمة فان العربية تعبر عن تلك النتيجة بأنها قوله وهذا نحو من أنحاء العربية الطريفة .

ولا زال الناس – على عاميتهم – يقولون فيمن عمل عملاً يستحق عليه الضرب أو القتل : انه يقول اقتلني أو اضربني ، وهو لم يقل ذلك وإنما أعماله هي التي تدعو الى ذلك ، فالمعنى ان أعمالهم هي التي طلبت جزاءها اللازم لها المرتبط بها ارتباط اللازم بالملزوم والدال بالمدلول فكأن ألسنتهم قالت ذلك ويؤيد هذا في القرآن كثير ومنه قوله تعالى : « سَيَجْزِيهِمْ » وصفهم لأن الجزاء أثر للفعل فهو مرتبط به ولا يقولن قائل : القول يقع مدلوله في القلب حالاً ولا كذلك العمل فقد يتأخر جزاؤه طويلاً – لأن الجزاء اذا كان محقق الوقوع يصير كأنه حاصل بالفعل وكل عاقل يقطع بأنه اذا وقع الظلم من الظالم فقد استحق عليه الجزاء ولا يلاحظ مسافة ما بين الظلم وجزائه .

أما المباعدة بين أسفارهم التي اقتضاها كفرهم بأنعم الله ، فهي كناية عن محو العمران وخراب القرى التي كانت ظاهرة متقاربة حتى لا يبقى منها الا القليل فيتباعد ذلك القليل بالطبع بخراب الكثير •

وأين العمران المتلاحم الذي يرتاح فيه المسافر لضبط المسافة وتعدد المشاهد من الخراب الذي يوحش النفس فيزيد المسافة بعداً على بعد •

وملكة سبإ وعرشها العظيم وملكها وما قصه القرآن من نبأها أعظم وأروع فمخبر سليمان عليه السلام يقول عنها : « وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ » وما وصف عرش ملكة سبإ بالعظيم عند سليمان نبي الله الذي سخر له الجن والريح ــ إلا وهو في نفسه عظيم •

أيها الاخوان :

ان في قصة ملكة سبإ في القرآن لدرساً تتفجر منه ينابيع العظمة والعبرة وارشاداً الى ما تقوم به الامم ولولا ان هذا الخطاب قد طال لآثرنا منها العبر وأثرنا بها العبر • ولكن لا يفوتنا أن نلخص منها اشارات وما عليكم بعد ذلك الا أن تتدبروا الآية ففيها نظام الشورى صريحاً لا مواربة فيه وفيها ان بناء الامم انما يعتمد على القوة وقد تكون مؤنثة فلا بد أن يسندها بأس شديد • وفيها ان الملأ هم الأشراف وأهل الرأي وهم أعضاء المجالس الشورية ولعلهم كانوا بالانتخاب العرفي وهو نظام مدني ولعلهم كانوا بالانتخاب الطبيعي أو الوراثي وهو لا يكون الا في الامم التي شبت عن طوق البداوة •

ولعل كاتباً من كتابنا يتناول هذا البحث بحث الانتخاب في الاسلام ولئن استرشد القرآن في هذا الباب ليرشدنه •

هذه مدنيات ضخمة غيرت في هذه الأمة التي أهلهـا الله لحمل الرسالة الالهية الى العالم وهذه بعض خصائص هذه الامة التي هيأها الله للنهوض بالعالم وانقاذه من شرور الوثنية وبنياتها ومن ضلال العبودية بجميع أصنافها . وان القومية العـربية موضوع مترامي الأطراف . وليس من الممكن الاحاطة به في مثل هذا الخطاب . وحسبي أن أكون قد خدمتها من هذه الناحية التي هي خدمة للاسلام والقرآن وعليكم السلام[1] .

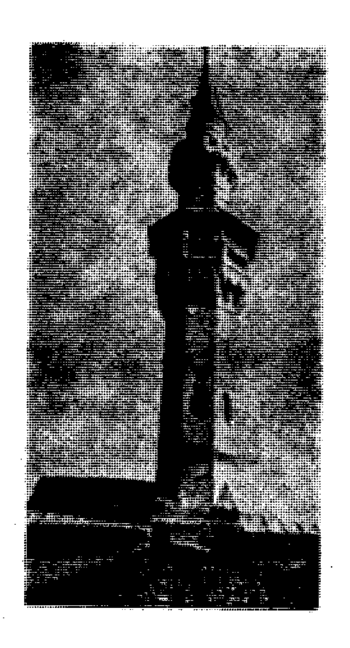

(١) ش : جـ ٣ ، م ١٥ ، ص ١١٩ ـ ١٢٤
غرة ربيع الاول ١٣٥٨ هـ ـ افريل ١٩٣٩ م .

آثار ابن باديس

قسم التراجم

رجال الاسلام ونساؤه

ش . « هذا باب جديد فتحناه في (الشهاب) اردنا منه أن يطلع القراء على تراجم بعض رجالنا ونسائنا من سلفنا الصالح وما لهم من صفات اكسبهموها الاسلام وما كان منهم من أعمال في سبيله ، ففي ذلك مايثبت القلوب ويعين على التهذيب ، ويبعث على القدوة ، وينفخ روح الحياة وما حيي خلف إلا بحياة سلف ، وما حياة السلف الا بحياة تاريخهم ودوام ذكرهم ، ولسنا هنا لتتبع الاخبار واستيعاب الحوادث وإنما نقتصر على ما يحصل أصل القصد، ويفي لاكثر القراء بالفرض ، ويبعث همم الطلاب الى التوسل في هذا العلم ، ويبعث رغباتهم الى الازدياد منه ، وليس هذا الباب مقصوراً على قلم تحرير المجلة فلكل كاتب أن يعرض فيه ما عنده من حديث عن رجل أو امرأة من ابناء أو بنات الاسلام . واليوم لما جاء ذكر عبادة بن الصامت وزوجه أم حرام في صدر هذا الجزء فانا رأينا لهذه المناسبة افتتاح هذا الباب بذكرهما رضي الله عنهما » .

عبـــادة بن الصامت

أنصاري خزرجي من السابقين الأولين ، بايع ليــلة العقبة وعينه النبي ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ بهـــا نقيباً ، شهد بدراً وجميع المشاهد بعدها .

ممن جمع القرآن في عهد النبي ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ وروى عنه ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ كثيراً ، فكان بما حفظ من كتاب الله وروى من حديث رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ فقيهاً في دين الله ـــ ولا والله ما فقه الاسلام ممن لم يفقه الكتاب والسنة ، وما كان فقه الصحابة والتابعين وأئمة الدين الا بالفقه فيهما ـــ ولفقهه بعثه عمر ـــ رضي الله عنه ـــ ومعاذ وأبا الدرداء الى أهل الشام يعلمونهم القرآن ويفقهونهم ، وهكذا كانوا يبعثون الفقهاء لتعليم النـــاس أمر دينهم وتفقيههم فيه ، وهو ما أخذت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على نفسها القيام به ، وهو ما قامت النواحي التي تستغل جهل المسلمين تقاومها من أجلها ـــ فأقام عبادة بحمص ثم بفلسطين ، وبها مات سنة أربع وثلاثين وهو ابن اثنين وسبعين سنة .

كان عبادة قويا في دين الله لا تأخذه في الحق لومة لائم ، فكان له من معاوية ـــ وهو أمير على الشام ـــ مواقف في الانكار عليه ، وكان معاوية يعترف له بالتقدم عليه بالفقه ، ثم تبرم منه فشكاه الى عمر ـــ رضي الله عنه ـــ وارتحل الى المدينة فرده عمر الى الشام وقال له: قبح الله أرضاً لست فيها وأمثالك . وكتب الى معاوية أن لا إمرة لك على عبادة . كان صلباً في دينه يوالي في الله ويعادي فيه : كان يهود

بني قينقاع حلفاءه فلما رأى عداوتهم للاسلام وتربصهم بأهله جاء الى النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فقال له : ان لي موالي من اليهود كثيراً عددهم ، وإني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم ، وأتولى الله ورسوله . وكان لعبد الله بن أبيٍّ رأس المنافقين من الولاية فيهم مثل ما لعبادة ، فبقي على ولايتهم واعتذر من بقائهم على ولائهم بأنه يخاف الدوائر . وفيها نزل قوله تعالى : « يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ » . « فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أسَرُّوا فِي أنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ » . اقرأ مع هذه الآية قوله تعالى : « لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إلَيْهِمْ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ . إنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلوكُمْ في الدِّينِ وَأخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وظَاهَرُوا عَلَى إخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ومَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » . فكان عبادة بن الصامت أول من سن سنة رفض ولاية مواليه لما رأى منهم الشر وتولى الله ورسوله ، ومن سن سنة حسنة في الاسلام كان له أجرُها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، فرحمه الله رحمة الهادين المهتدين .

أم حرام بنت ملحـــان

النجارية الأنصارية خالة أنس بن مالك ، وأخت أم سليم وزوجة عبادة بن الصامت •

كان النبيّ ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يكرمها ويزورها في بيتها ، وما كان ذلك إلاّ لكمالٍ في دينها وصلاحها ، وقد ظهر أثر هذا الدين والصلاح في مبادرتها لطلب الدعاء من النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أن تكون من الغزاة في البحر لما ذكر لها ما عرض عليه في نومه من أناس من أمته ، كالملوك على الأسرة ، غزاة في البحر ، وعودها الى الطلب لما ذكر لها مثلهم في المرة الثانية حتى قال لها : أنت من الأولين •

امرأة تسمع بالغزو في البحر فلا يهولها الغزو وما فيه من مشقة وما وراءه من القتل ، ولا البحر وأهواله ، وهي امرأة لم تعتد ركوبه ولا تعرف عنه إلاّ أنه خلق عظيم ذو هول كبير وخطر شديد قريب ، لا يقف أمامها لا هذا ولا ذاك ، وانما يقف أمامها ويستولي على نفسها ويحيط برغبتها منزلة الشهادة وما فيها من الأجر والمثوبة ، وما وراءها من الخير والكرامة ، فتحرص ذلك الحرص وتؤكد الطلب ، وتعود اليــه مرة بعد أخرى ، هذا ــ والله ــ الإيمان حقاً ، والرغبة في العمل الصالح صدقاً وبذل أعز ما عند الانسان لخالقه في طلب مرضاته •

صدقت أم حرام قولها بفعلها ، فلما خرج زوجها مع معاوية لغزو جزيرة قبرص خرجت معه وماتت في تلك الغزاة لما خرجت من البحر ونزلت أرض الجزيرة ودفنت بها • وذكر هشام بن عمر الخطيب المقرئي الثقة انه رأى قبرها بقبرص ووقف عليه ، فرحمة الله عليها من امرأة صالحة ومؤمنة صادقة في نساء المسلمين[1] •

---

(١) ش : ج ١ ، م ١٠ ، ص ١٤ ــ ١٦
غرة رمضان ١٣٥٢ هـ ــ جانفي ١٩٣٤ م •

سعد بن الربيـــع

أنصاري خزرجي ، شهد بيعة العقبة الأولى والثانية ، أحد النقبـــاء الاثني عشر . شهد بدرا واستشهد يوم أحد ، كرم اخوته ومراعاته لحقوقها لما قدم النبي ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ المدينة آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار لتقوية الرابطة العامـــة بالرابطة الخاصة فآخى بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف . وكان سعد من أكثر الأنصار مالا وكان متزوجاً امرأتين فرأى من حق هذه الأخوة بينه وبين أخيه المهاجري أن يشاطره ما عنده فقال لعبد الرحمن : « اني أكثر الأنصار مالاً فأقسم لك نصف مالي وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها فاذا حلت تزوجتها » فقال له عبد الرحمن : « بارك الله لك في أهلك ومالك دلوني على السوق » [1] فلم يكتف سعد بالنزول لأخيه عن شطر ماله حتى أراد النزول له عن احدى زوجتيه لانه يعلم ان الأخوة ليست وصفاً يكفي أن يثبت بالألسنة بل هي رابطة وعقيدة لا تحققها الا الأفعال وهذه حقيقة الأخوة خاصة كانت أو عامة فالمسلم الذي يشعر بأخوة الاسلام شعوراً صحيحاً ويعتقدها اعتقاداً صادقاً هو الذي يشاطر المسلمين في سرائهم وضرائهم ويشركهم معه فيما عنده من خير بقدر ما استطاع فأما من لم يهتم بأمورهم وقبض يده عن مواساتهم وشح بالفرض والمستحب من الصدقة عليهم فهو كاذب في أخوته جاهل بحقيقة الأخوة وقد قال الله تعالى : فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ

(١) البخـــاري .

فِي الدِّينِ » • وقال ـــ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ـــ : « **لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ويكره له مايكره لها** » •

صدقه ما عاهد الله عليه :

كان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص وكان هذا الصحابي من أبطال ذلك اليوم وممن أبلوا فيه البلاء الحسن وجاهد حتى سقط مطعوناً باثنتي عشرة طعنة وتفقده رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ ولم يره في الناس ، فقال من يأتني بخبر سعد بن الربيع فقال رجل ـــ هو أبي بن كعب ـــ أنا ، فجعل يطوف بين القتلى فقال له سعد بن الربيع ما شأنك ، فقال الرجل : بعثني رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ لآتيه بخبرك ، قال : « اذهب اليه فاقرأه مني السلام وأخبره باني طعنت اثنتي عشرة طعنة واني أنفذت مقاتلي ، وأخبر قومك انهم لا عذر لهم عند الله ان قتل رسول الله ـــ صلى الله عليه آله وسلم ـــ وواحد[1] منهم حي » •

فالنبي ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ لم ينسه ما هو فيه من مصاب عظيم في ذلك اليوم من تفقد أصحابه وهذا السيد الجليل لم ينسه ما فيه من ألم الجراح وحالة الاحتضار من ابلاغ سلامه للنبي ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ ومن النصح لقومه بما عليهم من حفظ رسول الله ـــ صلى‌الله عليه وآله وسلم ـــ الى آخر واحد منهم وفاء بما عاهدوه عليه ليلة العقبة •

فالمسلم لا ينسيه ألم يصيبه في سبيل الله ما بقي عليه من الواجبات لدينه ولا يترك النصح حتى في أشد الاحوال ويبذل في سبيل الوفاء على ما عاهد الله عليه نفسه راضياً مغتبطاً •

هكذا كان الصحابة يبذلون في حفظ النبي ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ أرواحهم والتابعون لهم من المسلمين هم الذين يبذلون في

---

(١) الموطأ .

حفظ دينه من بعده كل عزيز فحياته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في أمته ببقاء دينه فيهم قائماً . والحمد لله انه لا تزال طائفة قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون[1] .

(١) ش: جـ ٢، م ١٠، ص ٦١ ـ ٦٢
غرة شوال ١٣٥٢ هـ ـ جانفي ١٩٣٤ م .

الحجـاج بن عِلاَط

رضي الله تعـالى عنه

نسبه : الحجاج بن عِلاطَ (ككتاب) السلمي •

اسلامه ووفاته : اسلم عام خيبر وتوفي في أول خلافة عمر ــ رضي الله عنه ــ •

مسكنه واقامته : أقام بالمدينة ثم نزل الشام فسكن حمص •

حاله في الجاهلية : كان تاجرا كثير المال وكان يستخرج الذهب من معادن بني سليم •

حاله في الإسلام : هو أول من بعث إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بصدقة من معدن بني سليم فما دخل الإسلام قلبه حتى خرج منه ذلك الشح الذي يلازم في الغالب أرباب الاموال فبادر بارسال صدقة معدنية طائعاً طيبة بها نفسه وهكذا يفعل الإيمان عندما تخالط بشاشته القلوب •

كتب عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ الى أمراء الآفاق ان يبعثوا إليه من كل عمل رجلا من صالحيها فبعثوا أربعة من البصرة والكوفة والشام ومصر ، فاتفق أن الأربعة من بني سليم وهم الحجاج ابن عِلاَط ، وزيد بن الاخنس ، ومجاشع بن مسعود وابو الأعور •

فكان الحجاج احد هؤلاء الأربعة المشهود لهم من عموم اهــل اقطارهم بالصلاح خدعة لقريش حتى نجا منهم بماله : لما فتحت خيبر وكان هو قد أسلم خشي[1] أن تسمع قريش باسلامه فتستولي على

(١) في الاصل : خيشي •

ماله الذي كان متفرقا عند تجارها وغـيرهم ، فاستأذن رسـول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن يذهب الى مكة كاتماً اسلامه ليعمل على تخليص ماله ونجاته به من قريش ، فأذن له النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ورأى انه لا بد ان يحتاج في خداع قريش الى شيء من النقول بخلاف الواقع فقال للنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «انه لابد لي ـ يارسول الله ـ من أن أقول» قال : « قل » •

فخرج حتى أتى قريشا فسألوه عن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ واصحابه فقال لهم هزم شر هزيمة وقتل اصحابه شر قتل واخذ اسيرا وقال أهل خيبر لا نقتله حتى نبعثه الى أهل مكة فيقتلوه بما قتل من رجالهم • فصدقته قريش فقال لهم : انه يريد أن يعجل الى خيبر قبل أن يسبقه التجار اليها فاعانوه على جمع ماله حتى نجا به وانطلت عليهم حيلته •

وكان قبل أن يفارق جاءه العباس يسأله عما جـاء به من الخبر فأخبره بالحقيقة على وجهها واستكتمه حتى يمضي على خروجه من مكة ثلاثة ايام فلما مضت الثلاثة الايام لبس العباس حلته وجاء فطاف بالكعبة فلما رأته قريشاً على تلك الحالة الطيبة قالوا له هذا والله التجلد على المصيبة يعنون ما جاءهم به الحجاج من الخبر عن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فأخبرهم العباس بجلية الأمر وان النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ افتتح خيبر وتزوج ببنت ملكهم وان الحجاج أخذ أموالهم ليلحق به فاشتد عليهم ذلك وبلغ منهم المبلغ العظيم من الاسف والحنق •

وحديث الحجاج هذا قال الامام ابن عبد البر « صحيح من رواية ثابت البناني وغيره عن أنس » ورواه من الأئمة أحمد وغيره •

الاسوة :

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » •

أذن له النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في التقول والأخبار بخلاف الواقع والقول عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مالا يجوز أن يقال عليه من الهزيمة والأسر ـ لأن ذلك كله كان من خدع الحرب لأجل التوصل الى افتكاك مال الحجاج منهم حتى لا يتقووا به وادخال الغيظ عليهم واحداث الوهن في قلوبهم •

فكان ذلك منه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ شرعاً عاماً وحكماً باقياً في مثل تلك الحال مقدراً بذلك المقدار[1] •

(١) ش : ج ٣ ، م ١٠ ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤
ذو القعدة ١٣٥٢ هـ ـ ١٥ فيفري ١٩٣٤ م

أبو ذر الغفـاري
رضي الله عنـه

— ١ —

كيف كان اسلامه :

من السابقين الأولين وقصة اسلامه كما جاءت في صحيح البخاري — مع الشرح — في مواضع هكذا : بلغ أبا ذر مبعث النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — فقال لأخيه أنيس : اركب الى هذا الوادي — يعني مكة — فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم انه نبي يأتيه الخبر من السماء! فانطلق أنيس حتى قدم مكة وسمع من قول النبي — صلى الله عليـه وآله وسلم — ثم رجع الى أبي ذر فقال له : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وسمعت منه كلاما ما هو بالشعر • فقال أبو ذر : ماشفيتني مما أردت• فتزود وحمل شنة من ماء وجرابا من طعام وعصا وسار حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس النبي – صلى الله عليه وآله وسلم — وهو لا يعرفه وكره أن يسأل عنه ، حتى أدركه بعض الليل ، فاضطجع فرآه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فعرف انه غريب فقال له كأن الرجل غريب فقال نعم فقال له علي فانطلق معي الى المنزل فانطلق معه لا يسأل أحدهما صاحبه عن شيء فبات عنده فلما أصبح عاد الى المسجد فقضى اليوم الثاني كالأول ورآه علي واستصحبه الى منزله فلما أصبح عاد الى المسجد ومضى عليـه اليوم كسابقيه واستصحبه علي معـه كالسابق وسأله ألا تحدثني ما الـذي أقدمك قال أبو ذر ان اعطيتني عهـداً وميثاقاً لترشدنني فعلت؟ فأعطاه علي العهد والميثاق فأخبره بالذي أقدمه• قال علي: فانه حق وهو رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم — فاذا أصبحت

فاتبعني فاني ان رأيت شيئاً أخاف منه عليك قمت كأنني أريق الماء فان مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي فانطلق أبو ذر يقفو أثر علي حتى دخل علي على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فدخل أبو ذر فسمع من قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - وأسلم مكانه فقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - اكتم هذا الأمر وارجع الى قومك فأخبرهم فاذا بلغك ظهورنا فأقبل فقال أبو ذر والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) فقامت اليه قريش فضربوه ضرب الموت حتى أضجعوه على الأرض وأتى العباس فأكب عليه وقال لقريش ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وان طريق تجارتكم الى الشام عليهم فأنقذه منهم ثم عاد أبو ذر من الغد الى مثلها فثاروا عليه وضربوه فأكب عليه العباس وأنقذه منهم كالأول فرجع أبو ذر الى قومه •

كانت المرحلة الاولى من مراحل الدعوة فردية سرية وما أعلنت الدعوة للعموم الا بعد نزول قوله تعالى : « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ » وكان ذلك في السنة الثالثة ولكنها مع خفيتها كان الخبر يتسرب خارج مكة حتى بلغ أبا ذر فأرسل أخاه ولم يكفه الخبر عن العيان فقدم بنفسه وأبى أن يسأل عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أحداً من قريش ، لأنهم كانوا يصدون الناس عنه بالكذب عليه والتزهد فيه وبالاذاية لمن يرون منه تصديقه • وكان من صنع الله له - ومن تاقت نفسه لمعرفة الحق اعين عليه - ان ساق اليه علياً فاستضافه على عادة العرب في استضافة الغريب فكان علي دليله الى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وحارسه في طريق الوصول اليه من أن تصيبه قريش بأذى كما كان أبو ذر متستراً خوفاً على نفسه • فلما دخل على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وشاهد وسمع منه ماحصل له به اليقين

انه رسول الله بادر بالاسلام وأمره النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بكتمان أمره حتى لا تؤذيه قريش وبالرجوع الى قومه ليخبرهم لعلهم يهتدون . وفي هذا دليل على ان من كان في مثل ذلك الحال من خوف وعدم القدرة على العدو يجوز له أن يتكتم ودليل على ان من هداه الله كان حقاً عليه أن يسعى في هداية قومه .

لكن أبا ذر الذي كان متكتماً خائفاً من يوم قدومه الى مكة الى ساعة اسلامه أبى بعد اسلامه أن يبقى متكتماً وأصبح لا يخاف قريشاً ولا يبالي بما يلحقه منها من أذى وأقسم أن يعلن اسلامه وسط مجامع قريش وأقره النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على ذلك وفيه دليل على من أراد أن يتحمل الأذى ويعرض نفسه للهلاك في سبيل اعلان كلمة الحق واظهار قوة الايمان وادخال الرعب والغيظ على قلب العدو كان ذلك حسناً من فعله . وبر أبو ذر في قسمه فقصد الى المسجد حيث نوادي قريش ومجتمع الملأ منهم وصاح بكلمتي الشهادة. « صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً » في لحظة تبدل أبو ذر من الخائف المتكتم الى المعلن الذي لا يبالي بالموت، ولقد كادت قريش تقتله لولا أن أنقذه منها العباس بما خوفها به على أموالها من قبيلة غفار ولكن أبا ذر القوي الايمان الصادق الاسلام أراد أن يعود الى ارغامهم واغاظتهم بعد ما ذاق وتحقق من اذايتهم ليعلمهم أنه أقدم على ما كان أقدم عليه عالماً باذايتهم غير مبال بهـا فعاد الى الاعلان وعادوا الى ضربه وعاد العباس الى انقاذه فرجع بعدئذ الى قومه - وقد استنار قلبه بالايمان واشتفى من قريش - خير قافل بخير هدية فدعاهم الى الاسلام فأسلم على يده أخوه وأمه وكثير من قومه[1] .

---

(١) ش: ج ١ ، م ١١ ، ص ١٤ - ١٦
محرم ١٣٥٤ هـ - افريل ١٩٣٥ م .

أبو ذر الغفاري
رضي الله عنه

— ٢ —

علمه :

العلم ثمرة النظر الصحيح والفهم الثاقب ودوام التحصيل • وقد كان حظ أبي ذر موفوراً من هذه كلها ففي الجاهلية قبل أن يلقى النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — صلى لله وتوجه اليه وحده، روى مسلم في صحيحه[١] عن عبد الله بن الصامت عند قوله : (وقد صليت يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — ثلاث سنين، قلت : لمن ، قال : لله ، قلت : فأين توجه ؟ قال : أتوجه حيث يوجهني ربي • أصلي عشاء حتى اذا كان من آخر الليل ألقيت (انطرحت) كأني خفاء (الغطاء من كساء أو غيره من الثياب) حتى تعلوني الشمس ، فالنظر الصحيح والفهم الثاقب هما ادياه — باذن الله — الى هذا الايمان والتوحيد والعبادة في تلك الجاهلية الجهلاء ، وساقاه الى البحث عن النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — وسرعة الايمان به في السابقين الاولين أما مداومته للتحصيل فانه صحب النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — من يوم قدم المدينة — وكان قدومه بعد الخندق الى وفاته — صلى الله عليه وآله وسلم — فكان[٢] يوازي ابن مسعود في العلم[٣] وقال فيه علي

---

(١) كتاب الفضائل .

(٢) الاصابة .

(٣) الاصابة عن سنن ابن داود .

ابن أبي طالب رضي الله عنه : « أبو ذر وعاء ملىء علماً ثم أوكىء (ربط فم الوعاء بالوكاء وهو الرباط) عليه » .

كان أبو ذر يأخذ نفسه بأعلى درجات الزهد والتقلل من الدنيا ويريد حمل الناس على ذلك بشدة في الحق وصراحة فيه فلم يستطع الناس ذلك وما كانوا ليستطيعوه فكانوا يبتعدون منه وكان هو يحب الانفراد عنهم فلم يتأت نشر علمه فيهم . وهذا هو الذي عناه علي رضي الله عنه بقوله : « ثم اوكىء عليه » .

زهده وورعه :

خرج من الدنيا ولم ينشب (يتعلق) منها بشيء وكان يتحرى عيشة النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — فلا يمسك من المال ما يزيد على مالا بد منه لقوته وقوت عياله[1] . شبهه النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — بعيسى عليه السلام وقال فيه يمشي في الأرض بزهد عيسى بن مريم . وهذا يدل على ان المنزلة التي كان يلتزمها ليست مما يستطيعه جميع الناس ولا مما يكون تكليفا لازما عاما لهم .

صدقه وصدعه بالحق :

قال فيه النبي — صلى الله عليه وآله وسلم[2] — : « ما أظلت الخضراء السماء» ولا أقلت « رفعت » الغبراء « الأرض » من ذي لهجة «لسان» أصدق ولا أوفى من أبي ذر، فكان كما وصفه النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — يقول الحق على الوفاء والتمام صراحة دون تورية ولا تعريض ولا مسامحة لشيء فيه مع أي أحد من الناس ولو استاؤوا وغضبوا وقد كان هذا حاله من يوم اسلامه الى آخر أيامه وقد ذكرنا في الجزء

(١و٢) الترمذي .

الماضي اعلانه باسلامه بين ظهراني المشركين وكانت مواقفه بعد ذلك مع معاوية رضي الله عنه وغيره في مسألة المال كما سيأتي ان شاء الله مما لم يراع فيه خليفة ولا أميراً من الصحابة رضي الله عن جميعهم ورزقنا الاقتداء بهم[1] .

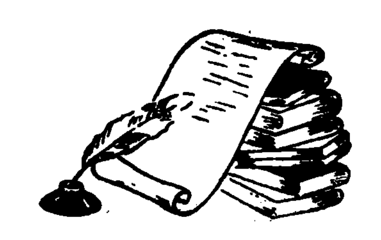

(١) ش : ج ٢ ، م ١١ ، ص ٨٢ ــ ٨٣
غرة صفر ١٣٥٤ هـ ــ ماي ١٩٣٥ م

أبو ذر الغفـاري

رضي الله عنـه

– ٣ –

تربيتـــه :

تثبت الصحبة بمطلق الاجتماع بالنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – مع الايمان به والموت على ذلك ولكن خواص اصحابهم هم الذين لازموه وتفقهوا عليه وتربوا تحت رعايته ، وهؤلاء هم هم الذين ثبتوا على الاسلام لمـا ارتدت العرب بعد موته وثبت الله بهم الاسلام وكان ذلك – باذن الله – من آثار الفقه في الدين والتربية النبوية ٠

كان ابو ذر ممن لازموا النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وتفقهوا وتربوا وظهرت آثار تلك التربية في حياته بعد النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ٠

كان النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – يعرف أخلاق اصحابه ونفسياتهم ومقدار استعدادهم فكان يعالج كل قسم بعلاجه ويوجهه في الحياة حسب استعداده ، وقد تختلف أجوبته في بيان المقدم من اشياء بحسب حال السائل وحاجته وقد يحذر احدا من شيء ويقدم غيره اليه حسب قدرة هذا عليه وضعف ذاك عنه ٠ وفي تربيته لابي ذر مما سنذكره ما يبين ذلك :

كان في ابي ذر شدة وكان لا يتسع صدره لما يرى مما يـكره فكان يحب الوحدة والانفراد[1] ٠ وأول ما كان من شدته في أول

---

(١) محبته للوحدة قالها ابن عباس ، الطبري ج ٥ ص ٦٧

أمره أنه ساب رجلا من الموالي ــ ذكر بعضهم انــه بلال ــ فعيره بأمــه وقال له يا ابن السوداء فقال له النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ [1] « يا أبا ذر أعيرته بأمه انك امرؤ فيك جاهلية » فأنكر عليه تعييره بأمه وبين له ان فيه خلقا من اخلاق الجاهلية وهو التعظم بالانساب ثم بين له أدب الاسلام ــ دين الاخوةوالعدل والاحسان الذي لايفرق بين الاجناس ولا يفضل أحدا على أحد الا بتقوى الله ــ فقال ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ له : « اخوانكم خولكم (خدمكم) جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكــل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم » فتربى ابو ذر بهذه التربية النبوية فلم تبق له شدة الا في الحق وكان يعامل مملوكه بما ندبه به النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فكان يلبسه مثل لباسه فلقيه المعرور بالربَذة وعليه حلة وعلى غلامــه حلة فسأله عن ذلك اذ العادة جارية بان لباس الغلام دون لباس مــولاه فأجابه ابو ذر بالحديث المتقدم ليبين له انه عامل بالوصاية النبوية •

كان ابو ذر شديدا في الحق وكان من مقتضى شدته ان لا يتسع صدره لما يرى مما يكره ، فكان بهذا لا يستطيع معاشرة الناس ولا معاملتهم اذ لا بد أن يكون في الناس مالا يرضيه منهم فهو لهذا يحب الانفراد عنهم وهو لهذا وذاك ضعيف عن القيام بالحكم بين الناس وعن الولاية على المال والرعاية للايتام فلما قال للنبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ الا تستعملني[2] قا ل له النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ « يا أبا ذر انك ضعيف وانها امانة وانها يوم القيامة خزي وندامة إلا من اخذها بحقها وادّى الذي عليه فيها » • فحذره من

(١) البخــاري ومسلم •

(٢) رواه مســـلم •

الامارة وبين له انه ضعيف عنهـا ، فان صدره لا يتسع لما يرى من الخصوم ولددهم وتغالبهم بالحق وبالباطل . وقال له النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مرة اخرى : « يا ابا ذر اني اراك ضعيفا واني أحب لك مـا أحب لنفسي ، لا تأمـرن على اثنـين ولا تولـين مال يتيم » . فنهاه عن اقل الامارة الامارة على اثنين وزاد فنهاه عـن ولاية مال اليتيم اذ ولاية المال تقتضي حفظه وتثميره وذلك يجر الى المعاملة والخلطة وهو ضعيف بخلقه عنهما وعنى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بقوله : « اني احب لك ما احب لنفسي » ما يحبه لنفسه من جلب النفع ودفع الضر لا عين مانهاه عنه بسبب ضعفه .

هكذا تربى ابو ذر بهذه التربية النبوية المراعي فيها طبعه وحاله فكان بعيدا عن الامارة وما اليها زاهدا في الدنيا زهدا أبعده عن جميع أسبابها وابنائها حتى لقي الله ، رحمه الله[1] .

---

(١) ش : جـ ٣ ، م ١١ ، ص ١٤٩ ـ ١٥١
غرة ربيع الاول ١٣٥٤ هـ ـ جوان ١٩٣٥ م .

أبو ذر الغفاري

رضي الله عنه

– ٤ –

منهبه في المال :

اوجب الله الزكاة وجوبا عينيا على من وجدت لديه اسبابها وتوفرت فيه شروطها فهي الحق الثابت في الاموال المقدر المعلوم وفي المال حقوق أخرى للقيام بالمصالح العامة كفك الاسير وتجهيز الميت وغير ذلك فاذا لم يتول ذلك بعض الناس ليسقط الطلب عن جميعهم تعين عليهم كلهم ان يعطوا كل بحسب ما عنده لتحصيل ذلك الواجب على جماعتهم فهذا الحق الثابت في المال ليس مقدرا لانه يختلف باختلاف الاحوال .

وقد كان معلوما بنقل التواتر واجماع ائمة الامصار ان النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – انما كان يأخذ جزءا من المال ويترك الباقي لصاحبه وقد صحّ عنه قوله – صلى الله عليه وآله وسلم – « ليس فيما دون خمس اواق صدقة » أي زكاة .

لكن[1] ابا ذر كان يرى انه لا يجوز ادخار الذهب والفضة بعد أداء زكاتهما ويحتج على ذلك بظاهر قوله تعالى « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ »

---

(١) انظر أحكام الجصاص في تفسير الآية .

وبقوله[1] ـ صلى الله عليـه وآله وسلم ـ له : ((**ما يسرني ان لي أحدا ذهبا تاتي على ثالثة (أي ليلة) وعندي منه دينار الا دينـار أرصده لـدين علي**)) • وبأحاديث أخرى في معنى هذا •

جواب الأئمة عن استدلاله :

لما جاءت النصوص الصحيحة الصريحة بأن الأخذ إنما يكون لبعض الأموال وجب رد الآية المحتملة اليها•فقوله تعالى « وَلا يُنْفِقُونَهَا » معناه ولا ينفقونها كلها وهؤلاء هم الذين لم يعطوا شيئا منها وهم مانعو الزكاة فلا تصدق الآية على الذين انفقوا بعضها وهم المزكون • واما الاحاديث فهي محمولة على الترغيب في البذل وهي حالة فضل لا تجب على الناس ولو وجبت عليهم لما استطاعوا • والواجب هـو الذي يعم واما الفضل فان الناس يرغبون فيه ويأتي كل منهـم بما استطاع وهم في ذلك متفاوتون وقد قبل النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من ابي بكر ـ رضي الله عنه ـ التصدق بجميع ماله ورد على من أراد التصدق بمقدار بيضة من ذهب بعين كل ما يملك صدقة بجميع ما يملك ونهى عن ذلك[2] فاصاب أبو ذر فيما اختاره لنفسه من الزهد وعدم الادخار ولكنه اخطأ فيما اراد من حمل الناس على حالة فضل لم يوجبها الله عليهم ولن يستطيعوها •

اعلانه رايه واثارته الفقراء :

كان أبو ذر الغفاري يعلن برأيه في مجامع الناس بالشام ويندد بالاغنياء غير مكتف منهم باخراج الزكاة ويقول : « يامعشر الأغنياء واسوا الفقراء بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في

---

(١) مسلم .

(٢) سنن أبي داوود في كتاب الزكاة .

سبيل الله بمكاوٍ من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » [1]
فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك واوجبوه على الأغنياء وحتى شكا الاغنياء لمعاوية ــ وهو أمير الشام من طرف عثمان ــ رضي الله عنه ــ ما يلقونه من الناس •

ولو لم يبادر عثمان ــ رضي الله عنه ــ باستقدام ابي ذر ــ رضي الله عنه ــ الى المدينة لاتسع نطاق الفتنة بالشام •

حريـة النظر :

قد خالف ابو ذر اجماع الصحابة بنظريته السابقة مع قيام الدليل القطعي من النقل المتواتر والنصوص القرآنية الكثيرة المتضافرة على خلاف رأيه ، وكان خلافه هذا في مسألة من كبريات المسائل • ومع ذلك تركوا له حرية نظره ولم يلق منهم من اجلها ادنى ضغط ولا اقل تحقير فكانوا بذلك منفذين لما جاء به الاسلام من احترام الآراء وحرية النظر والتفكير •

النتيجـة :

فأبو ذر بمذهبه هذا في المال كان شاذاً بين الصحابة ــ رضي الله عنه ــ مخالفا لاجماعهم ولم يتعرضوا له في نظره واجتهاده الا عندما خشوا من بثه الفتنة على الناس • وقد كان أبو ذر بمذهبه الشاذ هذا اول اشتراكي في المال من المسلمين في اول عصور الاسلام وان لم يعمل بمذهبه في سائر عصوره [2] •

---

(١) الطبري ج ٥ ، ص ٦٦

(٢) ش : ج ٣ ، م ١١ ، ص ٢٠٩ ــ ٢١١
غرة ربيع الثاني ١٣٥٤ هـ ــ جوان ١٩٣٥ م •

أبو ذر الغفــاري

رضي الله عنــه

— ٥ —

استقدام عثمان ـ رضي الله عنه ـ له من الشام :

كان ابو ذر بالشام وكان معاوية اميرا بها لعثمان وكان ابو ذر يتكلم في المجامع ينكر على معاوية أن يقول مال الله يتهمه بأنه يريد أن يمحو عنه اسم المسلمين ليحتجنه دونهم ويندد بالاغنيــاء ان يقتنوا الاموال وحدثت بسبب ذلك فتنة من الفقراء على الاغنياء واعضل الامر على معاوية فكتب الى عثمان يخبره بالحال ، ويشكو إليه أبا ذر ، فكتب إليه عثمان أن أبعث أبا ذر ، ووصاه بتزويده والرفق به ، فلما دخل على عثمان قال له : يا أبا ذر ما لأهل الشام يشكون ذَربَك (حدة لسانك) ؟ فصارحه بما كان ينكره عليهم وعلى معاوية فقال له عثمان : « يا أبا ذر علي أن اقضي ما علي ، وآخر ما على الرعية ، ولا اجبرهم على الزهد وان ادعوهم الى الاجتهاد والاقتصاد »[1] .

فقــه عثمان :

في اسفار التاريخ كلمات كبيرة كثيرة لرجال سلفنا من الخلفاء والامراء والقواد تدل على عظيم فقه في الدين وكبير علم بسياسة الامة وتدبير شؤونها مما يجمع بين تفقيه في الدين وتعليم للحكم والتدبير . منها كلمة عثمان هذه لابي ذر فقد بينت ما على الامير في نفسه وما عليه في رعيته وانه لا يجوز حمل الرعية وجبرها على ما لم

(١) الطبري ج ٥ ، ص ٦٦

توضع عليه الفطرة العامة في البشر من الكمالات الانسانية كعدم التوسع في اقتناء المباحات من الأموال • وانه انما على قادة الأمة أن يدعوها الى تلك الكمالات ويرغبوها فيها ، فيرغبوها في الاجتهاد في العمل والاقتصاد في الاقتناء للاموال — في مسئلة ابي ذر — فبذلك يتربى الناس على العمل والاجتهاد فلا يمدون اعينهم لما في ايدي الناس ويتربون على البذل والسخاء فيما يحصلون من ثمرات كدهم فيجمعون بين العمل والغنى والسخاء •

والأمة التي تبني حياتها على هذه الاصول هي الامة التي تترقى بجميع طبقاتها في مادياتها وروحانياتها فكلام هذا الامام العظيم المأخوذ من اصول الاسلام قانون عظيم في سياسة الامم وتربيتها ومثل من يفقه هذا الفقه هو الذي يصلح لولاية امر العامة • وأبو ذر — وان كان فقيها في الدين — فانه بطبعه الانفرادي ونفرته من الناس لم يكن ليفكر في هذا ولا ليتفطن له ولذا لم يكن صالحا لشيء من الامارة • وقد قدمنا نصح النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — له ان لا يأتمر على اثنين فسبحان من قسم الاخلاق والارزاق ، والعلوم والفهوم ، ثم أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونوجه كلا لما هو أهل له وله مقدرة عليه • فقهنا الله في ديننا وعرفنا باقدارنا واستعملنا فيما نبلغ فيه الى رضاه[1] •

---

(١) ش : ج ٥ ، م ١١ ، ص ٢٨٢ — ٢٨٣
غرة جمادي الاولى ١٣٥٤ هـ — اوت ١٩٣٥ م •

أبو ذر الغفـــاري

رضي الله عنـــه

– ٦ –

خروجه الى الربـــذة :

ادرك ابو ذر بعد قدومه على عثمان انه لا يستطيع مخالطة الناس فاستأذن عثمان في الخروج الى الربذة فاذن له أو أن عثمان قال له (او اعتزلت) عرض عليه مارآه اصلح له فاختار الربذة وعلى كلتـــا الروايتين لم يأمره عثمان بالخروج حتى يقال فيه أنه قد نفاه كما يقوله المتجنون على عثمان رضي الله عنه .

خرج ابو ذر الى الربذة[1] فخط بها مسجدا واقطعه عثمان صرمة من الابل واعطاه مملوكين وارسل اليه ان تعاهد المدينة حتى لا ترتد اعرابيا . وقد نهوا عن التعرب بعد الهجرة لما في التبدي والانقطاع عن الجماعة ومشاهد العلم والدين من الجفوة .

تحـــذير :

قد ابتلي عثمان بأنواع من البلايا منها ما ينقمه عليه قوم بالباطل فمن ذلك نقمتهم عليه نفيه أبا ذر وقد رأيت فيما ذكرنا انه لم ينفه . ثم هبه نفاه بالنظر المصلحي كان ماذا ؟[2] فقد روي أن عمر ــ رضي الله عنه ــ سجن ابن مسعود في نفر من الصحابة سنة بالمدينة حتى استشهد فأطلقهم عثمان وكان سجنهم لأن القوم أكثروا الحديث عن رسول الله

(١) الطبري ج ٥ ص ٦٦ .

(٢) العواصم ج ٢ ص ١٠٩ .

ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهذا ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ نقم على عثمان انه لم يدخله في كتابة المصحف ، وقدم زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ مع أن عثمان كان مقتديا بأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وقد قدم زيد بن ثابت لجمع المصحف دون ابن مسعود ولم يقل يوم ذلك ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ شيئاً وقد راجع ابن مسعود الحق وقبل ما صنعه عثمان .

فعلى الناظر في تاريخ عثمان ـ رضي الله عنه ـ أن يتثبت ويتحرى حتى لا يقع في ظلم وباطل في حق هذا الامام الشهيد العظيم .

وفاتـه :

توفي بالربذة في ذي الحجة من السنة الثامنة من خـلافة عثمان وحضر دفنه ابن مسعود في ركب كانوا قافلين من الحج وضم عياله عثمان الى عياله . وطويت بوفاته صفحة من حياة زكية فاضلة شاذة في عصر الخير والفضل بين فضلاء أخيار من أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يتشدد في الزهد . ونظريته في المال ما كرهوا له منهما الا ما أراده من تعميمها في الناس . فرحم الله تلك الأرواح الطاهرة التي كانت تمثل الكمالات الانسانية بأنواعهـا ، وتتفاوت في بلوغ الغايات منها لتكون قدوة لمن يجيء بعدها كل بما فيه من استعداد لما خلق له من أنواع الكمال .

فجازاهم الله عنا خير الجزاء ورزقنا الاقتداء بهم ولزوم جماعتهم حتى نلقاه ... جل جلاله ... غير مبدلين ولا مغيرين[1] .

(١) ش : ج ٦ ، م ١١ ، ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠ .
غرة جمادي الثانية ١٣٥٤ هـ ـ سبتمبر ١٩٣٥ م .

سيدنا بــلال الحبشي

رضي الله عنــه

نسبه :

هو ابن رباح مُوَلَّد بمكة وأصله من الحبشة وأمه[1] حمـــامة من السابقات كانت تعذب في الله مثله •

اسلامه :

لما دعا محمد رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ الى الاسلام أجابه ضعفاء الناس سنة الله في اخوانه الانبياء ــ صلوات الله عليهم وسلم ــ من قبله • قال[2] عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : كان أول من أظهر اسلامه سبعة : رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وابو بكر وعمـــار وامه سمية وصهيب وبلال والمقـــداد ، فأما رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فمنعه الله بعمه أبي طالب وأما ابو بكر فمنعه الله بقومه وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس فما منهم من أحد الا وقد واتاهم على ما أرادوا الا بلالا فانه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولـــدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول : احد أحد • وليس في هؤلاء المستجيبين لرسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ من نفس قريش الا ابو بكر وبقيتهم بين مولى وحليف وقد كان بلال أسبق هؤلاء بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه •

---

(١) البخـــاري •

(٢) في الصحيحين •

تعذيبه في الله وصبره :

عدت قريش على المستضعفين تعذبهم وتفتنهم لِتَصرفهم عن الاسلام فكان امية بن خلف الجمحي يخرج بلالا اذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له لا تزال كذلك حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيصبر بلال على ذلك العذاب ويقول وهو في ذلك البلاء : أحد أحد • ويأبى أن يقول كلمة الكفر بلسانه وقد علم انه لا اثم على من يقولها بلسانه اذا اكره وقلبه مطمئن بالايمان ويأبى أن يترخص كما ترخص اخوانه المستضعفون وأن يواتي ويوافق كفار قريش ولو بكلمة واحدة •

ترجيح واقتداء :

الحالة التي كان فيها بلال من الصبر والثبات والاباية من شيء من الترخص ـ أرجح من حالة الترخص وان كانت هذه سائغة جائزة اذ في الحال الاولى اقامة التوحيد وارغام المشركين وتثبيت للدعوة وجلب اليها وتقوية لقلوب المستجيبين لها وضرب المثل لكل من اصيب وعذب في الحق ولو ان جميع المبتلين ترخصوا لخفتت كلمة التوحيد وطغت كلمة الشرك وازداد ظلم أهلها ولتزلزلت الدعوة واضطربت قلوب ضعفاء الايمان وأعرض عنها كل من لم يكن قد استجاب • ولا شك ان حالة الصبر وعدم الترخيص هي حالة الانبياء ـ صلوات الله عليهم ـ وحالة الكبَراء من أصحابهم حتى قتل منهم من قتل وعذب منهم من عذب كما قص أخبارهم القرآن العظيم •

عتقه :

كان ابو بكر الصديق ـ رضي‌الله عنه ـ داعية الاسلام من يوم أسلم وكان بلال ممن استجاب له فلما رأى ما حل به من عذاب اشتراه

فأعتقه فكان سبباً في عتقه من الرق وعتقه من العذاب وعتقه من الكفر • كما اشترى امه حمامة وأعتقها في آخرين من العبيد الذين عذبوا في الله • فياله من عتيق معتق رضي الله عنه •

جهـاده :

شهد مع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ المشاهد كلها وبعد وفاة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ خرج الى الشام مجاهداً حتى مات بها مرابطاً •

والتقى في غزوة بدر بأمية بن خلف وقد أسره عبد الرحمن بن عوف قبل أن يجمع الاسرى فقتله فمكنه الله من عدوه الذي كان يعـذبه ذلك العذاب حتى قتله بيده •

وظيفتـه :

كان أول من أذن في الاسـلام واستمر يؤذن حيـاة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وحياة ابي بكر ـ علىاحدىالروايتين ـ وأذن مرة بالشام لما قدمها عمر فبكى وأبكى : ذكر الناس بأذانه عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ •

جزاء الحكيم :

كان بلال ـ وهو يقاسي العذاب الشديد ـ يلهج باسمه تعالى : أحد فيخف ما يلقاه من ألم التنكيل بلذة التوحيد فكان من جزاء الله الحكيم له أن جعله مؤذن نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأول من رفع عقيرته بكلمة التوحيد في الاذان • عرف الله في الشدة • فعرفه الله في الرخاء لم يترك اسم أحد في أصعب أوقات حياته فألزمه الله التعبد بالجهرية على الناس معظم حياته • فكان الجزاء من جنس العمل من الحكيم العليم •

ثناء عمر رضي الله عنه :

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : (أبو بكر سيدنا واعتق سيدنا) يعني بلالا فقرنه بأبي بكر في سيادتهم اعترافاً له لما كان من سبقه للاسلام وصبره على البلاء فيه وما كان عليه في دينه وفضله ومكانته عند النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ، وقد كان عمر – رضي الله عنه – شديد التعظيم للسابقين الأولين والتقديم لهم وخصوصاً أهل المنازل الخاصة عند النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – حتى قال لابنه عبد الله بن عمر لما رجح عليه أسامة بن زيد في العطاء : كان أحب الى رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – منك وكان ابوه أحب اليه منك هذا وان كانت منزلة عمر – رضي الله عنه – معروفة في الفضل لكنهم هذه أخلاقهم – رضي الله عنهم – ينسون أنفسهم عندما يتحدّثون على فضل غيرهم حتى كأنهم لا يعرفون لأنفسهم فضلا .

تبشيره بالجنة :

رأى النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ليلة انه دخل الجنة وسمع[1] خشف نعلي بلال بين يديه في الجنة فقال له حدثني بأرجى عمل عملته عندك في الاسلام منفعة ، فقال بلال ما عملت عملا في الاسلام أرجى عندي منفعة من اني لا أتطهر طهورا تاما في ساعة من ليل أو نهار الا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن اصلي[2] وكان لا يحدث الا توضأ وصلى .

فكان يصل الحدث بالوضوء والوضوء بالصلاة فلا يكون الا على طهارة ولا تنفصل طهارته عن الصلاة فهذه الطّهارة الدائمة والصلاة الملازمة هي التي عدها أرجى أعماله في الاسلام عنده منفعة . ذلك

(١) صوتهما عند تحركهما في المشي .

(٢) في مسند أحمد .

لأن هذه الطهارة الدائمة في الظاهر دليل الطهارة الدائمة في الباطن • وعلى طهارة الباطن تنبني جميع الاعمال وقد عمل هو هذا العمل يرجو منفعته عند الله ــ كما هي وضعية الاسلام للطاعات كلها ــ فحقق الله رجاءه•وكان ما رآه النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ من وجوده في الجنة بين يديه بشارة له بأنه من أهل الجنة وانه بمنزلة القريبة من النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وكما كان خادماً للنبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يمشي بين يديه في الدنيا كذلك رآه في الجنة تنبيها على ان كل خير ناله ــ مثل كل من ناله شيء من الخير ــ هو من اتباعه للنبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ والقيام بخدمته • وفي هذا كله منقبة عظيمة له بجليل عمله • وبشرى صادقة بعظيم ثوابه عند ربه رضي الله عنــه •

سنه ووفاته :

مات بالشام في طاعون عمواس سنة عشرين وقد ناهز السبعين ، ودفن بمقبرة دمشق وقيل بحلب فرحمه الله وجمعنا به في دار النعيم آمــين [1] •

(١) ش : ج ٩ ، م ١١ ، ص ٥٠١ ــ ٥٠٤
غرة رمضان ١٣٥٤ هـ ــ ديسمبر ١٩٣٥ م .

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف
خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم

عكاشة بن محصن

رضي الله عنـــه

اسمه ونسبه :

العكّاشة ، بشد الكاف وتخفيفها ، العنكبوت وبه سمي وهو ابن محصن من بني اسد بن خزيمة حليف لبني امية •

سابقته ومشاهده :

من السابقين الأولين ، شهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد ، واستشهد في حروب الردة قدمه خالد بن الوليد هو وثابت بن أقرم العجلاني طليعة يوم بزاخة لقتال طليحة الأسدي ، تعاون عليه طليحة وأخوه سلمة فقتلاه بعد ماقتل سلمة ثابتا ، فمات شهيداً رحمه الله •

اخبـــار تتعلق بــه :

١ – سبقك بها عكاشة : ثبت في الصحيح ان رسول‌الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال : **(يدخل الجنة من امتي زمرة هم سبعون الفاً تضيء وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر)** فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم • فقال : اللهم اجعله منهم ، ثم قام رجل آخر فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : **سبقك بها عكاشة** ، فجرت‌هذه الكلمة النبوية‌مثلاً يضرب لمن أراد أمراً قد سبقه به غيره •

بيـــان :

كانت ساعة اجابة وانقضت فبردت الدعوة لصاحبها أو كان يستحق الدعوة من سبق اليها برغبته مبتدئا دون من جاء ثانيا تابعا • وفضيلة السبق لها أثرها •

٢ ـــ سيفه الذي يسمى العون : كان عكاشة قد أبلى البلاء الحسن يوم بدر فضرب بسيفه حتى انقطع في يده فناوله رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ جذلا من حطب وقال قاتل بهذا يا عكاشة فلما أخذه وهزه عاد في يده سيفاً صارماً طويلاً •

بيـــان :

ذكر هذا ابن اسحاق وغيره • وانقلاب الجذل سيفاً هو من جنس ما تواتر تواتراً معنوياً من تأثر المواد الجامدة بلمسه أو دعائه • والذي كمل الله روحه حتى تزكت على يده نفوس تلك الأمة الأمية المنغمسة في حمأة الشرك ، والوثنية حتى كان منها في أقرب وقت هداة البشرية ليس بكثير في حقه أن تتأثر بلمسه الجمادات •

اقادة رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ له من نفسه :

روى أبو نعيم في « الحليـــة » حـــديثاً فـــي وفـــاة رسول الله ـــ صلى الله عليـــه وآله وسلم ـــ مطولاً وفيـــه ان رســـول الله ـــ صلى الله عليـــه وآلـــه وسلم ـــ أعطى قضيبـــاً لعكاشة ليقتصّ لنفســـه من رسول الله ـــ صلى الله عليه وآلـــه وسلم ـــ بضربة كـــان ضربـــه رسول‌الله ـــ صلى‌الله عليه‌وآله‌وسلم ـــ اياها بذلك‌القضيب، وهو حديث موضوع • قال السيوطي : آفته عبد المنعم • وقال ابن الجوزي : هذا حديث موضوع لا محالة • كافأ الله من وضعه ، وقبح من شين الشريعة بمثل هذا التخليط البارد والكلام الذي لايليق بالرسول ولا بالصحابة ، والمتهم عبد المنعم بن ادريس • قال أحمد بن حنبل : كان يكذب على

وهب ، وقال : يحيي كذاب خبيث ، وقال ابن حبان : كان يضع الحديث على أبيه وعلى غيره اه •

تنبيه وتحذير :

ذكرنا هذا الحديث الموضوع الذي رواه أبو نعيم في كتابه (حلية الاولياء) لننبه على وضعه ولنحذر قرّاء « الحلية » وقد طبعت منها أجـزاء ، من الاعتماد على كل ما فيها فان كثيراً من المنتسبين للعلم يغترون باسم الكتاب واسم المؤلف فيتناولون كل ما فيه من الاحاديث بالقبول والتسليم كأنه ثابت صحيح مع اننا نجد فيه مثل هذا الحديث الموضوع الذي قد قال فيه ابن الجوزي ما قال •

القـدوة :

هذا الصحابي البدري الجليل قد دل بسؤاله الدعاء أن يكون من السبعين على حرصه على الكمال ورغبته في الفوز بأعلى الدرجات ، وخوفه من الحساب ، ولم يكن سؤاله ذلك منافياً لاخلاصـه لله في عبادته ولا حاطّاً شيئاً من درجته ، بل كان سبباً لفوزته بتلك الدعوة ونيله تلك المنزلة ، فنعم القدوة هو ــ رضي الله عنه ــ في العمل لله مع الرجاء في فضله وطلب المزيد منه ، والخوف من عقابه وطلب البعد عنه • هذه هي سنة عباد الله الصالحين وفيها أبلغ الرد على المتنطعين المتكلفين • رزقنا الله اتباعهم في هديهم هدي محمد – صلى الله عليه وآله وسلم ــ ورضي عنهم وأرضاهم[1] •

---

(١) ش : ج ١ ، م ١٣ ، ص ٩ ــ ١١ .
غرة محرم ١٣٥٦ هـ ــ ١٤ مارس ١٩٣٧ م •

الرُّبَيِّعُ بِنتُ مُعَوِّذ

رضي الله عنهـا

اسمها ونسبها :

هي الربيع بنت معوذ من بني عدي بن النجار الانصارية .

سابقتها ومشاهدها :

ممن حَضرن بيعة الرضوان وكانت ممن يغزون مع النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من النساء كن يخدمن الجيش ويسقين الماء ويقمن على الجرحى فيداوينهم ويحملنهم فيرددنهم الى المدينة .

قدرها ومنزلتها :

كان لها قدر عظيم ومنزلة رفيعة فقد كانت من بيت شهد عدة من رجاله بدراً ومنهم من استشهد بها وهي من الغازيات كما تقدم . ومن قدرها هذا ان النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ جاءها غداة عرسها فقعد على فراشها وجعلت جويريات من الانصار يضربن بالدف ويذكرن من قتل من آبائها يوم بدر ، وهو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يسمع ويقرهن على ضربهن وغنائهن حتى قالت احداهن : « وفينا نبي يعلم ما في غد » فقال لها : (دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين) .

حكاية طريفة عنهـا :

كانت يوماً في نسوة فدخلت عليها أسماء بنت مخربة تبيع العطر ـ وأسماء هذه ام ابي جهل ـ والربيع أبوها أحد من قتل أبا جهل ـ

فلما عرفتها أسماء قالت لها : أنت ابنة قاتل سيده؟ قالت الربيع، بل قاتل عبده : فقالت أسماء : حرام علي أن أبيعك من عطري شيئاً ، قالت الربيع: حرام علي أن أشتري منه شيئاً ، وقالت ــ لتغضبها ــ : ما وجدت لعطرتنا غير عطرك ، وافترقتا على غضب وقطيعة •

الفوائد والاحكام

النساء في الحرب :

ما كانت تقوم به الربيع ومن معها من النسوة في الغزو أصل لتأسيس فرقة النسوة الممرضات في الجيش ، ويستتبع ذلك لزوم تهيئتهن لذلك بتعليمهن ــ غير مخلطات بالرجال ــ ما يحتجن اليه في الحرب من القيام بعملهن والدفاع عن أنفسهن واستعمال ما يقيهن من الهلاك مع تدريبهن على ذلك كله وتمرينهن عليه ، لأن الشارع قد أقر هذه المصلحة فكل ما تتوقف عليه في أصلها أو كمالها واتقانها فهو مشروع •

اقرار الحق وانكار الباطل :

الضرب بالدف والغناء في العرس وذكر الاموات بمحامدهم ومقاماتهم ــ كل هذا مشروع ، فأقر النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ الجويرات عليه • اما علم أحد من الخلق : الأنبياء فمن دونهم بما يكون في المستقبل فباطل ممنوع ، قوله واعتقاده ، ولهذا نهاهن النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ عنه وأمرهن أن يعدن الى ماكن فيه، ولا ينافي هذا ان الله قد يطلع أنبياءه ــ عليهم الصلاة والسلام ــ على بعض ما يكون في المستقبل لأنه علم محدود في شيء مخصوص ، كان باعلام الله فلا يتجاوز علمهم الى ما عداه مما في أحشاء المستقبل من الغيب ، ولا لما في الحال منه مما لم يعلموا به ، وهكذا كانت سنته

ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقر الحق ويرتضيه وينكر الباطل وينفيه.

حزازات النفوس :

لم تستطع الايام ولا الدخول في الاسلام ، أن تمحو أثر حـزن أسماء على قتل أبي جهل أبيها فما عرفت ابنة أحد قاتليه حتى نفثت بما في صدرها ولم تستطع أن تعامل ـ بالبيع والشراء ـ من رأت في وجهه وجه قاتل أبيها ، ولا يقدح هذا في اسلامها لأن ما كان منها كان عن طبع لا تقوى خلقة الانثى على مقاومته . ومن هنا نعـلم ان مما تتحتم مراعاته في النساء هو هذه الناحية الضعيفة الحساسة فيتحرز دائماً من عدم اثارة ما يحرك ما تبقى آثاره كامنة في نفوسهن من فقد عزيز أو لحوق مكروه .

القـدرة :

هؤلاء السيدات الصحابيات رضي الله عنهن قد كن يشاركن الرجال في الحرب وهي أبعد الأشياء عن طبعهن ويقمن معهم بما يليق بهن فلنا فيهم وفيهن القدوة الحسنة أن نشرك معنا نساءنا فيما نقوم به من مهام مصالحنا ليقمن بقسطهن مما يليق بهن في الحياة ـ على ما يفرضه عليهن الاسلام من صون وعدم زينة وعدم اختلاط ، ولن تكمل حياة امة الا بحياة شطريها : الذكر والانثى .

نسئل الله أن ينهض بنا رجالاً ونساء في خدمة الاسلام وفي دائرة الاسلام انه القريب المجيب[1] .

(١) ش : ج ٣ ، م ١٣ ، ص ٨١ ـ ٨٣
صفر ١٣٥٦ هـ ـ ١٣ افريل ١٩٣٧ م .

سمية بنت خباط

رضي الله عنهـا

بيتهـا :

هي أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي ، زوّجها لحليفه ياسر العنسي ، فولدت له عمـارا فأعتقه أبو حذيفة ، فبيتها يرتبط ـ ولاء وحلفا ـ ببني مخزوم من قريش •

اسلامها وسابقتها :

من السابقين الاولين هي وزوجها وولدها •

تعذيبها واستشهادها :

كانت هي وزوجها وابنها يعذبون أشد العذاب في الله فيأمرهم النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة فيقول : **صبراً يا آل ياسر فان موعدكم الجنة** • فقتل زوجهـا في العذاب وأعطى عمار بلسانه ما سأله منه المشركون وفيه وفي مثله نزل قوله تعالى : « إلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاة » وأما هي فان أبا جهل طعنها بالحربة في قُبُلها حتى قتلها ، وهي يوم ذاك عجوز كبيرة ضعيفة فكانت أول شهيد في الاسلام •

اوليات النساء في الاسلام :

لا تقوم الحيـاة الا على النوعين اللذين يتوقف العمران عليهما ، وهما الرجال والنساء ، وفي الاسلام كتابه وحياة رسوله ـ صلى الله

عليه وآله وسلم ــ وتاريخ بدايته ــ آيات وأنباء ووقائع تدل على ذلك وتدعو الى اعتباره والعمل بموجبه • وانظر الى حظ المرأة في السَّبق الى تأييد الاسلام بالنفس والمال ، والعطف والحنان ، فأول مال وجده رسول الاسلام ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ هو مال خديجة، وأول عطف لقيه ، وأول قلب انفتح لسماع كلمة النبوة ــ كما في حديث بدء الوحي ــ هو عطف خديجة وقلب خديجة ، وأول شهيدة في الاسلام ــ كما اتفق عليه علماء السيرة ــ هو سمية • فلن ينهض المسلمون نهضة حقيقية اسلامية الا اذا شاركهم المسلمات في نهضتهم في نطاق عملهن الذي حدده الاسلام وعلى ما فرضه عليهن من صوْن واحتشام•

الأسوة :

هي سنة الله عرفناها في تاريخ البشرية ، لا بد في سبيل الحق من ضحايا • ولقد كانت هذه العجوز الضعيفة مثلاً رائعاً في الصبر والثبات واليقين حتى فازت بتلك الأولية • وكانت في ذلك أحسن قدوة ــ لا لخصوص النسوة ــ بل لأهل الرجولة والقوة •

فاللهم ايماناً كإيمان هذه العجوز وصبراً كصبرها ، وشهادة كشهادتها ، آمين يا رب العالمين[1] •

(1) ش : ج ٢ م ١٣ ، ص ١٢٥ ــ ١٢٦
غرة شعبان ١٣٥٦ هـ ــ ماي ١٩٣٧ م .

هند بنت عتبة رحمها الله

هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف زوجة أبي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس وام معاوية بن أبي سفيان ، أسلمت يوم فتح مكة بعد اسلام زوجها .

كيف اسلمت :

بات المسلمون الليلة الموالية ليوم الفتح يصلون بالمسجد الحرام فرأت هند منهم ما لم تعهد ، فقالت والله ما رأيت الله عبد حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة ، والله ان باتوا الا مصلين قياماً وركوعاً وسجوداً . وأرادت المجيء الى النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وخافت من ماضيها في الجاهلية فذهبت الى عمر فجاء معها فاستأذن لهافدخلت وهي متنقبة فأسلمت ولما بايع النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ النساء وهي معهن ومن الشرط فيها ، ان لا يسرقن ولا يزنين ، قالت هند: وهل تزني الحرة وتسرق يا رسول الله ؟ فلما قال : وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلاَدهنَّ ، قالت : قد ربيناهم صغاراً وقتلتهم ببدر كباراً . ثم رجعت الى بيتها فجعلت تضرب صنماً لها بالقدوم حتى فلذته فلذة فلذة وتقول : كنا معك في غرور .

صدق اسلامها :

أسلمت متأثرة بما رأت من حال المسلمين وبادرت الى كسر صنمها وأصبحت تريد أن تعرف ما يحل لها وما يحرم في الاسلام فشكت الى النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقالت أنَّ أباسفيان رجل مسيك بخيل وانه لا يعطيها من الطعام ما يكفيها وأولادها الا ما أخذت منه بغير

علمه فهل عليها من حرج ؟ فقال لها رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك أنت وولدك ، فما كانت تفعله قبل اسلامها ولا تتحرج منه أصبحت بعده متحرجة تسأل عن حكم الله فيه وما ذلك الا من صدق إسلامها واخلاصها فيما آمنت به .

اخلاقها :

كانت امرأة لها نفس وأنفة وفيها صراحة وجرأة واعتداد بنفسها وقصتها في الجاهلية مع أول أزواجها الفاكه بن المغيرة وقصة اختيارها للأزواج وغيرها مظهر من مظاهر هذه الأخلاق . وما في حديث اسلامها من مراجعتها للنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من تلك الاخلاق ،وأهل هذه الأخلاق اذا كفروا واذا أسلموا أسلموا بصدق وكذلك كانت هند في جاهليتها واسلامها .

عبرة وقدوة :

انظر الى الاسلام الصادق كيف تظهر آثاره في الحين على أهله وكيف يقلب الشخص سريعاً من حال الى حال وبه تعرف اسلاماً من اسلام .

وانظر الى حلم النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كيف قابل هذه المرأة التي كان منها ما كان في يوم احد من أقوال وأعمال فضرب عن ذلك كله صفحاً وكيف واجهته بما واجهته به عند قوله : ولا يقتلن أولادهن ، ثم أعرض عن ذلك كأنه لم يسمعه كل هـذا حلماً وكرماً وحرصاً على هداية العباد فصلى الله عليه وآله وسلم من نبي كـريم بالمؤمنين رؤوف رحيم خير قدوة للعالمين[1] .

(١) ش : ج ٢ ، م ١٥ ، ص ٦٦ ـ ٦٧ .
غرة صفر ١٣٥٨ هـ ـ مارس ١٩٣٩ م .

نُعيمان بن عمرو النجاري الانصاري
رضي الله عنـه

سابقته ومشاهده :

شهد العقبة الاخيرة ، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها.

ظرفه ونوادره :

كان ظريفاً كثـير الدعابة والمزاح حتـى يبلغ به ذلك الى النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كان لا يدخل المدينة طُرفة الا جاء بها الى النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فيقول ها أهديته لك . فاذا جاء صاحبها يطلب الثمن أحضره الى النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وقال اعط هذا ثمن متاعه فيقول ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أو لم تهده لي فيقول انه والله لم يكن عندي ثمنه ولقد أحببت أن تأكله فيضحك ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ويأمر لصاحبه بثمنه .

وخرج مرة مع أبي بكر في تجارة الى بصرى ومعهما سويبيط ابن حرملة البدري وكان سويبيط متولياً على الزاد فجاءه نعيمان فقال: أطعمني. فقال : لا ، حتى يجيء أبو بكر . فقال : لأغيظنك ، فذهب الى قوم ممن جلبوا ابلا الى السوق فقال لهم ألا تبتاعون مني غلاماً عربياً فارها وهو ذو لسان ، ولعله يقول لكم انا حر فان كنتم تتركونه لذلك فدعوه من الآن ولا تفسدوا علي غلامي فقالوا بل نبتاعه منك بعشر قلائص . فأقبل بها يسوقها وأقبل بالقوم حتى عقلها ثم قال دونكم هو هذا . فقال القوم لسويبيط قد اشتريناك من سيدك فقال هو كاذب أنا رجل حر . قالوا قد أخبرنا خبرك ، وطرحوا الحبل في رقبته وذهبوا به ،

وجـاء أبو بكر وأصحاب له فأدركوا القوم وردوا اليهـم القلائص وعرفوهم الحقيقة • فضحك رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وأصحابه رضي الله عنهم من هذه النادرة مدة عندما يتذكرونها •

وقدم أعرابي فدخل على النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وأناخ ناقته بالفناء فقال بعض الصحابة للنعيمان لو عقرتها فأكلناها فانا قد قرمنا الى اللحم • ففعل ، فخرج الأعرابي فصاح: واعقراه يا محمد ، فخرج النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فقال من فعل هذا فقال النعيمان فاتبعه يسأل عنه حتى وجده قد دخل دار ضباعة بنت الزبير واستخفي في سرب لها وجعل عليه السعف والجريد • فأشار اليه رجل ورفع صوته يقول ما رأيته يا رسول الله ويشير باصبعه حيث هو فأخرجه رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وقد تغير وجهه بالسعف الذي سقط عليه وقال له ما حملك على ما صنعت • قال الذين دلوك علي يا رسول الله هم الذين أمروني فجعل رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يمسح عن وجهه ويضحك ثم غرمها رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ للاعرابي •

الاسلام دين السماحة والسجاحة :

هؤلاء هم خيار الأمة ، وهم أهل الصدق والجد ، وذوو القوة في الحق والصلابة في العقيدة ، وهكذا كانوا أهل سماحة وسهولة وسجاحة ولين في الحالة الاعتيادية • حتى ينفق بينهم مثل هـذا الظرف والمزح والدعابة ، فاذا الجد فهـم هم ، فالتزمت والعبوس خشونة ويبوسة في الخلقة ، أو تكلف ورياء ، وحسبك بهما من شرين • وقد كان النبي – صلى الله عليه وآله وسلم ــ يمزح ولا يقول إلا حقاً فلا يبلغ المزاح بكبار الناس الى ما بلغ اليه نعيمان ولكن لا تضيق أخلاقهم بمثله •

نقص رجح به الكمال :

كان نعيمان رجلا صالحاً وكان يصيب من الشراب فيجاء به الى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فيقيم عليه الحد فقال له رجل مرة : لعنه ، فقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : لا تفعل انه يحب الله ورسوله .

قد كان الحد له طهرة ، وكانت التوبة له مرجوة ، وكان عنده من محبة الله ورسوله ما رجح بذلك النقص والبلية ، ولعن المعين لا يجوز .

أتقول كيف كان يحب الله ورسولهويشرب الخمر؟ فنقول : قد برهن على صدق حبه لله ورسوله ببذله نفسه في تلك المشاهد العظيمة التي شهدها والجود بالنفس أقصى غاية الجود . وأي دليل أدل على صدق الحب من بذل النفس . وأين تقع عبادة ذلك المتعبد الجثامة المنزوي الحريص على الحياة ، من ذلك المسلم العادي الذي نصب نفسه هدفا للبلايا والمحن ، واقتحم أسباب الهلاك في سبيل الله على هنات فيه ؟

هذا ، والله ، أنفع لعباد الله ، وأصدق حباً لله ، وأقرب الى رضوانه ، وأدنى الى المتاب عليه . لانه من الذين باعوا لله أنفسهم وأموالهم ، فاستبشروا ببيعهم الذي بايعوا به « ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيم »[1] .

---

(١) ش : ج ٣ ، م ١٥ ، ص ١١٣ - ١١٥
غرة ربيع الاول ١٣٥٨ هـ - افريل ١٩٣٩ م .

الشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية

رضي الله عنهـا

سابقتهـا :

أسلمت قبل الهجرة ، وكانت من المهاجرات الأول .

منزلتها الشخصية :

كانت من عاقلات النساء وفضلياتهن ، وكانت تحسن الكتابة ، وهي التي قال النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : « ألا تعلمين هذه ــ حفصة ــ رقية النملة كما علمتها الكتابة » .

منزلتها في المجتمع :

كان عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ يرعاها ويفضلها ويقدمها في الرأي . تقديراً لسابقتها وعقلها ومعرفتها وفضائلها ، وكان ربما ولاها شيئاً من أمر السوق .

الاقتــداء :

تتعلم المرأة الكتابة ، وتعلم غيرها ، وتتولى تدبير أملاكها وتجارتها، وما تستطيعه من عمل عام . كما تولت الشفاء أمر السوق في بعض الأحيان ، ولا شك ان مما أهلها لذلك عند عمر معرفتها بالكتابة .

تحذيــر :

يجري على الألسنة ما رواه الطبراني عن الاوسط : عن عائشة مرفوعاً : « لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة ، وعلموهن الغزل

وسورة النور » قال الشوكاني : في سنده محمد بن ابراهيم الشامي ، قال الدارقطني : كذاب ، وكثيراً ما تكون هذه الاخبار الدائرة على الألسنة باطلة في نفسها معارضة لما صح في غيرها فيجب الحذر منها • وقد قدمنا في الجزء الماضي من أدلة تعلم النساء الكتابة ما فيه الكفاية [1] •

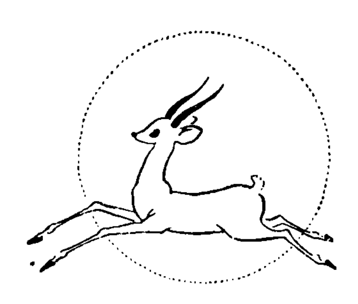

(١) ش : ج ٤ ، م ١٥ ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩
غرة ربيع الثاني ١٣٥٨ هـ ـ ماي ١٩٣٩ م •

النعمان بن عدي العدوي

رضي الله عنــه

نسبــه :

النعمان بن عدي بن نضلة القرشي العدوي من قوم عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — •

سابقتــه :

هاجر هو وابوه عدي الى الحبشة ومات أبوه بها •

ولايته وعزله :

ولاه عمر ميسان — بين البصرة وواسط — ثم عزله فنزل البصرة فلم يزل بها يغزو مع المسلمين حتى مات • وهكذا كانوا — رضي الله عنهم – لا يؤثر عليهم العزل فهم يعملون للاسلام في سبيل الله فــي أيام العزل مثل أيام الولاية •

خاصتان له :

الاولى : انه هو أول وارث في الاسلام وأبوه الذي مات في الحبشة أول مورث • والثانية : انه هو الوحيد من بني عدي الذي ولاه عمر ولم يول عمر رجلا من قومه سواه قطعاً لكل قالة سوء وبعداً عن « المحسوبية » ومحاباة الاقربين •

ادب وقدوة :

لما ولاه عمر ميسان أراد زوجته على الخروج معــه فأبت عليه

فكتب اليها هذه الأبيات ليثير غيرتها فيحملها على اللحوق به :

أَلاَ هَلْ أَتَى الحَسْنَاءَ أَنَّ حَلِيلَهَا
بِمَيْسَانَ يُسْقَي فِي زُجَاجٍ وَحَنْتَمِ [1]

إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي دَهَاقِينُ [2] قَرْيَةٍ
وَصَنَّاجَة[3] تَجْذُو[4] عَلَى كل مَنْسِمِ [5]

فَإِنْ كُنْتَ نَدْمَانِي فَبِالأَكْبَرِ اسْقِنِي
وَلاَ تَسْقِنِي بِالأَصْغَرِ المُتَثَلِّمِ

لَعَلَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ يَسُوءُهُ
تَنَادُمُنَا فِي الجَوْسَقِ[6] المُتَهَدِّمِ

فلما بلغ ذلك عمر كتب اليه : بسم الله الرحمن الرحيم « حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ » ، أما بعد فقد بلغني قولك : لعل أمير المؤمنين البيت ، وايم الله لقد ساءني ذلك وقد عزلتك .

فلما قدم على عمر وسأله قال والله ما كان من ذلك شيء ، وما كان

---

(١) جرار خضر .
(٢) النجار ورؤساء الاقليم .
(٣) مغنية تضرب بالصنج وهو قرصان من نحاس تضرب احداهما بالاخرى .
(٤) تقعى على أطراف اصابعها منتصبة القدمين .
(٥) اصله احد ظفري البعير .
(٦) القصر .

إلا" فصل من شعر وجدته ، وما شربتها قط ، فقال عمر : أظن ذلك ولكن لا تعمل لي عملا أبداً .

برأ نعمان نفسه فصدقه عمر ولم يذكر له شأنه مع زوجته تكرماً وكانوا على مكانتهم في الدين يتوسعون في الأدب ويقرضون الشعر على حكم الخيال والفن ، ولم ينكر عليه عمر ذلك ، وانما كره أن يكون من أميره ما يكون من سائر الناس وللامارة هيبتها اللازمة للظبط والتنفيذ ، أو أن يجد من أحد ولاته سبيلا للطعن ، ولو بشبهة والولاية يجب أن تكون بعيدة عن المطاعن والشبهات فما يسوغ لعموم الناس قد لا يحتمل لبعضهم بحكم المقام والمنصب . وقد قال الله تعالى: « يَـا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ انِ اتَّقَيْتُنَّ » وأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن ينزل الناس منازلهم[1] .

(١) ش : ج ٥ ، م ١٥ ، ص ٢١١ ـ ٢١٣
غرة جمادى الاولى ١٣٥٨ هـ ـ جوان ١٩٣٩ م .

التعريف بكتاب العواصم من القواصم

للامام ابن العــربي

إن العالم لا يكون إماماً في الإسلام حتى يكون إماماً في فقه العربية ، إماماً في فقه القرآن ، إماماً في فقه السنة ، اذ بــدون هذه لا يفقه الإسلام ، فتلك لغته التي بها أنزل ، وذلك كتابه الذي عليه يعول ، وتلك[1] بيانه ممن به أرسل • وان العلماء الذين بلغوا هذه الذروة في الثلاثة في كل عصر ومصر قليلون وفي درجات هاته المنزلــة متفاوتون •

إذا نظرنا في آثار ابن العربي التي تركها لنا في كتاب احكام القرآن وقد نشر • وكتاب المسالك على موطأ مالك ومنــه نسخة خطية في المكتبة العمومية بالعاصمة ، وكتاب القبس على موطأ مالك بن أنس ومنه نسخة عتيقة أندلسية في خزانتنا ــ وسننشرها ان شاء الله ، وعارضة الاحوذي على جامع الترمذي[2] وكتاب العواصم من القواصم الذي بين أيدينا ــ اذا نظرنا في هذه الآثار علمنا ان هذا الامام ممن بلغوا تلك الذروة وانه جمع الى الامامة في تلك الأصول الامامة في الأصلين ، وفي الفقه ، وفي علوم الحديث ، والتبحر في سائر العلوم الاسلامية المعروفة في عصره ومصره الراقيين المزدهرين والبصر بأقوال الفرق الاسلامية بذلك العهد ، والخبرة بأحوال الناس والزمان • وانه كان في استقلاله العلمي كما قال عن نفسه في هذا الكتاب : « هل

---

(١) يقصد بذلك السنة .

(٢) طبع بمصر سنة ١٣٥٠ هـ .

أنا إلا ناظر من النظار أدين بالاختيار وأتصرف في الأصول بمقتضى الـدليل » .

قد كتب هذا الامام في علوم الاسلام الكتب الممتعة الواسعة وسار فيها كلها على خطة البحث والتحقيق والنظر والاستدلال بعلم صحيح وفكر ثاقب وعارضة واسعة وعبارة راقية في البلاغة وأسلوب حلو جذاب في التعبير .

وهذا كتاب (العواصم من القواصم) من آخر ما ألف قد سار فيه على تلك الخطة ، وجمع فيه على صغر حجمه بين سائر كتبه العلمية فوائد جمة وعلوماً كثيرة ، فتعرض فيه لآراء في العلم باطلة ، وعقائد في الدين ضالة ، وسماها قواصم ، وأعقبها بالآراء الصحيحة والعقائد الحقة مؤيدة بأدلتها النقلية ، وبراهينها العقلية المزيفـة لتلك الآراء والمبطلة لتلك العقائد وسماها عواصم ، فانتظم ذلك مناظرة الفلاسفة السفسطائيين والطبائعيين والإلاهيين ، ومناظرة الباطنية والحلولية ، وأرباب الاشارات من غـلاة الصوفية وظاهرية العقائد ، وظاهريـة الاحكام ، وغلاة الشيعة والفرقة المتعصبة للاشخاص باسم الاسلام واستتبع ذلك ذكر ما وقع في الصدر الاول من الفتن ، والـكلام على الخلافة والامامة وبيان فضل الصحابة واندرج في أثناء ذلك كله تحقيقات تاريخية ومباحث حديثية وتفسيرية ولغوية ونصائح علميـة وارشادات تذكيرية كلها في افادة وايجاز حتى لا تخلو صفحة مـن صفحات الكتاب مما تشد عليه يد الضنين .

سالكاً في سبيل الاحتجاج لعقائد الاسلام ، وابطال العقائـد المحدثة عليه من المنتمين اليه السبيل الأقوم الأرشد ، سبيل الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي هي أدلة نقلية في نصوصهـا عقلية برهانية في مدلولها ، وهذه الطريقة التي أرادها بقوله في هـذا

الكتاب (وهكذا هي حقيقة الملة من أراد أن يدخل فيها داخلة رد عنها اليها بأدلتها) وهي طريقة القرآن الذي اتضح به كمال الشريعة في عقائدها وأدلتها •

وإذ لم يكن بد من الخطأ لغير المعصوم فليس تفاضل الناس في السلامة منه، وانما تفاضلهم في قلته وكثرة الصواب التي تغمره •وللامام ابن العربي في كتابه هذا مما ذكرناه في وصفه من كمال ما يذهب بما قد يكون فيه من بعض خطأ يسير لا يسلم منه بشر ، وحسب كتابه هذا أن يكون مورداً معيناً لطلاب العقائد الاسلامية الحقة بأدلتها القاطعة ، وأصول الاسلام الخالية مما أحدثه المحدثون من خراب وتدجيل ، وأن يكون انموذجاً راقياً في التحقيق في البحث والتعمق في النظر والاستقلال في الفكر والرجوع الى الدليل والاعتضاد بانظار الأئمة الكبار • وأن يكون صفحة تاريخ صادق لما كانت عليه الحالة الفكرية للمسلمين بالشرق والغرب في عصر المؤلف وهو القرن الخامس الهجري ، وكفى بهذا كله باعثاً لنا على طبعه ونشره وتعميم فائدته •

أول سماعي بهذا الكتاب وفضله كان من العلامة الكبير أستاذنا الشيخ محمد النخلي أحد أساطين جامع الزيتونة المعمور ، والنهضة الفكرية بتونس ، فاستعرت نسخة من خزانة الجامع وكانت هي النسخة الوحيدة للكتاب بها •

كتبت هذه النسخة بخط أندلسي قديم في القالب الربعي وكتب في آخرها : (تمت العواصم من القواصم بحمد الله وعونه يوم الاربعاء في العشر الاوسط من شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وستمائة)•

كانت هذه النسخة في خزانة الجامع كالكنز الدفين ، يمنع من الاستفادة التامة منها صعوبة خطها وتخليط أوراقها وأظن ان المسفر لما جمع أوراقها عند التفسير جمع كما اتفق ففككت سفرها وبذلت

الجهد في ترتيبها حتى كملت كما هي بدون أن تنقص منها ورقة ثم بعد سنوات عزمت على نشرها فاستعرت النسخة من خزانة الجامع المذكور واستنسخت منها بنفسي نسخة قدمتها للطبع بالمطبعة الجزائرية الاسلامية بقسنطينة وأبقيت النسخة الأصلية لأراجعها عند التصحيح وقد بذلت الجهد في النقل والتصحيح رغم صعوبة الخط ومواضع المحو والتخريج ثم راجعت الجزأين بعد تمام طبعهما فألحقت بكل واحد منهما[1] جدول الخطأ والصواب واذا بقيت بقايا قليلة فانها لا تخفى على اللبيب •

والله أسأل قبول العمل وغفران الزلل ونفع المستفيدين انه جـواد كريم رؤوف رحيم •

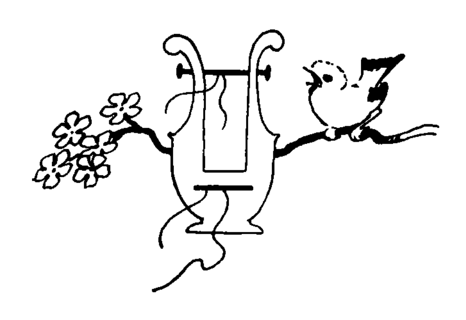

(۱) في الأصل : منها •

ترجمة الامـــام ابن العربي

بقــلم الناشــر

معتمدا على مافي الديباج لابن فرحون ونفح الطيب للمقري

نسبه واوليته :

هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد ابن العربي المعافري الاشبيلي الاندلسي •

عرفنا من أوليته أباه، فقد كان فيها من فقهاء بلدة اشبيلية ، ذا مكانة ورياسة وحظوة عند ملوكها بني عباد• قال عنه صاحب المطمح : (كان••• باشبيلية بدراً في فلكها ، وصدراً في مجلس ملكها • واصطفاه معتمد بني عباد ، اصطفاء المأمون لابن أبي دؤاد ، وولاه الولايات الشريفة • وبوأه المراتب المنيفة ، فلما أقفرت حمص من ملكهم وخلت ، وألقتهم منها وتحلت رحل به الى المشرق ، وحل فيه محل الخائف الفرق ، فجال في أكنافه ، وأجال قداح الرجاء في استقبال العز واستكنافه ، فلم يسترد ذاهبا ، ولم يجد كمعتمده باذلا له وواهبا ، ففاء الى الرواية والسماع ، وما استفاد من آمال تلك الاطماع •

وقال عنه ابن فرحون : (سمع ببلده من أبي عبد الله بن منظور وأبي محمد بن خزرج ، وبقرطبة من أبي عبد الله محمد بن عتاب وأبي مروان بن سراج ، وحصلت له عند العبادية أصحاب اشبيلية رئاسة ومكانة ، فلما انقضت دولتهم خرج الى الحج مع ابنه القاضي أبي بكر يوم الاحد مستهل ربيع الاول سنة خمس وثمانين واربعمائة)•

وبعد ما مكث بالمشرق بضع عشرة سنة توفي بالاسكندرية أول سنة ثلاث وتسعين •

نشاتـه :

نشأ أبو بكر في كنف أبيه ــ وقد عرفت من هو ــ فأرضعه أخلاف الأدب وأحضره مجالس العلم فتأدب وقرأ القراءات وسمع من أبيه وخاله أبي القاسم الحسن الهوزني ، واستكمل العلم وحصل أسباب الامامة بعد رحلته الى المشرق مع أبيه .

وقال هو عن نفسه : حذقت القرآن ابن تسع سنين ثم ثلاثا لضبط القرآن والعربية والحساب فبلغت ست عشرة وقد قرأت من الأحرف نحواً من عشرة بما يتبعها من اظهار وادغام ونحوه وتمرنت في الغريب والشعر واللغة ثم رحل بي أبي الى المشرق .

رحلته :

رحل مع أبيه في التاريخ المذكور وسنه اذ ذاك سبعة عشر عاما ، وقال صاحب المطمح عن سنه وحاله أيام الغربة مع أبيه : « وأبو بكر اذ ذاك في ثرى الذكاء قضيب مادّوح ، وفي روض الشباب زهر ماصوّح، فألزمه مجالس العلم رائحاً وغادياً ، ولازمهسائقا اليها وحاديا، حتى استقرت به مجالسه . واطردتله مقاييسه فجد في طلبه ، واستجد به أبوه متمزقاربه ، وبقي أبو بكر متفرداً، وللطلب متجرداً ، حتىأصبح في العلم وحيدا ، ولم تجد عنه الرئاسة محيداً » .

دخل الشام والعراق وبغداد وحج سنة تسع وثمانين وعاد الىبغداد ثم صدر عن بغداد وأقام بالاسكندرية ثم انصرف منها الى الاندلس سنة خمس وتسعين بعد عامين من وفاة أبيه فقدم بلده اشبيلية . وقال صاحب المطمح عن قفوله الى وطنه : « فكر الى الاندلس فحلها والنفوس اليه متطلعة ، ولانبائه متسمعة فناهيك من حظوة لقي ، ومن عزة سقي، ومن رفعة سما اليها ورقي ، وحسبك من مفاخر قلدها ومحاسن أنس اثبتها فيها وخلدها » .

وإذا كان رحل سنة خمس وثمانين وسنه سبعة عشر عاما ورجع سنة خمس وتسعين فقد قضى في الغربة عشرة أعوام وقفل الى وطنه اماماً عظيماً وسنه سبعة وعشرون عاما •

اشيـاخه :

سمع بالاندلس أباه وخاله وأبا عبد الله السرقسطي وببجاية أبا عبد الله الكلاعي وبالمهدية أبا الحسن بن الحداد الخولاني وبالاسكندرية من الانماطي وبمصر من ابي الحسن الخلعي ولقي بها أبا الحسن بن مشرف ومهديا الوراق وأبا الحسن بن داوود الفارسي • ولقي بالشام أبا نصر المقدسي وأبا سعد الزنجاني وأبا سعيد الرهاوي وأبا القاسم ابن أبي الحسن القادسي والاكفاني وابن الفرات الدمشقي • وسمع ببغداد من ابي الحسن الصيرفي والبزاز وابن طرخان ومن النقيب أبي الفوارس الزينبي وجعفر بن احمد السراج زكريا التبريزي ببغداد أيضا الشاشي والامام أبا بكر وابا حامد الطوسي الغزالي والامام أبا بكر الطرطوشي •

تـلامذتـه :

أشهر من أخذ عنه القاضي عياض والامام السهيلي صاحب الروض الانف والحافظ ابن بشكوال في كثيرين غيرهم •

منزلته في العلم والفضل :

ونريد أن نتعرفها ممن ترجموا له من تلامذته والقريبين من عصره • قال الحافظ ابن بشكوال فيه : « الامام الحافظ ختام علماء الاندلس ، كان موصوفا بالعلم والكمال » وقال ابن سعيد : « هو الامام العالم القاضي الشهير فخر المغرب » ، وقال ابن الزبير : « قيد الحديث وضبط ما روي واتسع في الرواية وأتقن مسائل الخلاف والاصول والكلام

على أئمة هذا الشأن وكان فصيحاً حافظاً أديباً شاعراً كثير الملح مليح المجلس» ثم قال ابن الزبير: «قال القاضي عياض بعد أن وصفه بما ذكرته : ولكثرة حديثه واخباره وغريب حكاياته ورواياته أكثر الناس الكلام وطعنوا في حديثه » •

من يعني القاضي عياض بالناس الذين أكثروا الكلام وطعنوا في حديث ابن العربي ؟ قطعاً لا يعني بهم العلماء لاننا سمعنا فيما تقدم ما وصفوه به ومنهم القاضي عياض نفسه • وانما عني بهم العامة وأشباه العامة ممن تضيق أذهانهم عن تصور ما لم تره أبصارهم من مثل ما شاهده ابن العربي في مدن الشرق ومدنيته الزاهرة في ذلك العهد ، وتقصر مداركهم عما تحيط به عقول العلماء المتوسعين في العلم الراسخين فيه مثل ابن العربي « خزانة العلم وقطب المغرب » •

وهاك واقعة دالة على سعة علم ابن العربي وتحامل أهل القصور عليه حتى جاء امام عظيم فبين صدقه وقصور أولئك المتحاملين :

قال الزرقاني في شرحه على المواهب في غزوة الفتح : وروى ابن مسدي أن أبا بكر بن العربي قال لابن جعفر بن المرخي حين ذكر أن مالكا تفرد به « حديث انس في دخول النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — مكة وعلى رأسه المغفر » قد رويته من ثلاثة عشر طريقا غير طريق مالك فقالوا له أفدنا الفوائد فوعدهم ولم يخرج لهم شيئاً • وقال الحافظ في نكته : « استبعد أهل اشبيلية قول ابن العربي حتى قال قائلهم :

يا أهل حمص ومن بها أوصيكم	بالبر والتقوى وصية مشفق
فخذوا عن العربي أسمار الدجى	وخذوا الرواية عن امام متقي
ان الفتى ذرب اللسان مهذب	ان لم يجد خبراً صحيحاً يخلق

وأراد بأهل حمص أهل اشبيلية» قال الحافظ : « وقد تتبعت طرقه

فوجدته كما قال ابن العربي بل أزيد » فعد ستة عشر نفساً غير مالك رووه عن الزهري وعزاها لمخرجيها قال : « ولم ينفرد الزهري به بل تابعه يزيد الرقاشي عن أنس • أخرجه ابو الحسن الموصلي في فوائده ولم ينفرد به أنس بل تابعه سعد بن أبي وقاص وابو برزة الاسلمي في سنن الدارقطني وعلي بن ابي طالب في المشيخة الكبرى لابي محمد الجوهري وسعيد بن يربوع والسائب بن يزيد في مستدرك الحاكم » قال : « فهذه طرق كثيرة غير طريق مالك عن الزهري عن أنس ، فكيف يحل لاحد أن يتهم اماماً من أئمة المسلمين بغير علم ولا اطلاع » انتهى •

لله در ابن العربي لما وعدهم ولم يخرج لهم شيئا ، لقد ضن بعلمه على المعاندين ولم يعدم حقه من ينصره ولو كان ذلك بعد قرون ، وجزى الله الحافظ ابن حجر عن العلم وأئمته خير جزاء •

ولنعد الى نقل كلام مترجميه فيه ، قال ابن فرحون : « وقدم بلده اشبيلية بعلم كثير لم يأت به أحد قبله ممن كانت له رحلة الى المشرق ، وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها متقدماً في المعارف كلها متكلما في أنواعها نافذاً في جميعها حريصا على أدائها ونشرها ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها • ويجمع الى ذلك كله آداب الاخلاق مع حسن المعاشرة وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود » •

ولايته للقضاء :

ولي قضاء قضاة كورة بلده اشبيلية فقام فيه بالعدل والقوة ولحقه من جراء ذلك بلاء ومحنة أبقت ثناء وذكراً ثم صرف عنه •

قال ابن الزبير : « وولي القضاء مدة أولها سنة ثمان « لعله بعد الاربعمائة »[1] فنفع الله به لصرامته ونفوذ احكامه ، والتزام الامر

(١) الصواب انه ولي القضاء سنة ٥٠٨ هـ لان سفره الى الشرق كان سنة ٤٨٥ هـ .

بالمعروف والنهي عن المنكر حتى أوذي في ذلك بذهاب كتبه وماله فأحسن الصبر على ذلك كله ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشـــر العلم وبثه » .

وقال القاضي عياض : « واستقضى ببلده فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة وتؤثر عنه في قضائه احكام غريبة » .

وقال المقري في نفح الطيب : « وقام بأمر القضاء أحمد قيام مع الصرامة في الحق والقوة والشدة على الظالمين والرفق بالمساكين ، وقد روي عنه انه أمر بثقب اشداق زامر » ولعل هذا من الاحكام الغريبة التي أشار اليها القاضي عياض .

محنتــه :

قد عرفنا مما تقدم ان ابن العربي أصابته محنة في قضائه بسبب شدته في الحق وصرامته في الاحكام . وقد ذكر هو هذه المحنة في كتاب العواصم وانها كانت بسبب الزامه الناس للصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقال المقري : « وما برح معظما الى أن تولى خطة القضاء ووافق ذلك أن احتاج سور اشبيلية الى بنيان جهة منه ولم يكن بها مال متوفر ففرض على الناس جلود ضحاياهم وكان ذلك في عيد أضحى فأحضروها كارهين . ثم اجتمعت العامة العمياء وثارت عليه ونهبوا داره » ولا منافاة بين هذا وما قبله فان أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر كان متكررا وعند هذه الواقعة ــ والامر فيها عام ــ قامت عليها العامة ولا شك انها لا تخلو من ايعاز من حساد ابن العربي من الخاصة . وهكذا من يريد ان يقوم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجه التنفيذ ، مقدر له ان يلقى هذه وأمثالها .

تصــانيفــه :

كان هذا الامام من المصنفين المكثرين المجيدين قال ابن الزبير ــ

ونقله عنه ابن فرحون ـ : « وصنف في غير فن تصانيف مليحة كثيرة مفيدة . منها احكام القرآن كتاب حسن (مطبوع بمصر) وكتاب المسالك في شرح موطأ مالك (منه نسخة في مكتبة الجزائر بها نقص وعندنا منه جزء فيه ما يكمل ذلك النقص) وكتاب القبس (سنمثله للطبع ان شاء الله) وعارضة الاحوذي على كتاب الترمذي (منه نسخة بجامع الزيتونة)[1] والعواصم من القواصم ، والمحصول في أصول الفقه ، وسراج المريدين ، وسراج المهتدين ، وكتاب المتوسط، وكتاب المتكلمين (كذا في ابن فرحون وأراه المشكلين مشكل الكتاب والسنة) وله تأليف في حديث أم زرع وكتاب الناسخ والمنسوخ وتخليص التلخيص وكتاب القانون في تفسير القرآن العزيز وله غير ذلك من التآليف . وقال في كتاب القبس انه ألف كتابه المسمى أنوار الفجر في تفسير القرآن في عشرين سنة ثمانين ألف ورقة وتفرقت بأيدي الناس (قلت) : ـ ابن فرحون ـ واخبرني الشيخ الصالح يوسف الحزام المغربي بالاسكندرية في سنة ستين وسبعمائة قال رأيت تأليف القاضي ابي بكر بن العربي في تفسير القرآن المسمى أنوار الفجر كاملا في خزانة السلطان الملك العادل امير المسلمين ابن عنان فارس ابن السلطان امير المسلمين أبي الحسن علي ابن السلطان امير المسلمين ابن سعيد عثمان بن يوسف بن عبد الحق .

وكان السلطان اذ ذاك بمدينة مراكش ، وكانت له خزانة كتب يحملها معه في الاسفار وكنت أخدمه مع جماعة في حزم الكتب ورفعها فعددت أسفار هذا الكتاب فبلغت عدتها ثمانين مجلدا ولم ينقص من الكتاب المذكور شيء . قال ابو الربيع : « وهذا المخبر يعني يوسف ثقة صدوق رجل صالح كان يأكل من كده » وذكر المقري من تصانيفه : كتاب مراقي الزلف وكتاب الخلافيات وكتاب نواهي الدواهي وكتاب

(١) مطبوع بمصر سنة ١٣٥٠ هـ .

النيرين في الصحيحين وكتاب الأمـد الاقصى باسماء الله الحسنى وصفاته العلا وكتاب في الكلام على مشكل حديث السبحات والحجاب وكتاب العقد الاكبر للقلب الاصغر وتبيين الصحيح في تعيين الذبيح وتفصيل التفضيل بين التحميد والتهليل ورسالة الكافر في ان لا دليل على النافر ، وكتاب السباعيات وكتاب السلسلات وكتاب التوسط في معرفة صحة الاعتقاد ، والرد على من خالف السنة من ذوي البدع والالحاد وكتاب شرح غريب الرسالة وكتاب الانصار[1] في مسائل الخلاف عشرون مجلدا وكتاب حديث الافك وكتاب شرح حديث جابر في الشفاعة وكتاب ستر العورة وكتاب أعيان الأعيان وكتاب ملجاة المتفقهين الى غوامض النحويين وكتاب ترتيب الرحلة وفيه من الفوائد ما لا يوصف .

مولـده ووفـاته :

ولد ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين واربعمائة. وتوفي منصرفه من مراكش من الوجهة التي توجـه فيها مع أهـل بلده الى الحضرة (عاصمة مراكش) بعد دخول الموحدين مدينـة اشبيلية فحبسوا بمراكش نحو عام ثم سرحوا فأدركته منيته فحمل ميتا الى مدينة فاس فدفن بتربة القائد مظفر خارج باب المحروق وصلى عليه صاحبه ابو الحكم بن حجاج ، وكانت وفاته في ربيع الاول سنة ثلاث واربعين وخمسمائة رحمه الله ونعمه [2] .

---

(١) كذا في الاصل والصواب الانصاف .

(٢) من كتاب العواصم من القواصم لابي بكر محمد بن عبد الله بن العربي رحمه الله تعالى ، ج ٢ من أ الى ع . وهي المقدمة التي وضعها ابن باديس رحمه الله لهذا الكتاب واقتضاه الامر أن يجعلها في ذيل الجزء الثاني من الكتاب المذكور .

عبد العزيز الثعالبي

هكذا اذكره دون لقب او صفة فان هذا الاسم لم يبق علما على ذات مشخصه تحتاج الى صفاتها وألقابها ، بل صار في أذهان الناس علما على الرجولة والبطولة والزعامة ، وعلى التفكير والعمل والتضحية وعلى الاسلام والشرق والعروبة وعلى وحـدة افريقيا • فاذا قلت عبد العزيز الثعالبي فقد قلت هذا كله• اسرةالثعالبيجزائرية، وهومولود بالجزائر وجده ممن شاهد بعضا من معـارك الجزائر في رد الحملة الفرنسية وأصيب برصاص العدو ، وبقيتآثاره فيصدره، فكان يكشف عن ذلك الصدر لعبد العزيز في صغره ويذكر له الجزائر والاستيلاء عليها وهجرته هو وغيره من الجزائريين من ذلك الاستيلاء •

نشأ الثعالبي تونسيا ودرج للعـلم زيتونيا وتعدت به عبقريته دائرة الكتب الزيتونية الدراسية الضيقة فأخذ يتناول كل ما تصل اليه يده من خزانة الجامع ومكتبة العبدلية وكانت مبائته بضع سنوات عدة • وكان ذهنه الحاد وحافظته القوية ورغبته الملحة مواهب اكسبته مما درس وقرأ نبوغا في الفهم والخطابة والكتابة : فبرز من جامـع الزيتونة نابغة عبقريا غريبا شاذا بين أهل عصره شأن كل نابغة عبقري•

لقي عبد العزيز من الجامدين والمستبدين ــ وما زالا على الدهر متوالين ــ ما يلقاه مثله فعوكس وأوذي وسجن ولكنه لم يتزحزح قيد شعرة عما حبس نفسه عليه من اصلاح المجتمع من جميع نواحيـه • رحل الثعالبي للازهر وحضر دروس البشري ، وعادالى تونس وقدفتحت له الرحلة عالما آخرا وابتدأ تكونه العالمي بعد الاقليمي ورحـل الى

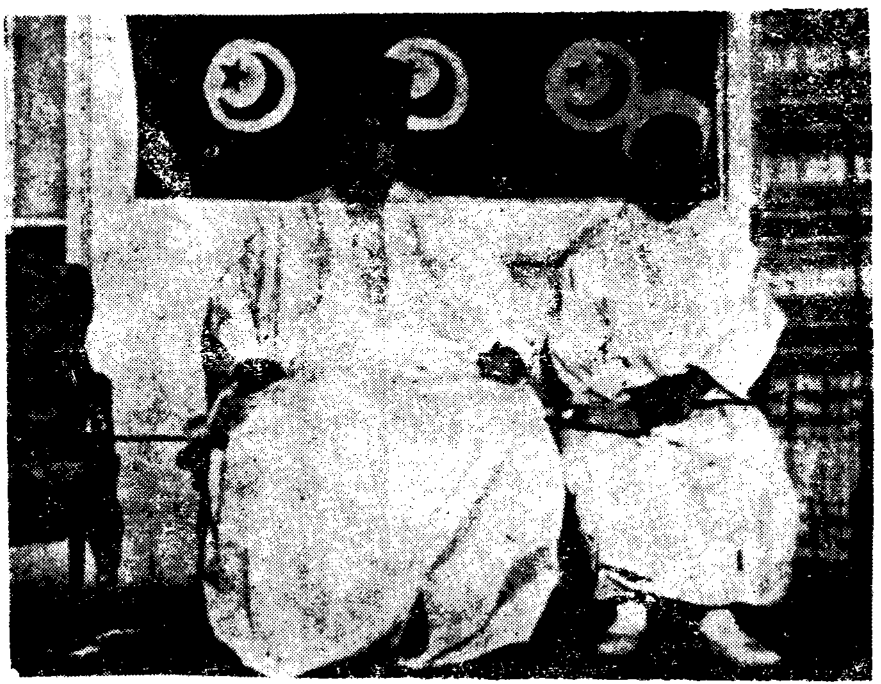

الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ عبد العزيز الثعالبي

الجزائر والمغرب فتم تكونه الافريقي • اعطى الثعالبي تونس حقها ووضع لها كل اسس نهضتها ثم فارقها في رحلته الاخيرة ليعطي حق الشرق والعروبة والاسلام فكان نظام العقد وعنوان الوحدة وروح الاتصال والعلم الافريقي الخفاق الذي لفت انظار الشرق الى الشمال الافريقي والى تونس عروس ذلك الشمال • وكان الثعالبي في الشرق من جهة اخرى برهانا ساطعا ودليلا متنقلا على ظلم الاستعمار واستبداده، وما يلاقيه الأفارقة من كيده وبلائه ، ويكذب كل ما يتظاهر به هنالك حيث لم ترسخ قدمه ولم يتم سلطانه • شعرت فرانسا ـ اخيرا ـ بعظيم ضرر ذلك على سياستها في الشرق العربي والاسلامي فأذنت للثعالبي في العودة لوطنه •

فالاستعمار هو انفى الثعالبي لمصلحته هنا والاستعمار هو رد الثعالبي لمصلحته هنالك . وأبى الله الا أن يستفيد الشرق والعروبة والاسلام من الثعالبي هناك ويستفيد الشرق والعروبة والاسلام من الثعالبي هنا . فاعتبروا ياأولي الابصار !

عاد الثعالبي فاهتزت فرحا افريقيا الشمالية كلها وتونس وطنه والجزائر مسقط رأسه ووطن اسلافه ورأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في قدومه اعتزاز الاصلاح الاجتماعي الاسلامي من ناحية الفكر والعلم والاخلاق والسلوك في الحياة ــ وهذا ما تعمل له الجمعية ــ فأبرقت تهنئه وتهنيء الأمة التونسية الشقيقة به ، ثم رأت ان تعرب عن سرورها بقدومه واعجابها بمواهبه وتعظيمها لجانبه بذهاب رئيسها لتحيته وتهنئه بقدومه وابلاغه كل ما تحمله الجمعية والجزائر العربية المسلمة من الحب والاحترام والتعظيم لشخصه .

ذهبت يوم الخميس ١٤ جمادى الأولى الى تونس وزرت الثعالبي في داره وبلغته عن الجمعية رسالتها فقابلها بالشكر والثناء وتلقاها بالفرح والسرور وأي سرور هو ؟ سرور من وقف نفسه على الاصلاح وفارق الشمال الافريقي ولا دعوة للاصلاح فيه ، ثم جاءه بعد مدة من الدهر فوجد للاصلاح جندا قويا وقيادة منظمة وصوتا عاليا وكلمة نافذة وتقديرا لامثاله من الرجال المصلحين .

انتهت بهذه المقابلة مهمتي كرئيس للجمعية وموفد من طرفها . وكانت بعد ذلك المجالس والاجتماعات والحفلات والزيارات في دار الشيخ وغيرها مع الشيخ ودونه ــ كانت وكنت فيها كجندي بسيط من جنود العروبة والاسلام . فما شئت من أنس ، ونعيم نفس ، وكل ما يغذي الروح ويحيي الوجدان ويرضي العروبة والاسلام .

وَحَــدِيثٍ أَلَــذُّهُ هُــوَ مِــمَّــا
تَشْتَهِيهِ النُّفُــوسُ يُوزَنُ وَزْنَا

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَــا
نًا وَخَيْرُ الحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا[1]

عبد الحميد بن باديس

(١) ش: ج ٧ م ١٣ ، ص ٣١٦ ـ ٣١٨
رجب ١٣٥٦ هـ ـ سبتمبر ١٩٣٧ م

ابنـــاء المغرب العربي

في الشرق العربي

حيثما توجهنا الى ناحية من نواحي التاريخ وجــدنا هذا المغرب العربي ــ طرابلس ، تونس ، الجزائر ، مراكش ــ يرتبط بروابط متينة روحية ومادية تتجلى بها وحدته للعيان • ولسنا نريد هنا ان نتحدث عن التاريخ القديم وانما نريد ان نعرض صفحة من التاريخ الحديث الجــاري •

مضت حقبة من الدهر كاد فيها الشرق العربي ان ينسى هذا المغرب العربي والى عهد قريب كانت صحافة الشرق ــ غالبا ــ لا تذكره الا كما تذكر قطعة من أواسط أفريقية ومجاهلها ، بل في هــذه الايام يغمط حقه ويتجاهل وجوده في كتب لها قيمتها كـ « ضحى الاسلام » وغيره • ولكن هذا المغرب العربي ــ رغم التجاهل والتناسي مــن اخوانه المشارقة ــ كان يبعث من ابنائه من رجال السيف والقلم من يذكرون به ، ويشيدون باسمه ، ويلفتون نظر اخــوانه المشارقة الى ما فيه من معادن للعلم والفضيلة ، ومنابت للعز والرجولة ، ومعاقل للعروبة والاسلام ، ناهيك بالامير عبد القادر المجاهد الجزائري وابنائه الذين شاركوا في مشانق جمال وثورة الغوطة وبحفيده الامير خالد زعيم الجزائر الذي مات بمنفاه بالشام ــ وبسليمان باشا البــاروني الطرابلسي والشيخ السنوسي الطرابلسي الجزائري الاصل وبالشيخ طاهر الجزائري الاصل وبالشيخ عبــد العزيز الثعالبي زعيــم تونس الجزائري الاصل والشيخ الخضر حسين التونسي الجزائري الاصــل

الشيخ الخضر بن الحسين

الاستاذ الهلالي

الشيخ ابراهيم اطفيش

والشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي وغيرهم . فقد كان هؤلاء السادة الاعلام كما يرفعون اسم المغرب العربى في الشرق العربي يمثلون وحدة هذا المغرب ، وقد دعانا الى تحرير هذا والتنعم به ما رأيناه في عدد (الفتح) الممتاز من ذكر ورسم لبعض هؤلاء السادة الذين ذكرنا . فقد اصدر الاخ المجاهد الاستاذ محب الدين الخطيب عددا ممتازا من مجلته الراقية بمناسبة دخولها في السنة الثانية عشرة من سني جهادها وذكر عددا من الذين شاركوه في الجهاد او كان منهم تأييد له فيه ونشر رسومهم فكان من جملتهم خمسة يمثلون المغرب العربي هم الشيخ طاهر الجزائري وسليمان باشا الباروني الطرابلسي والشيخ الخضر بن الحسين التونسي والشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي . والشيخ ابراهيم اطفيش الجزائري . ونحن نحلي جيدهذا الجزء برسومهم وننشر ما كتبه الاخ الاستاذ محب الدين عنهم فيما يلي :

السيد سليمان باشا الباروني

الشيخ طاهر الجزائري

شيخي

هو الذي ربى عقلي ، وهو الذي حبب الي هذا الاتجاه الفكري منذ كنت طفلا الى أن صرت رجلا ، ولا أعرف مؤلفا ولا حامل قلم نشأ في ديار الشام الا وقد كانت له صلة بهذا المربي الاعظم واستفادة من عقله وسعة فضله اما مباشرة او بواسطة الذين استفادوا منه . وكل الذين جاهدوا هناك لاجل الحرية ، وفي سبيل المعارف ، ولاحياء علوم السلف ، ولاعادة مجد العروبة والاسلام ، انما كانوا من اخوانه وهو واسطة عقدهم ورأس مجالسهم او من طبقة تلاميذه ، وهو قدوتهم ومطمح أنظارهم أو من الذين أخذوا عن تلاميذه وهو مضرب المثل عندهم في كمال العقل وسعة الاطلاع التي لا حد لها ، وبالاجمال هو جرثومة الخير الاولى من ايام ولاية مدحت باشا على سوريا الى ان هاجر الرجل العظيم الى مصر حوالي سنة ١٣٢٥ هـ فكان موضع حرمة كل من يعرف الفضل من اهلها كتيمور باشا واحمد بك الحسيني واحمد زكي باشا والشيخ علي يوسف وامثالهم وأهم كتب السلف النافعة التي نشرها الناشرون انما نشروها باشارته وتحريضه . وانا وكل ما نشرته لسنا الا قطرة من بحر الخير الذي كان يتدفق من صدر هذا العالم العامل الذي كانت الدنيا لا تساوي عنده جناح بعوضة ، وليس له فيها من امنية الا ان يرى عز الاسلام يعود كما كان في ايام القوة والعدل والعلم وتقوى الله عز وجل . اني لأرمي نفسي بالعقوق وانكار الجميل كلما فكرت في ابطائي حتى الآن عن القيام بحقه عليَّ للتاريخ ولكن اذا عظم المطلوب خارت القوة دونه ، وحياة الشيخ طاهر الجزائري حياة دور من ادوار الاصلاح بل هي تاريخ الامة في حقبة

من حياتها • ولا بد ان اقوم بهذا الواجب في يوم من الأيام • رحمة الله عليه ومغفرته ورضاه •

السيد محمد الخضر حسين

العلامة الجليل الاستاذ السيد محمد الخضر حسين في مقدمة الافاضل الذين امدوا هذه الصحيفة بآثار فضلهم من سنتها الاولى الى الآن ، فما هوجم الاسلام في وقعة الا وكان للاستاذ حفظه الله دفاع امتن من الفولاذ ، وأرسخ من الجبال الراسيات •

والسيد حفظه الله محبوب من كل محب للاسلام ، معروف فضله لكل من اتصل به من ابناء المشرق والمغرب ، وقد تعود من صدر حياته ان يحمل دنياه على آخرته ، وأن يضحي بالاولى في سبيل الاخرى اذا تعارضتا •

نرجو الله ان يمد في حياته ، وان يزيده قوة على الخير •

جانب عامر من جوانب القيادة

نحن نشكر دائما ضعف القيادة في العالم الاسلامي وللضعف مظاهر واعراض ذات ألوان مختلفة وكلما وجدنا جانبا من جوانب القيادة عامرا بالاستقامة والصلابة والاخلاص كان حقا علينا ان نحمده ونعلن اغتباطنا به • وصاحب السعادة سليمان باشا الباروني من اعيان هذه الامة الذين تحلوا بمزية الاستقامة والاخلاص الى ابعد حد • عرفنا ذلك فيه منذ كان نائبا عن طرابلس الغرب في مجلس المبعوثان العثماني ثم ازددنا بذلك علما عند ما رأينا جهاده المجيد في سبيل الله والوطن بعد حادث الاختطاف الذي كان من ايطاليا لطرابلس الغرب وبرقة ، وقد نشرنا في العدد ٥٢٥ من (الفتح) صورة شمسية لوثيقة صادرة

من دائرة حضرة صاحب السمو الامير عمر طوسن تثبت اصرار سليمان باشا الباروني على اعادة ستة آلاف جنيه قدمت اليه من الاعانات الطرابلسية فردها وقال : « ان الاعانات للمجاهدين والآن لاجهاد » مثل هذه المنقبة الممتازة يحملنا على تزيين هذا العدد الممتاز بصورة القائد المجاهد سليمان باشا الباروني ، مغتبطين بما نشرناه له في العدد ٥٣٢ من كلمات الرضا عن الفتح وخطته .

مد الله في حياته وأدام المحبة بين المسلمين .

صديقنا

هبط صديقنا الاستاذ العلامة الشيخ ابراهيم اطفيش وادي النيل مهاجراً اليه من وطنه الجزائر من قبل أن يولد الفتح ، واكتسبنا صداقته من السنة الاولى التي اتخذ فيها الوطن المصري وطنا ثانيا له ، فكنا نحن وجميع أفاضل المصريين نعجب بصدقه وصلابة دينه واستعداده للمشاركة في كل خير ، فما قامت لخير الاسلام جماعة من ذلك الحين ، ولا أرسل المنادون الى الفلاح صوتهم في أمر ، الا كان الاستاذ ابو اسحاق الشيخ ابراهيم اطفيش في مقدمة المعينين على ذلك . ومقالاته المتعددة في هذه الصحيفة وفي اختها الزهراء شاهد على فضله ، ودليل على حسن بلائه في سبيل وحدة المسلمين . جزاه الله خيراً .

الاستاذ الهلالي

الفاضل فاضل حيثما كان ، كما ان الشمس شمس شرقت أم غربت . والاستاذ العلامة السيد محمد تقي الدين الهلالي — صاحب الفصول الممتعة والبحوث الجليلة في صحيفة الفتح — من أفاضلنا الذين أجمع على الاعتراف بفضلهم الشرق والغرب ، والعرب والعجم ،

والمسلمون وغير المسلمين ، فهو في الحجاز نار على علم شهرة وفضلا ؛ وفي الهند تبوأ منصة التدريس في أرقى جامعاتها وفي العراق معروف بدؤوبه على خدمة هذه الأمة وحرصه على خيرها ، وهو الآن في ألمانيا موضع الحرمة من أركان جامعة بن التي يتولى التدريس فيها .

فالاستاذ الهلالي رجل عالمي واسع النظر واقف على أحوال الشرق والغرب ، لذلك كان ما يقرره في بحوثه من حقائق يأتي ناضجاً مفيداً ممتعاً ، ومن حسن الحظ ان قراءنا يقدرون رجالهم كما نقدرهم وكل ما يكتبه الاستاذ الهلالي واضرابه في الفتح يأتي بالفائدة المرجوة منه والحمد لله [1] .

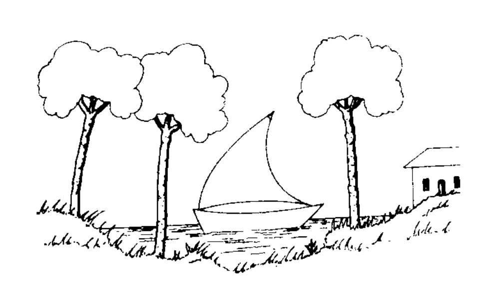

(1) ش : جـ ٥ ، م ١٣ ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢٥
غرة جمادى الاولى ١٣٥٦ هـ ـ جويلية ١٩٣٧ م .

فاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون

الشيخ طاهر الجزائري

هذا الاستاذ العظيم من أبناء الجزائر الكثيرين الذين ظهر نبوغهم في غير وطنهم فدلوا على ان الطينة الجزائرية طينة علم وذكاء اذا واتتها الظروف .

ألقى الاستاذ محمد كرد علي وزير المعارف بسورية محاضرة عن حياة هذا الاستاذ الكبير ونشرتها مجلة المجمع العلمي العربي فرأينا نقلها لقراء « الشهاب » لما فيها من فوائد علمية وعبر تاريخية للمتأملين[1] .

— ١ —

اصله ونشاته :

هو طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الجزائري هاجر والده الشيخ صالح من الجزائر الى دمشق في سنة ١٢٦٣ هـ وكان من بيت علم وشرف معروف في بلاده ، ولما جاء دمشق تولى قضاء المالكية وولد له ولد في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٦٨ هـ دعاه « الطاهر » . قال والده في حاشية المجموع الفقهي للعلامة الامير المالكي « طهره الله من رجس دنياه ودينه وبارك في عمره ورزقه العلم والعمل به » واستجيب دعاء والده فنشأ ابنه طاهر على حب الفضائل والتناغي بالعلم والعمل .

(١) فضلنا كتابة هذه الترجمة لأن الشيخ ابن باديس نشرها وعلق عليها.

دخل الشيخ طاهر المدرسة الجقماقية الاستعدادية فتخرج باستاذه الشيخ عبد الرحمن البوشناقي ، وكان مربيا شديد الشكيمة ، وتعلم العربية والفارسية والتركية ومبادىء العلوم ثم اتصل بعالم عصره الشيخ عبد الغني الميداني الغنيمي الفقيه الاصولي النظار • وكان واسع المادة في العلوم الاسلامية بعيد النظر واسع العقل وهو الذي حال بارشاده في حادثة سنة ١٨٦٠ م بدمشق دون تعدي فتيان المسلمين على جيرانهم المسيحيين في محلته فأنقذ بجميل وعظه وحسن تأثيره بضعة الوف من القتل في تلك المذابح المشؤومة • وكان الشيخ الميداني على جانب عظيم من التقوى والورع الحقيقي ، يمثل صورة من صور السلف الصالح فطبع الشيخ طاهر بطابعه وأنشأه على أصح المبادىء العلمية الدينية • وكانت دروسه دروساً صافية المشارب يرمي فيها الى الرجوع بالشريعة الى اصولها والأخذ من آدابها بلبابها ، ومحاربة الخرافات التي استمرأتها طبقات المتأخرين وانقاذ الدين من المبتدعين والوضاعين • واذ جمع الشيخ طاهر الى سلامة الفطرة وسلامة البيئة جودة النظر وبعد الهمة جاء منه بالدرس والبحثعالم مصلح وفيلسوف إلهي أشبه الأوائل بهديه ، وتمثل بالأواخر في نظره ووفرة مادته •

ولم يغفل الاستاذ خلال سني الدراسة عن درس العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والتاريخية والأثرية ، أخذها عن علماء من الترك وغيرهم • فكان اذا رأى أعلم منه بفن أخذ عنه فنه وأفاده فيما لا يحسنه من فنون العلم • ومن مثل لعينيه كيف كان محيطه محيطاً أوائل النصف الاخير من القرن الماضي أيام كان يتهم بالمروق كل من تعاطى علماً لا يعرفه المتفقة يدرك ما عاناه الاستاذ لتلقف هذه العلوم المادية • ولم يبلغ الثلاثين من عمره حتى غدا يتقن العربية والفارسية والتركية وينظم بالفارسية كالعربية وكان نظمه بالعربية أرقى من شعر الفقهاء ودون شعر نبغاء الشعراء • وألف السجع لأول أمره ثم تخلى عنه

وأصبح يكتب مترسلا بلا كلفة ولا تعمل ، وتعلم الفرنسية والسريانية والعبرانية والحبشية والقبائلية البربرية لغة بلاده الاصلية . ومما ساعده على فتح صدره الرحب لجماع المعارف البشرية غرامه منذ نشأته بجمع الكتب وهو لما يزل في المدرسة الابتدائية فقد أخذ يبتاع الدشوت والرسائل المخطوطة من دريهمات كان يرضخ بها له والده لخرجه . وكانت الكتب والرسائل تباع في الكلاسة شمالي الجامع الأموي على مقربة من ضريح صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكلما أحرز الشيخ شيئاً من الأوراق والأسفار طالعه بامعان وخبأه وحرص عليه فاستنار عقله وكثرت معلوماته واجتمعت له بطول الزمن خزانة مهمة من الأسفار قدرتها بستة آلاف مجلد فيها كثير من النوادر المخطوطة .

تولى التعليم لأول أمره في المدرسة الظاهرية الابتدائية ولما أسست الجمعية الخيرية من علماء دمشق وأعيانها سنة ١٢٩٤ هـ دخل في عداد أعضائها وكان من أكبر العوامل فيها ثم استحالت هذه الجمعية « ديوان معارف » فعين مفتشاً عاماً على المدارس الابتدائية التي أنشئت على عهد المصلح الكبير مدحت باشا والي سورية سنة ١٢٩٥ هـ . وكان للشيخ الأثر العظيم في تأسيسها بمعاونة صديقه بهاء الدين بك أمين سر الولاية ، وهو أديب تركي كان يحب نهضة العرب كما يحب العلم والأدب . وفي هذه الحقبة ظهر نبوغ شيخنا وعبقريته في تأسيس المدارس واستخلاصها من غاصبيها وحمل الآباء على تعليم أولادهم ووضع البرامج وتأليف الكتب اللازمة للمدارس ، كان يقوم بهذه الأعمال المهمة ولا يفتأ يزداد كل يوم علماً وتجربة وتفانياً في نهضة البلد وتحسين الملكات وصقل الأخلاق والعادات .

وأنشأ على ذلك العهد أيضاً بمعاونة بضعة من أصدقائه « دار الكتب الظاهرية» بدمشق وجمع فيها سنة ١٢٩٦هـ ماتفرق من المخطوطات

العظيمة في عشر مدارس تحت قبة الملك الظاهر بيبرس البندقداري ولقي ممن استحلوا أكل الكتب والأوقاف مقاومة شديدة وهددوه بالقتل ان لم يرجع عن قصده فما زادوه الا مضاء وانكماشا ، ولا تزال هذه الدار أثراً من آثاره في الشام وقد أنشأ مثلها في القدس باسم الشيخ راغب الخالدي وسماها « المكتبة الخالدية » وأضاف اليها بعد ذلك آل الخالدي خزائنهم الخاصة •

علمه وعمله :

رأينا منهاج الدروس الواسع الذي أخذ الشيخ نفسه بدراسته منذ حداثته وانه ليندر في المتأخرين من علماء دور الانحطاط الفكري نبوغ رجل مثله وعى صدره من ضروب المعارف ما وعي وطبق مفاصل الشريعة مع علوم المدنية فقد كان متضلعا من علوم الشريعة وتاريخ الملل والنحل منقطع القرين في تاريخ العرب والاسلام وتراجم رجاله ومناقشات علمائه ومناظراتهم وتآليفهم ومراميهم ، ساعده على التبريز في هذا المضمار قوة حافظته التي لا تكاد تنسى ما يمر بها مهما طال العهد • وكان اماماً في علوم الأدب واللغة اذا سألته حل مسألة تظن الشيخ لا يعرف غير هذا العلم واذا استرشدته في الوقوف على مظان موضوع تريده أطلعك من ذلك في الحال على ما لا يتيسر لغيره الظفر به بعد الكشف عنه أياماً ، وهكذا هو في علوم الشريعة ولا سيما التفسير والحديث والاصول • وكان يعرف السياسة وما ينبغي لها وحالة الغرب واجتماعه والشرق وأممه وأمراضه معرفة لا تقل عن معارف عالم أخصائي من علماء الغرب لعهدنا ، ولا يكاد جليسه يصدق اذا انكفأ الشيخ يتكلم في هذه الموضوعات خصوصاً اذا كان غريبا ان محدثه شيخ من شيوخ المسلمين يعيش في أمة لا تقيم وزناً لهذه المعارف •

اتسع صدر الشيخ لجمـاع علوم المدنية الحديثة الا الموسيقى والتمثيل فلم يكن له حظ فيهما وربما قاوم سراً المشتغلين بهما مخافة أن تكون سلماً الى التبذل وخلع ثوب الحياء والوقار ، وكان لا يرى فيهما الا مدرجة اللهو والصبوة. وهذا مما لم يدخله الشيخ في جريدة أعماله ولذلك لا يفتي بالتسامح مع القائمين عليهما مهما أوردوا له من الحجج على نفعهما . وصعب أن يتخلى المرء عن جميع ما أورثه اياه أهله وأساتذته ومحيطه ، وصعب على من حلف أن يعيش عيش جـد وتبتل أن يتساهل في الصغائر لئلا تؤدي الى الكبائر . أما الرسم والتصوير والنقش فكانت مما يتسامح فيه لكنه يغمزه عرضاً ، وكثيراً ما يقول ان أجيال الفرنجة في هذا العصر أفرطوا في الغرام بالتصوير والتعويل عليه في كل أمر فأضعفوا بذلك قوة التفكير والتصوير .

وسياسة الشيخ في التعليم محصورة في تلقف المسلمين اصـول دينهم والاحتفاظ بمقدساتهم وعاداتهم الطيبة وأخلاقهم القديمة القويمة وأن يفتحوا قلوبهم لعامة علوم الأوائل والأواخر من فلسفة وطبيعي واجتماعي على اختلاف ضروبها ويقاوم المتعصبين على هـذه العلوم المنكرين غناءها في المجتمع مقاومة حكيم عاقل وذلك بتكثير سواد الدارسين لها وارشادهم الى طرقها العملية المنتجة لا الوقوف بها عند حد الانظار فعمَّ المسلمين في الشام درس علوم نرى اليوم الأخـذ بحظ منها من البديهيات اللهم الا عند بعض الجامدين من المشايخ ممن جهلوها ، ومن جهل شيئاً عاداه .

وكانت للشيخ طـرق مبتكرة في معنى بث الأفكار التي تخالف معتقد الجمهور يبثها في العقول بدون جعجعة ولا مظاهرة ويقرب منالها من المستعدين لأخذ النفس بهـا وذلك بتلقينهم امهات مسائلها أثناء الحديث على صورة لا ينفرون منها ولا يخطر لهم انها بالبدع المنكر . مثال ذلك انه اولع في صباه بكتب شيخ الاسلام ابن تيمية وكانت

جمهرة الفقهاء في عصره تكفر ابن تيميـــة تعصباً وتقليداً لمشايخهم فلم ير الشيخ لتحبيبهم بابن تيمية الا نشر كتبه بينهم من حيث لا يدرون. فكان يستنسخ رسائله وكتبه ويرسلها مع من يبيعها في سوق الوراقين بأثمان معتدلة لتسقط في أيدي بعضهم فيطالعونها وبذلك وصل الى غرضه من نشر آراء شيخ الاسلام التي هي لباب الشريعة .

هذا وليس الشيخ في مذهبه على الحقيقة حنبلياً ولا مالكياً ولا حنفياً بل هو مسلم يأخذ من أصل الشريعة باجتهاده الخاص ويحسن ظنه بأئمة المذاهب المعروفة ، ويتجهم لمن يجرأ على النيل من أحدهم . يعمل بما صح له من الدليل في الكتاب والسنة ولطالما أعطى الحق لعلماء الشيعة أو الاباضية أو المعتزلة في مسائل تفردوا بها وضيق فيها أهل السنة . أما الفلسفة أو الحكمة القديمة والفلسفة الحديثة فكان يعطف فيها عليها وعلى المشتغلين بهـــا وينحي باللائمة على المتأخرين الذين أوصدوا بابها فأظلمت العقول وضعف مستواها .

كان الشيخ ينكر على الظالمين سيرتهم ويقبح الظلم وان نال عدوه وينصف النـــاس من نفسه بعض الشيء وكان الحكم معه في بليـــة يعرفون انه ينزع الى القضاء على سلطتهـــم الغاشمة ولا يستطيعون أن يقلبوا له ظهر المجن ويظهروا العداء له . وكذلك كان المشايخ معه يبغضون أفكاره ولا يجـــرأون على مقاومته بسلاحه ســـلاح العـــلم والبرهان فكان كثيراً ما يقول ما لنا ولأناس ليس لهم من السلطان علينا غير سلاطة ألسنتهم وكلمات ينفسون عنهم بها وهي لا تخرج الى أبعد من سقوف بيوتهم وحجرهم ، وحدث لبعض أغمارهم أن استعانوا غير مرة بالسلطة الزمنية على توقيف تيار أفكاره وأفكار أنصاره فكان الشيخ يصدهم لما له من التأثير في أهل الحل والعقد ممن كانوا يتمثل لهم عقل الرجل وضعف المبغضين له وكان يحسن مخاطبتهم بلسانهم والقائمون عليـــه لا يحسنون محاورتهم حتى ولا بلغتهم الاصلية ،

وسلاحهم دسائس يحوكونها وتعصبات ينفثونها • ولم يزل جهال الناس كما قال ابن المقفع يحدون علماءهم وجبناءهم ، شجعانهم ولئامهم كرماءهم وفجارهم ، أبرارهم وشرارهم خيارهم ، من أجل هذا كان الاستاذ يتفنن في بث أفكاره بين الخاصة والعامة على صور شتى ويتفانى في نشر العلم والتهذيب والأخذ من القديم والحديث ، وكم من عامي أصبح بتعاليمه وتلقينه بالعمل مسائل بسيطة من العلم معدوداً من المتعلمين في جلسات قليلة جلسها معه وسمع مذكراته ومن هذه الطبقة أناس ما فتىء على تنشيطهم حتى ألفوا وطبعوا ولم يكونوا قبله في العير ولا في النفير • وكم من جريدة أو مجلة أو كتاب أو رسالة نشرت في مصر والشام بارشاده وكان له اسلوب جرى عليه خصوصاً في تفتيش المدارس وهو ان يعلم المعلم ولا يشعره بأنه يعلمه بل يوهمه أنه يذاكره في مسائل التربية والتعليم أو انه يحاول أن يتعلم هو منه •

وكم من أديب أو عالم أرشده الى السبيل السوي في أدبه وعلمه وعلمه المظان وأساليب المراجعة ، وكثير عدد من اشتغلوا بالآداب أو تعلموا التعليم الثانوي أو العالي في القطر الشامي ان لم يكونوا استفادوا منه مباشرة فبالواسطة ، وتلاميذه ومريدوه يعدون بالعشرات من المسلمين وأكثرهم اليوم يشغلون مقامات سامية في دور العلم والحكم وفي التجارة والزراعة • ولم يحد المترجم له عن الخطة التي اختطها لنفسه منذ نعومة أظفاره ودعا الناس الى اتناجها حتى آخر أيامه • وخطته الاخلاص والعمل على النهوض بالامة من طريق العلم وبث الملكات الصحيحة في أهل الاسلام ، وثورته ثورة فكرية لا مادية ويقول ان هذا الطريق يطول أمرها ولكن يؤمن فيها العثار والسلامة محققة ثابتة • بحق ما قيل في الشيخ انه معلمة (انسيكلوبيديا) سيارة وكيف لا يكون كذلك من آتاه خالقه حافظة قوية وذهناً وقاداً وعقلاً

يستعمله على الدوام ، فقد قرأ جميع ما طالت يده اليــه من الكتب العربية التي طبعت في الشرق والغرب ، أما المخطوطات التي طالعها ولخصها في كنانيشه وجزازاته فتعد بالالوف ، وقل أن يدانيه أحد في علم الكتب ووصفها ومؤلفيها وحوادثها وأماكن وجودها ، ولطالما رحل من بلد الى بلد بعيد ليطلع على مخطوط حفظ في بعض الخـــزائن الخاصة ، وبالنظــر لاحاطته بالمظان وتدوينه في الحــال كل ما يقع استحسانه عليه من الفوائد ، كان يسهل عليه التأليف فيما ترتاح اليه نفسه من الموضوعات ، وقد يؤلف الكتاب في بضعة أسابيع على شرط أن يوقن انه سيطبع .

فهو واسع الرواية واسع الدراية ، أو كما قال صديقه العلامة أحمد زكي باشا في برقية أبرقها الى الشام بالتعزية به : « كنت أرى فيه الأثر الباقي والمثال الحي والصورة الناطقة لما كان عليه سلفنا الصالح من حيث الجمع بين الرواية والدراية في كل المعارف الاسلامية وبين الدأب على نشرها بعد التدقيق والتمحيص واستثارة خباياها وابراز مفاخرها هذا الى التفاني في توسيع نطاقها بقبول ما تجدد عند الامم التي تلقت تراث العرب باليمين والدعوة الى الاقبال عليه مضموماً الى آثار الأبناء ومآثر الأجداد . وهكذا قضى الشيخ عمرا أولا وثانيا وثالثا في خدمة العلم والدعوة اليه بالقلم واللسان وبالقدوة الحسنة حتى تم له شيء كثير مما أراد بين الانداد والتلاميذ والمحبين والمريدين فهم مناط الأمل وفيهم خير خلف لذلك يغتبط قاسيون بضم رفاته والحنو عليها[1] » .

(١) ش : ج ٥ ، م ٥ ، ص ٢٧ ـ ٣٣
غرة محرم ١٣٤٨ هـ ـ ماي ١٩٢٩ م .

- ٢ -

اخلاقه وعاداته :

قلنا ان سيرة الشيخ طاهر كانت نمطاً واحداً طول حياته هكذا كان متعلماً ومعلماً وعالماً يحب العمل ويدعو اليه قبل النظر ، جد في حركته لا يبالي بالعوائق أمامه مهما عظمت وكلما حاول أعداؤه أن يقفوا دون انبعاث دعواته يزداد قوة وعرامة شأن كل الدعوات ، وكلماحاربتها زدتها انتشاراً ونبهت الناس إليها • ألغت الحكومة وظيفة التفتيش بالمدارس علها تخفف من شدته في بث أفكاره بين الاساتيذ والتلاميذ فزاد نشاط الشيخ ، وكان مدرساً في المدرسة الاعدادية بدمشق وهو من جملة مؤسسيها فاستقال ثم عرضت عليه وظائف كبرى في غير السلك العلمي فأبى لأنه كان يعـرف انه لا بد له من مشايعة الظلمة والجهّال على أعمالهم ، وجعل جل اعتماده في عيشه آخـر أيامه على الكتب التي اقتناها طول حياته بأثمان بخسة ، وأخذ يبيع منها بالتدريج ولا سيما اذا تأكد انها تحفظ في معاهد عامة كدار الكتب المصرية والخزاتين التيمورية والزكية في القاهرة فان معظم نفائس خزاتته نقلت اليهـا وتمزز الشيخ أثمانها نحو اربع عشرة سنة ، وكان اشتراها في صباه بأثمان بخسة فارتفعت أسعارها عشرة أضعاف أو أكثر •

كان الشيخ على ضيق ذات يده أحياناً يتصدق على الفقراء في السر وربما كزت يده عن لباسه وطعامه وأطعم جائعاً وعال معوزاً ، يصلي الصلوات لأوقاتهـا ويقيم شعائر الاسلام حتى في غير بلاده فقد زار مرة أحـد معارض باريز فكان اذا أدركته الصلاة صلى في الحديقة العامة لا يبالي بانتقاد الناس هناك ولا استغرابهم حركاته وسكناته ، وحج مرة وطبق مناسك الحج على ما يفعل العلماء العاملون ، وكان مفطوراً على الرحمة يأرق لجاره أو صاحبه اذا علم انه اصيب بائقة

في ماله أو أهله أو جاهه خصوصا اذا كان الرجل ممن ترضيه سيرته في الجملة .

كان الشيخ يستنكف أن يأخذ شيئاً من أحد بلا مقابل مهما كان الواهب ، فقد عرض عليه صديقه الاستاذ أحمد زكي باشا أن يوقع على طلب وهو يتعهد له براتب جيد من الأوقاف المصرية على عهد الخديوي عباس الثاني فتنصل واعتذر ولما اشتد صديقه في تقاضيه انتهره حتى لقد قال الاستاذ زكي باشا لو كنت أعتقد أن رجلاً يعيش من تحت السجادة لاعتقدت ذلك في الشيخ طاهر لأنه يقيم في بلد كمصر يشكو فيه الأغنياء من الغلاء ولا يحب أن يأخذ من أحد شيئاً يستعين به .

وكأنه يشير بحركته الى ما قاله القاضي علي بن عبد العزيز في عزة نفس العالم :

يقولون لي فيك انقباض وانما	رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم	ومن أكرمته عزة النفس اكرما
ولم اقض حق العلم ان كان كلما	بدا طمع صيَّرته لي سلما
وما كل برق لاح لي يستفزني	ولا كل من لاقيت ارضاه منعما
اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى	ولكنَّ نفس الحرِّ تحتمل الظمّا
أُنَهنِهُها عن بعض ما لا يشينها	مخافة أقوال العدا فيم أو لما ؟
ولم أَبتذل في خدمة العلم مهجتي	لأخدم من لاقيت لكن لا خدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة	اذاً فاتِّباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	ولو عظَّموه في النفوس لعظما ،
ولكن أهانوه فهان ودنسوا	محياه بالأطماع حتى تجهما

لا أكون الى المبالغة اذا قلت ان عزة النفس وهو الخلق الذي ندر في علماء المسلمين لعهدنا كان مما تفرد به ، ففيه اباء الملوك وزهد الزهاد

والعباد ، لم يظاهر ـ ظالماً لغنم يصيبه ، ولا صحب غنياً للانتفاع بغناه ، وكان يؤثر الخمول وعدم الظهور ولا تهمه الشهرة استفاضت أم لم تستفض لأنه يهزأ في باطنه بمظاهر الأبهة والرفعة ويزهد في اعتبارات كثيرة يتفانى الناس في تحصيلها . يزهد حتى في نسبته الى الشرف ولم يذكر ذلك الا مرة واحدة ذكره فيه أحد صلحاء الجزائريين امامي وسألته بعد ذلك عن نسبة بيتهم الى الشرف فقال (هكذا يقولون) ولا عجب فشرف العلم أشرف نسبة . هاجر الشيخ من دمشق لما كثر ارهاق العلماء في العصر الحميدي فنزل القاهرة من سنة ١٢٢٥ هـ ١٩٠٧ م الى سنة ١٢٣٨ هـ ١٩٢٠ م وظل فيها طول هذه المدة على تقشفه والحرص على عاداته ، ولما نشر القانون الاساسي في المملكة العثمانية (١٩٠٨) رأى الشيخ بنظره الثاقب أن عهد الحرية الحقيقية بعيد وكان لا يغتر بقوانين الترك ولا بثرثرة السياسيين فانزوى في مصر حتى استحكم منه مرض (الربو) وقفل راجعاً الى مسقط رأسه قبيل وفاته بأشهر قليلة فعين مديراً لدار الكتب التي كان أنشأها في صباه وعضواً في المجمع العلمي العربي وناداه ربه الى جواره يوم ١٤ ربيع الثاني سنة ١٣٣٨ هـ (٥ كانون الثاني سنة ١٩٢٠ م) فدفن حسب وصيته في سفح قاسيون جبل دمشق ، وقبيل وفاته برح به الألم فاقترح على الطبيب أن يعطيه دواء يميته حالاً قائلاً ان في الشرع ما يبيح ذلك وهذا من أغرب ما سمع من عاقل . أما الطبيب فركن الى الفرار وحلف أن لا يعود لتمريض الشيخ .

كان الشيخ فيلسوفاً بكل ما في الفلسفة من معنى شريف لا تلتوي أخلاقه ولا ينزل بحال عن عاداته متشدداً في دينه زاهداً في دنياه لم تبهره زخارف الحياة ولم يتزوج حتى لا يشغل ذهنه بزوج وأولاد وليكون أبداً مطلق العنان يسيح في الأرض متى أراد أو يقبع في كسر داره وسط كتبه ودفاتره ، ولئن خلا من هم نفسه فما خلا ساعة من

الاهتمام بأمر المسلمين وتحبيب العلم والعمل اليهم •

وعقد له صلات مستديمة مع علماء عصره على اختلاف أديانهم وأجناسهم ، صحب صديقه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده كما صحب صديقه العالم المجري (غيولد صهري) اليهودي • وكثيراً ما كانت صلاته بعلماء المشرقيات باعثة على تخفيف حملاتهم على الاسلام ولو قليلاً ، وهذا جل ما كان يهتم له ثم يهمه من أمر المستعمرين من المستشرقين توفرهم على خدمة آدابنا بنشرهم كتبنا النفيسة وكان يعاونهم فيما هم بسبيله اذا استطلعوه طلع رأيه ومتى استفتوه أفتاهم بما يتعذر وقوفهم عليه •

ومن عادة الشيخ أن يصحب الفرق المختلفة مهما كان لون طريقتهم ونحلتهم حتى الملاحدة وأرباب الطرق ، رأى ذات مرة جماعة يتألفون على طريقة لهم يحبونها وأذكار مأثورة يقيمونها وشهد في بعض أفرادهم استعداداً للعلم ، فما زال بشيخهم ، وكان من أصحابه وتلاميذه حتى حمل الجماعة على أن يشغلوا الوقت في مطالعة كتاب من كتب القوم في التصوف وكان هذا الكتاب في الأدب العالي والاخلاق الفاضلة ، ورأيت الشيخ يحتمل كثيراً من تجهم بعض أولئك المتألفين فيدخل في مجلسهم متظاهراً بأنه طالب استفادة حريص على درس استاذهم وهو يحمل اليهم النسخ المخطوطة من الكتاب لمعارضتها بالمطبوع يحاول أن يعلم بعضهم صورة المراجعة في كتب اللغة حتى تسلم العبارة من الخطأ ، ويخدم الكتاب الخدمة اللائقة ، وبذلك تيسر له أن ينقل بعض أرباب الاستعداد منهم من كتب التصوف الى كتب العلم والأدب•وسمعت بعضهم يتبرمون بقراءة تفسير ابن جرير الطبري وتبسطه في شرح الكتاب العزيز فجاء من هذه الزمرة أدباء نافعون بعد أن كانت نفوسهم مشبعة بالكشف والخيالات والمنامات • وأدخل النور على كثير من أذكياء العلماء من أصحابه وكان منهم الذين ذرفوا على

الستين فما استطاعوا أن يؤثروا الاثر المطلوب في مريديهم ومنهم من ساعدهم الطالع ان كانوا في سن الشباب فعالجوا التأليف والوعظ والتعليم فانتفع بهم الناس كل النفع ومنهم من لم يتمرنوا على الكتابة والالقاء فبقيت لهم أفكارهم في دائرة القوة لم يتعد أثرها المحتفين بهم من الاصحاب والمريدين •

ولقد كانت له صداقة أكيدة بالعالم المطران يوسف داود السرياني يتسامران ويتحدثان ويتهامسان ويتناقشان • وما أدري ان كان المطران أثر في الشيخ أو أثر الشيخ في المطران ؟ سمعت الشيخ يثني الثناء المستطاب على صديقه المطران ، وقد طالت به صحبته وعشرته • وهكذا كان له اتصال بالارمن واليهود واليسوعيين الكاثوليك والاميركان البروتستانت • وكان يغضي عن كثير من النقد على رجال الدين من غير المسلمين ويقول هم أقرب الناس الينا يعتقدون بالله واليوم الآخر وخلود النفس • وكانت جميع الطوائف تستلطفه وتحب عشرته على ما بينها وبينه من التخالف الظاهر في الزي والعادة والخلق والمذهب ويطلعونه من سرائرهم على ما لا يبوحون به لأقرب الناس اليهم وسمعته غير مرة يقول : « الحمد لله لقد سالمنا كل الفرق » •

صحب بعض الزنادقة وما زال يصبر على ما ينبو عنه سمعه من تصريحهم وتعريضهم وما فتيء يلقنهم أفكاره بالتؤدة مدة حتى عاد بهم الى حظيرة الدين وهم لم يشعروا فيما أحسب بما دخل على عقولهم من التبدل وصحب كثيرا من غلاة الشيعة والطوائف الباطنية فما برح يلطف لهم حتى أضعف من غلوائهم وأبدلهم بعد الجفوة أنسا وغير من انقباضهم وانقباض الناس عنهم ، ليعيشوا في هناء وسط المجتمع الانساني الاكبر •

وكان يتفنن في بث الأفكار الصحيحة واخراج قومه من الأمية

الميتة ويحمل خاصته ومن يصل صوته اليهم على تعليم أولادهم الممكن من ضروب العلم الذي يتناسب مع حالتهم الاجتماعية • وقال لي مراراً اذا أردت ادخال الاصلاح الى بيوت الاعيان وفيهم الجاه والمال فأجهد لأن يتعلم ولو فرد واحد من كل أسرة تقلب به كيانها • وكثيراً ما قال لنخرجن من بيوت الأغنياء أولاداً يحاربونهم بسلاح التربية الصحيحة وقد وفق الى ذلك بعض الشيء ، وكان يقول لو طلب مني اليهود أن أعلمهم ما تأخرت ساعة عن اجابة طلبهم لان في تعليمهم تقريبا لهم منا مهما كانت المباينة والفوارق بيننا وبينهم •

ما رأيت الشيخ يبغض انساناً بغضه لشقيقين دمشقيين جعلا شعار العلم على رأسيهما وكان اذا ذكر أحدهما أو كلاهما في مجلسه يقول (دعونا) وتنقبض نفسه انقباضا دونه كل انقباض ولو علمت ان بغضه لهما — وكانا بغيضين للنـــاس — كان ناشئاً من كونهما أعطيا عهداً على أنفسهما أن يصدا الناس عن طلب العلم لبطل عجبك • وأكد الاستاذ ان الأخوين قد وفقا بدعايتهما الضارة الى أن قطعا عن الدرس نحو أربعين طالباً ، كان يرجى أن يكون منهم متعلمون بل علماء عاملون وكان من عادة بعض أدعياء العلماء من الشيوخ أن يرغبوا الناس عن الدرس ليخلو لهم الجو ويستمتعوا وحدهم بالمناصب الدينية والأوقاف والمدارس والجوامع لا ينازعهم أحد في شؤونهم ما خلا أبناء بيوت محدودة معروفة ممن هم على شاكلتهم في غش الأمة والاستئثـــار بمرافقها • فكان شأن هؤلاء في الاستئثار الممقوت شأن كهنة قدماء المصريين لا يسمحون لغير فئة خاصة بالتعلم أو شأن أصحاب الطبقات من الهنود أو اللاويين عند اليهود لا يدخل أهل طبقة في طبقة غيرها مهما تبدل من حالتها •

من أجل هذا كان من رأي الشيخ أن يتعلم كل طالب علم (العلم الاسلامي) صناعة أو تجارة أو نحو ذلك من أسباب المعاش مما يغنيه

عن الناس وعن تكفف العظماء لتعزف نفوسهم عن التناول من الاوقاف والتمرغ في حمأة القضاء والافتاء ، وينشأوا على استقلال النفس ، لأن هذا العلم يطلب لذاته وفائدته في الدارين لا للتكسب به عند السلاطين والحكومات • وفي سيرة بعض علمائنا الأقدمين ممن كانوا يحترفون ويتجرون عبرة لأهل هذا الشأن وأي عبرة •

ولطالما تفرس الشيخ في انسان الشر وأعرض عنه وحذر أصحابه من الدنو منه فيناله من نقد غير العارفين ما يناله ويقولون ان الشيخ صاحب أطوار وغرائب والشيخ ساكت يقول : « هم أحرار ونحن لا نكم أفواه الناس عن التحدث بما يروقهم » ولا تلبث الأيام بعد حين أن تكشف نفس ذاك الشرير على صورة مستغربة وكثيرا ما كنت أسأله عن الاشخاص من حيث علمهم أو أخلاقهم فيجيب (الامر مجهول) فأفهم بالتعريض أن في معلوماتهم أو سلوكهم نظراً ، فيظهرون بعد لأي بمظهر الجهل أو الخيانة وقد خدعوا السذج من أصحاب الصدور السليمة ومن قلت تجاربهم في المجتمع أعواما غير قليلة • ومن فراساته الغريبة يوم حدث الاعتداء على ولي عهد النمسا في مدينة سراجيفو سنة ١٩١٤ م ان حرباً أوربية طاحنة ستنشب لا محالة فأبعد في تصوره خطورة الموقف الى ما لا يتعداه غير أعاظم المفكرين العارفين بنتائج الحوادث • كان يصدع بالحق ولا يماري اذا دخل مجلساً ورأى فيه بعض الظالمين أو المخرفين غلب عليه الجلال فلا ينطق بكلمة ، واذا رأى من أحد الحاضرين تمويهاً في أمر وخروجاً عن الصدد جبهه واحتد فيخرج عن مألوف الناس في الملاينة والملاطفة وهذا سر من أسرار ازورار بعض الناس منه • واتفق ان أحد أترابه ارتقى في الدولة العثمانية حتى أصبح الحاكم المتحكم في العهد الحميدي فقاطعه الشيخ مقاطعة بلا سبب ظاهر فتوسط صاحبه أحد أقاربه ليعود الشيخ الى مراسلته ووعد الشيخ ومناه فأغضى الشيخ عن اجابته ثم ألح الوسيط

بعد مدة ليعرف الداعي الى اعراض الشيخ عن صاحبه فقال : « اكتبوا له اننا لا نتعرف اليه ما دام لا يعرف أمته ومتى فكر في اسعادها وتخفيف البلاء عنها عدنا اخوانه واخذانه » ، وحدث ان صديقه الاستاذ أحمد زكي باشا نال بواسطة المرحوم احمد حشمت باشا وزير معارف مصر اعتماداً بعشرة آلاف جنيه لطبع مجموعة من الكتب العربية القديمة النادرة تبلغ فيما أذكر سبعة وعشرين كتابا ومنها ما يدخل في بضعة مجلدات فتباطأ زكي باشا في الطبع ومضت السنة فقيد المبلغ في نظارة المعارف على حساب السنة المقبلة ولم يخرج الباشا شيئا وهكذا حتى ألغي الاعتماد باستقالة حشمت باشا فغضب الشيخ غضبة مضرية من عمل زكي باشا وصارحه بقوله : « لقد أسأت الى الامة العربية بابطائك في اخراج الكتب للناس واذا ادعيت انك كنت تقصد نشرها سالمة من الخطأ مشفوعة كلها باختلاف النسخ والتعاليق فالتأنق لا حد له ويكفي أن ينتفع الناس بالموجود » وظل الشيخ أشهراً لا يكلم صديقه الزكي الا متكلفا كأنه عبث به وعمل الضرر الى مصلحته مباشرة . وأي مصلحة أعلق بقلبه من نشر آثار السلف وإذ كان الشيخ عصبي المزاج يحب اتمام كل عمل لساعته وكان يستشيط غضباً من رجل قال له ان لك عندي كتاباً ولكني أنسيته في داري أو حانوتي أو مدرستي وكثيرا ما كان يحمل من يشغله بكتاب جاءه على أن يفتح محله مهما كان بعيداً أو مهما كان الحديث في ساعة متأخرة من الليل . ويقصد الشيخ في ذلك ان يعلم الناس العناية بمصالح غيرهم أيضا . وكان يقول في مثل هذه الأحوال ولعل في الكتاب أمراً مستعجلاً يستدعي أن يجاب عليه في الحال[1] .

---

(1) ش : ج ٦ م ٥ ص ٢٢ و ٢٩
غرة صفر ١٣١٨ هـ - جوليت ١٩٢٩ م .

- ٣ -

غريب عاداته :

كان سمت الشيخ وهندامه سمت العوام وهندامهم وعمامته من الأغباني في جبة بسيطة وقفطان قطن وزنار مزدوج يخبأ فيه بعض الدراهم وألبسته من صنع الوطن الا النظارتين والطربوش ويختار من القمصان والسراويل ما خف ثمنه ليطرحه اذا اتسخ ولا يشغل ذهنه بغسله وكثيرا ما يلبس قميصين وسروالين وقفطانين وصدريتين وجبتين ليكون على اتم الاستعداد لما يطرأ على أحد الزوجين فيطرحه حالا ويستعيض عنه بأخيه دون انتظار شيء آخر ويقل استعماله للمناديل المتعارفة المعمولة من القطن فيعمد الى اتخاذ مناديل من الورق الغليظ يضم بعضه الى بعض ويخيطه فيكون دفترا يلقي به الشيخ بعد أن يتسخ كله . وكان يطهر جسمه ولا ينظف ثيابه كثيرا . أصيب بهذه الخلة خصوصا بعد أن فقد والدته في صباه ولم يبق له من رحمه امرأة تتعهده أبدا بنظافة ثيابه والعناية بظواهره وأنى له هوان يسد مسد أمه في ذلك وفكره مشغول بمطالب عالية أخرى قد لا يتسع لمثل هذه الجزئيات في رأيه .

ورأيت في بعض تعليقاته في ترجمة عبد الله بن الخشاب وكأنه بنقله لها ترجم نفسه فقال بلسان الحال ، وهذا رجل مثلي كان الى الخمول قال : « كان وسخ الثياب ما تأهل ولا تسرى له معرفة بالحديث والمنطق والفلسفة والهندسة بل بكل فن ، وكان يترك عمامته أشهرا ولا يغسلها ويلبسها كيف اتفق فاذا قيل له في ذلك يقول ما استوت العمة على رأس عاقل قط » وشيخنا رحمه الله كان من هذا الطراز . والعبقرية على ما يظهر تكمل من صاحبها ناحية واحدة وتنقص منه من الناحية الأخرى بقدرها . أراد الشيخ أحد أصحابه في القاهرة

خلال الحرب العامة على أن يغير جبته لأنها بليت بعض أطرافها فسكت الشيخ عن اجابته ، فلما ألح عليه مرتين وثلاثا أجابه « يا فلان تريدني على اقتناء جبة جديدة وأهل الشام اليوم يموتون من الجوع » •

واضافه أحد أصدقائه في بيروت واخذ ذات يوم ثيابه بدون استئذانه ليغسلها وعوضه عنهـا ثياباً جديدة فحنق الشيخ وما زال بمضيفه حتى أعاد اليه ثيابه الوسخة وذلك لئلا يشغل فكره في ثيابه ريثما تغسل وتنشف ولئلا يلبس ثيابا غير ثيابه • وغضب مرة على أحد أصحابه ومساكنيه في القاهرة لانه افترص غيابه فنزع من غرفة الشيخ جميع الكتب والفراش المملوء بالبق وكنس الغرفة ونفض الغبار عن الكتب والاواني وغسلها ووضع سماً لقتل البق في السرير حتى لا يصل الى الشيخ فيقرصه وأعاد كل شيء الى مكانه فلما رأى الشيخ ذلك عرف ما دبر له ولم تطب نفسه بهذه التعزيلة وانحى على صاحبه باللوم والتقريع • ورأيته مراراً تنأ مسمار أو مسامير من حذائه فكان يخصف من ورق الشجر يجعله في الحذاء ليتقي ضغط المسمار على رجليه ولا تحدثه نفسه أن يذهب الى الحذاء يصلح له حذاءه واذا قلت له في ذلك أجابك ان الوقت لا يساعدني • وكان مداسه متسعاً في الشتاء يجرف من الارض طيناً كثيراً يعلق بجبته فيصبح وجهها شكلا وقفاها شكلا آخر • ولطالما تبرم بزيارته أيام المطر بعض ربات البيوت مخافة أن يعلق طين جبته في المقعد الذي يقعد عليه • وكان اذا اشتد الحر استثقل الجوربين فنزعهما من رجليه وعوضهما أوراقاً هشة ملونة جعلها خفاً في نعله لتمتص العرق بزعمه • وأنت لا تملك نفسـك من الضحك اذا رأيت رجليه وتستغرب من عظيم كهذا يهزأ بعـادات مجتمعه الى هذا الحد ولا يبالي النقد ولا الملام ولطالما قال أنا شاذ ولا أحب أن يقتدي بي أحد •

ومن عادة الشيخ أن يحمل في جيوبه وعبابه بعض الدفاتروالرسائل

بل أقلاما ودواة ومقراضا وسكينا وابرا وخيوطا وشيئا مما يحمل من النواشف والخبز والجبن والزبدة والتين والزبيب وفي بعضها مادة دهنية دسمة يخشى أن تسيخ كالشواء وما دخله سمن أو زيت من المآكل يضع ذلك في مقوى أو ورق غليظ ويستعمله عندما يريد ويطعم منه أصحابه ان أحبوا ، أما الدخان والسكر والمربى فيحمل منه مؤونة أيام أحيانا ، وقد يطبخ القهوة في داره كمية وافرة ويعمل منها ما يكفيه اسبوعا حتى لا يضيع وقته بطبخها كلما أراد تناول فنجان منها وهكذا يشربها باردة بائتة أياماً لئلا يشتغل بها كل ساعة عن مطالعته .
وقال لي مرة انه ابتاع أرطالا من البرتقال وضعها في داره ومن الغد بدا له أن يسافر وتذكر وهو على أذرع قليلة من البيت انه يجب أن يستصحب في جقيبته شيئا من البرتقال وتذكر ما اشتراه منه بالامس فآثر أن يبتاع برتقالا من الطريق لئلا يضيع وقته بالرجوع الى الدار بعد ازماعه الخروج منها ولم يعد الشيخ الى داره الا بعد ستة اشهر وفرح أن رأى برتقالاته تضمر وتتشف .

وكان مغرما بالتدخين منعه الطبيب منه وأراده على ابطاله فتعذر عليه ذلك فقال الطبيب ان كان لا بد من التدخين فلف بنفسك لفائفك حتى يمضي جانب من الوقت في اللف وكان الشيخ لا يحسن صنع لفائفه فتجيء واحدة دقيقة واخرى غليظة وثالثة متوسطة وعندئذ يبدأ الشيخ بتجاربه ليضع اللفافة في البز (الفم) الذي يلائمها وكان في جيب الشيخ بضعة من هذه الابزاز يتخيرها من القصب أو غيره من أنواع الخشب وهكذا كان يتلهى عن الاكثار من التدخين ولو بضع دقائق واذا قلت له بابطال التدخين ينهرك ويعرض عن حديثك هذا وهو صاحب ارادة قدت من حديد أو صخر .

ومن عادة الشيخ خلال الاربعين السنة الاخيرة من حياته أن لا ينام الا اذا صلى الصبح يساهر بعض أصحابه هزيعا من الليل ثم يغشى

حجرته يطالع ويؤلف وكان لا يراعي أوقات بعض أحبابه فيوقظهم أحياناً بعد الهزيع الثاني من منامهم ليسمر عندهم اما من كان لهم مواعيد ويعرفون التوقيت لساعات الليل والنهار فكان يصونهم عن غشيان منازلهم موهنا ولا يطرق أبوابهم بعد الاوقات المعينة للسمر والسهر •

كان يحب السباحة والعوم وله مسبح خاص في بيروت وآخر في صيدا ومسابح في بعض أنهر دمشق وربما لبس سراويله مبللة بعد الخروج من سباحته ويهوى السير على الاقدام للتريض ولطالما قطع عشرات الاميال بين المدن والقرى والجبال والاودية سائراً على قدميه • وقد يراه في الطريق بعض أصحابه أو من لا يعرفه ويدعونه الى الركوب في مركباتهم أو على متون دوابهم فيأبى لانه لا يحب أن ينقض أمراً أبرمه ونفسه تتوق الى السير ماشيا فأي معنى للركوب • ومن أغرب أطواره انه اذا استعدت نفسه للقيلولة قال وهو وسط اخوانه يتذاكرون ويتدارسون • يقيل وهو قاعد ويضع على وجهه منديلا وربما أتم اغفاءته عند انجاز الدرس والمذاكرة ولم يكن يحب أن يطول الدرس أكثر من نصف ساعة لانه يتبرم بالجد في هذه المجالس وهو يقضي الساعات في مطالعاته الخاصة [1] •

— ٤ —

كان الشيخ لا يعرف الهجر ولا يشتم شتما ينبو عن حد الأدب مع حدة فيه ظاهرة وألم من أكثر أحوال المجتمع وكان اذا صفا ذهنه تفصح عبارته في محاضرته والا فيعتريها شيء من اللهجة المغربية ممزوجة بالعامية الدمشقية وله تعبيرات خاصة وأساليب في مصطلحاته

(١) ش : ج ٧ ، م ٥ ، ص ٢١ — ٢٤
غرة ربيع الاول ١٣٤٨ هـ ، أوت ١٩٢٩ م .

ونبراته لطيفة تحلو من فمه ، يمزج أحماضا من الجد وما أحصى عليه ان نطق يوماً بفحش أو هراء أو استعمل ما ينافي الأدب والمروءة وكان يميل الى بعض من فيهم البلاهة ممزوجة بالذكاء وتصدر عنهم غرائب الافكار والتصورات وربما قصدهم كل سنة من بلد الى بلد ليقطع بينهم أياما يخرج فيها من الجد ويدخل معهم في حـديث قد يروقه للتسلية •

حدثني أحد لداته قال : كنا في دمر احدى قرى دمشق نقضي فيها يوما للنزهة وكنا في نحو الثلاثين من العمر فاعتزل الشيخ طاهر في ناحية من الحديقة يطالع ويكتب في ظل شجرة وكنا حراصا على أن يكون معنا طول النهار وكانت في البستان فتاة اسرائيلية جميلة الطلعة فاقترحنا عليها أن تذهب الى الشيخ المستظل بالشجرة وتأتينـا به ونحن نكرمها بالمال فصدعت بالامر ولما رفع رأسه من كتابه أخرج لها في الحال قطعة من قمرالدين (معجون المشمش) وقال لها : « ايه بارك الله أتأكلين قمرالدين يا قمر الدنيا » وصرف الفتاة بهـذا التقريظ وهذا كل ما أثر عن الشيخ في باب التصابي • وسأله أحد الطلبة عن حكم التقبيل وما اليه فأجابه هذا موضوع لا أعرفه سل غيري وتكلم أحد أصحابه بعيداً عن الحشمة في حضرته فأشاح بوجهه وتصام كأنه ما سمع ولا دهش لهذا الغريب من الحديث على حين كان مغرما بالغرائب ولكن لا من هذا البحر والقافية •

سأله أحد الفقهاء ممن ألفوا كتباً دينية حشوها بما لا يقره الشرع الصحيح ولا العقل الصريح كيف تجد كتبي يا شيخ طاهر ؟ فأجابه في الحال متخلصا أجمل تخلص « اشتغلوا ونحن نشتغل لنرى لمن تكون النتيجة » وكان يكره المتشدقين من المؤلفين والكاتبين خصوصا في الدين والسياسة بل يكره كل من يقول بغير علم ويحاسب الـذين يرمون الكلام على عواهنه حسابا غير يسير ويسميهم الحشوية كما

يكره الجلجلوتين والقبوريين والجامدين والماحكين • وسمعته يقول ان فلاناً بردّه على الماديين وهو لا يحسن العلوم المادية فتح علينا أبوابا يصعب سدها وفلانا بمقالاته السياسية المطولة يفتح بقلمه كل حين مشاكل صعبة الحل •

وكان ينهر من يوردون أحاديث تفت في عضد السامعين وتلقي في قلوبهم الرعب والوهم لان من مذهبه تقوية القلوب وازالة غشاء الاوهام من الاحلام وأن يصمد المرء لمكافحة الحوادث ولا يحب الاستقراء والاستنتاج اذا كانا في غير محلهما حتى لا يؤدي التزيد والتفلسف الى تزييف الوقائع والباس الحقائق غير صورها ولذلك كان يستلطف من الانكليز السكسونيين ايجازهم في أحاديثهم وكتبهم ويوحشه من اللاتينيين تبسطهم في أقوالهم ومكتوباتهم •

كان يرفق بالضعفاء ويرفع من قدر الصعاليك ويحمل على العظماء ويترفع عن ملابستهم وكثيرا ما كان يحدث العامة برفق وتؤدة ويخاطبهم خطاب اخوانهم لهم • ولطالما قال ان من الحكمة أن لا تجعلوا بينكم وبين العامة حجابا كثيفا اذا أحببتم هدايتهم والانتفاع بهم في المجتمع وعليكم أن توهموهم ان ليس بينكم وبينهم من الدرجات الا قليل يوشكون هم اذا اشتغلوا قليلا ان يساموكم أو يفوقوكم فهو بهذا كالطبيب الحاذق يعطي المريض الجرعة التي تناسبه ويتدرج به في المقويات درجة درجة وهكذا كان مع كل طالب ومستفيد ، تحقق لدى الشيخ أن ابن أخيه ، وكان من نوابغ الشبان ، ابتلي بآخرة بالشراب يتعاطاه ، فقطع مكاتبته مع شدة حبه اه وظل لا يكلمه ولا يبحث عنه مدة اثنتي عشرة سنة وهو يكتم السبب في اعراضه عن نجل شقيقه حتى أشار مرة لبعض خاصته بما يرتكبه المغضوب عليه من أخذ المسكر ، وعد عليه في جملة هناته انه أتعب نفسه في المدرسة زيادة على المطلوب فضعف بصره حتى ينال رتبة علية وكان عليه لو سمع

نصائح عمه أن لا يرهق نفسه ويكتفي من المنافسة مع أقرانه بما توصله اليه الطبيعة بدون اعنات ولا انهاك بدن وهذا من قوة نفسه وصدق حدسه .

كان يكره الاستعمار كرها شديدا ويحب المدنية ويحث على تعلم لغات الغرب ويكره السياسة العثمانية ويقول ان استيلاء الترك على بلاد العرب أضر بها وأزال مدنيتها وغير أخلاقها ولم يكن ينكر على الاتراك أدبهم في عشرتهم ونظامهم في بيوتهم وحسن معاملتهم لكبرائهم . وكان يحب من أهل المدنيات الحديثة كل أمة ترفق بالمسلمين في الجملة ويحب من الناس من يصرف في خدمة المسائل العامة شيئا من وقته وماله . وكان يقول وهو على فراش الموت عدوا رجالكم واغفروا لهم بعض زلاتهم وعضوا عليهم بالنواجذ لتستفيد البلاد منهم ولا تنفروهم لئلا يزهدوا في خدمتكم يقول هذا رجل أخلص كل الاخلاص في خدمة أمته وتفانى في حبها ومعالجة ادوائها الاجتماعية وكان جماعا ما كافأته به في حياته عبوسا وانقباضا وتنغيصا وغصصا ثم عصيانا على اصلاحه الناجع كالطبيب النطاسي يريد الخير بمريضه المعربد وكلما ناوله الدواء عضه وأدماه وشتمه وآذاه « أريد حياته ويريد قتلي » . وكان الشيخ كثيراً ما ينشد قول البهاء زهير :

يا أيها الباذل مجهوده	في خدمة أف لها خامة
الى متى في تعب ضائع	بدون هذا تأكل اللقمة
تشقى ومن تشقى له غافل	كأنك الراقص في الظلمة

ويشبه الشيخ من كثير من الوجوه غاندي الفيلسوف الهندي المعاصر وان لم يكن له ما لهذا من الشجاعة وذلك ان الشيخ لا يحب الأذى ولا العنف ويحاول احياء كل ما هو آسياوي من اللغات والتقاليد وتعليم الناس الصنائع وعدم الغفلة عما عند الامم الغربية من مقومات

العلم . ولا عجب فالعقل واحد مهما اختلفت الاعصار وتباينت الافكار العقل السليم في هذا الشرق القريب وفي ذلك الشرق الاوسط وما وراءه من الشرق الاقصى لا يختلف في مظاهره الحقيقية عما هو عليه في أوروبا وأميركا وافريقيا .

نعم لم يكن الشيخ طاهر كالمهاتما غاندي في حملاته حتى ولا في تصريحاته ، المبدآن متفقان الا قليلاً ، ولكن ابن الوثنية جسر على العمل بمداه أكثر من ابن الاسلام . شعار غاندي « هندوسا كنا أم بارسيين نصارى أم يهوداً أياً كنا يجب اذا تاقت نفوسنا الى أن نعيش أمة واحدة أن تكون مصلحة الفرد مصلحة الجماعة ولا عبرة الا لعدل مطالبه » أما الشيخ الجزائري فكان يتوقع من القوم أن يقولوا هذا وهو لا يدعوهم اليه الا بالاشارة والمثال البعيد . والحكيم الهندي قال ما اعتقده غير مجمجم فتخلص من قيود كثيرة وأراد أمته علنا أن تنهج سبيله فكانت شهرته شهرة عالمية وانحصرت شهرة الشيخ في بعض أصقاع العرب . وكان بعضهم يقول ان الشيخ ضنين بالافادة حتى ادعى بعضهم « ان الشيخ طاهر بئر علم ولكن لا ينتفع بها » والحقيقة انه يصعب على الشيخ مجاملة من يتشهى ولا مأرب له الا أن يقال عنه انه باحث وطالب فوائد فلا يرى أن يتعب نفسه في افهام فضولي يسأله في الفلسفة العليا أو في مسائل تعلو عن محيط عقله على حين هو في حاجة الى أن يتعلم القراءة والكتابة فكان في ضناتته هذه حكيما ايضا لا يظلم الحكمة فيلقي دررها بين أرجل من لا يعرف قدرها ولا يتأتى له أن يحسن الانتفاع بها . أما المستعدون للتلقي والترقي فكان يجهد أن يختصر لهم طريق الوصول الى ما يريدون ويبعث كل حين عقليتهم ويفيض من واسع علمه[1] على أذهانهم وكلما

---

(١) في الاصل عمله .

رآهم يحرصون جد الحرص على التقاط فوائده جاد عليهم بما يعلم الا اذا كان ثمة شيئاً[1] لا يعرفه فانه يقول « لا أدري » غير مبـال بنقد من يذهبون الى استقلال علمه وعدم احاطته . فكان الآخذون عنه بالنظر لتحريه الصدق على ثقة من العلم الذي يسمعونه ويستملونه منه لان الشيخ الى التصريح بعدم معرفته أقرب منه الى إيهام الناس انه يعلم كل شيء شأن المموهين والجامدين ولذلك لم يحسب عليـه ان بدت مقاتله لأنه مرة يقول بعد التحقيق ويكره التلفيق[2] .

— ٥ —

تآليفه ورسائله :

ليست تآليف الشيخ مما يتناسب كل التناسب مع علمه الواسع لان بعضها مما ألفه في صباه لنفع المدارس وهو مفيد جدا في بابه وفي حينه ومن تآليفه المطبوعة (الجواهر الكلامية في العقائد الاسلامية) و (منية الاذكياء في قصص الانبياء) و (مد الراحة الى اخذ المساحة) و (مدخل الطلاب الى فن الحساب) و (الفوائد الجسام في معرفـة خواص الاجسام) ورسالة في النحو واخرى في البديع وثالثـة في البيان ورابعة في العروض ، وكتاب (تسهيل المجاز الى فن المعمَّى والالغاز) وشرح ديوان خطب ابن نباتة . ومن كتبه (ارشاد الالباء الى طريق ألف باء) ورسالة وجداول جدارية في الخطوط القديمـة والحديثة . و (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن) وهي المقدمة الصغرى من مقدمتي تفسيره . ومقدمة سماها الكافي في اللغة وهي

(١) كذا في الاصل والصواب : شيىء

(٢) ش : ج ٨ ، م ٥ ، ص ٢٠ — ٢٤ .
غرة ربيع الثاني ١٣٤٨ هـ سبتمبر ١٩٢٩ م .

مقدمة معجم ضاع اكثره • و (التقريب الى اصول التعريب) و (توجيه النظر الى علم الاثر) ومختصر أدب الكاتب لابن قتيبة ومختصر امثال الميداني ومختصر البيان والتبيين للجاحظ •

هذا هو المطبوع • اما المخطوط فتفسيره الكبير ويدخل في اربعة مجلدات مخطوطة محفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق مع جميع ما ظفرنا به[1] من أوراقه •• ومن المحفوظ أيضاً كنانيشه وفيها خلاصة مما طالعه من الاسفار وعرض له من الافكار • وله من المخطوطات كتاب (الإلمام بأصول سيرة النبي عليه الصلاة والسلام) و (مقاصد الشرع) وغير ذلك • وقد أحيا بالطبع عشرات من الكتب منها ارشاد المقاصد لا بد ساعد الانصاري وروضة العلماء لابن حيان البستي والادب والمروءة لصالح بن جناح والادب الصغير لابن المقفع وامنية الالمعي وتفصيل النشأتين الراغب الاصفهاني والفوز الاصغر لابن مسكوية الى غير ذلك من مقالاته في المجلات العلمية وإملاءات جمة كتبت بتواقيع مستعارة لو جمعت لجاءت في مجلدين أو ثلاثة • والف الشيخ معظم هذه الكتب والرسائل بحسب الدواعي خصوصا مبادىء العلوم ووضعها في زمن كانت فيه الكتب المدرسية في حكم المعدوم وذلك لينهض بالتعليم الابتدائي ويخلص الناشئة من غلطات المتأخرين المعروفة وحواشيهم وشروحهم المملة المضيعة لاوقات الطالب ومعنى هذا ان الشيخ انتبه قبل غيره الى فساد طريقة التعليم القديمة وادرك ان الزمان يتقاضى اهل العلم ان يخرجوا الناس من ربقة القيود الثقيلة العائقة عن التحصيل كما انتبه الى كثرة سريان الحشو واللغو الى كتب الدين التي خلط فيها كثير من المتأخرين •

من اهم كتب الشيخ المطبوعة شرح خطب ابن نباتة وارشاد الالباء

(١) راجع وصف هذا التفسير والاوراق والكنانيش في المجلد الثالث صفحة ١٧١ من مجلة المجمع .

والتبيان والتقريب وتوجيه النظر ففيها لباب علمه وأثر من آثار قريحته تجلت فيها روح بحثه وغوصه على مسائل دقيقة قل ان تسنى لغيره من المعاصرين الوصول اليها • وليس معنى هذا ان سائر ما طبعه الشيخ غير مفيد ، المقصود انه كتب لغرض خاص اريد به تثقيف الناشئة وهذه الكتب هي التي ظهرت فيها شخصية الشيخ وثقوب ذهنه وسعة مداركه وتلطفه في ابلاغ المعاني الى العقول وحرصه على ان يحيل في الاكثر على عالم تقدمه • لان الناس في العادة يقدسون الاموات اكثر من الاحياء •

والشيخ وان كان في مذهبه الديني الى الاجتهاد لكنه في مذهبه التأليفي اقرب الى التقليد ينشيء على مذاهب القدماء ولكن بتنسيق وتقسيم بدون ان يشوش القارىء • ولو تيسر للاستاذ ان يسير على نظام اكمل من الذي سار عليه في معيشته وساعده الزمان والمكان على تجويد مصنفاته والصبر عليها قبل نشرها لخلف كتبا وخصوصا في العشرين سنة الاخيرة من عمره تقرأ فيها صورة عظيمة من جهاده ونبوغه • وبلغني انه دون بعض الوقائع التي شهدها ولم نعثر عليها بين أوراقه الخاصة التي سرق بعضها وقت انتقاله من مصر الى الشام • ويقيني ان الرجل لو وفق الى طابعين أغنياء فضلاء يحملونه على العمل على ما خص به من النشاط وشدة الحركة لانتجت قريحته اكثر مما انتجت في الفروع المختلفة التي طرقها ووزع قواه فيها ولكن تفانيه في الاسراع بحمل النور الى العقول وفدح التبعة التي أخذها على نفسه في الاسراع بانهاض امته دعواه الى أن يكتفي بما تهيأ له وضعه وتأليفه ناظرا فيه الى مصلحة الناس لا الى مصلحته الخاصة وشهرته في حياته وبعد مماته •

كان محيط الشيخ الذي عمل فيه على عهد الشباب والكهولة ضيق المضطرب لا يتسع لانبعاث همته وكانت المطالب التي يتقاضاها منه حرصه على بث الاصلاح والتعليم كثيرة لا يقوى الفرد على حملها

كلهـا ، ولو قـدر له ان عاش منـذ نشـأته في محيط أوسـع كمحيط مصر وخلا من مدافعة المشاكسين والظالمين ورأى شيئا مـن الطمأنينة وسعة العيش لتضاعف عمله لا محالة وعم نفعه مصر وغير مصر وربما كان ظهوره في الشام والعهد عهد ظلمة وجهل ابرك عليها وانفع لها لان ما اضطلع به وحده لا يضطلع به عشرة علماء على شريطة ان يكونوا في درجته من الاخلاص وشدة الشكيمة وعزوف النفس عن المطامع والدنايا •

وبعد فهذه صورة صحيحة من صور الاستاذ الحكيم عجيبة في خطوطها وتقاطيعها ، جميلة بألوانها وأشكالها ، عرضتها لغرابتها لأنه ندر جدا في المعاصرين من الاحياء ظهور رجل يماثله في اطواره وحركته وسعة حيلته وبسطته في العلوم ، اللهم الا اذا كان ممن لم يبلغنا خبره في البلاد النائية والزمان بخيل بمثل هؤلاء النوابغ في كل عصر وقد لا ينبغ اضرابهم في قرون يفادون بكل ما يتفانى الناس من التهالك عليه من مال وجاه ورفاهية وتنحصر لذائذهم في بث افكارهم وآرائهم ويسعدون السعادة كلها اذا نهضوا باثارة عقول أهل جيلهم وقبيلهم •

رسائله الخاصة :

والى القارىء الآن جملا من كتب دارت بيني وبين استاذنا فيها شيء من مبادئه العلمية وروحه السامي ربما ترجمت عنه لقلتها مثل ترجمتنا وزيادة • وكتابة المرء نمامة على علمه وعقل الكاتب في قلمه واختياره قطعة من عقاله • وقد صدرت هذه الرسائل من القاهرة المعزية ومن اجمل ما فيها كونها كتبت على البديهة لا كلفة فيها شأن الشيخ في كتبه ومفكراته • وربما كتب الى اصحابه كتابا وبعثه في البريد بدون أن يطالعه ثانية ، ولذلك رأينا بعض كتبه غفلاً من التاريخ أيضاً•

سألته مرة عن منشأ الشعوبية فأجاب : « واما الزمن الذي ظهرت

فيه الشعوبية فلا يحضرني فيه شيء والوقوف على اوائل الاشياء من اصعب المسائل وادقها الا أن الذي ظهر لي ان ذلك حدث بعيد عصر الخلفاء الراشدين لوجود الداعي الى ذلك وهو التفاخر بالجنس الذي هو من عادات الجاهلية التي اتي الدين بابطالها ومن نظر لمنزلة سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي في اوائل الامة زال عنه الشك في هذه المسألة .

ولا يدخل في هذا الامر بحث المؤرخ عن خصائص الاجناس مما يقصد به الوقوف على الحقائق فان هذا نوع آخر . الا ان من بحث عن أحوال الأمم ووفى النظر حقه تبين له ان العرب في الجملة لا تساميهم أمة البتة.

واظن انه لا بد ان تؤلف بعد حين كتب في خصائص الامم وكتب في خصائص البلاد كما الفت كتب في خصائص اللغات تجعل من الفنون التي يعني بها وتميز عن غيرها ولا تذكر بطريق العرض الا ان فن خصائص الامم تتيسر المشاغبة فيه والمغالطة اكثر من غيره . وكل فن وضعت مقدماته ونقحت مسائله يبدو بسرعة عوار الغالط فيه .

هذا وكما حدث بعض عصر الخلفاء امر المفاضلة بين العرب والعجم حدث امر المفاضلة بين العدنانية والقحطانية وهما الفريقان اللذان يجمعهما اسم العرب . ونشأ بسبب ذلك من الفتن ما يعرفه المولع بالاخبار ولم يزل اثر ذلك باقيا في بعض الجهات الى ما قبيل عصرنا هذا وقد رأيت في بعض بلاد أناسا يقولون الى الآن نحن قيسية وآخرين يقولون نحن يمانية .

كتبت لك ما كتبت والقلم لا يكاد يجري لما حدث لي من الفترة من نحو ثلاثة اسابيع . وسبب ذلك اني اختبرت احوال كثير من الولايات فوجدتها منقسمة الى حزبين كل منهما يباين الآخر في كل شيء ولم يظهر حزب ثالث يكون معتدلا ومعدلا لهما . واذا دام الحال هكذا

تأخرت البلاد عما كانت عليه من قبل . وقد نصحت كثيرا من المحدثين من الاحرار بان يعدلوا مشربهم وحذرتهم عواقب الامر غلبوا ام غلبوا فابوا الا الاصرار على فكرهم وما قلت لهم رأيي الا بعد ان الحوا علي في بيانه وحضر اناس منهم من مركز جمعيتهم وطلبوا مني التفصيل بعد ان بينت لهم ذلك اجمالا فرأيت انهم يوافقونني في البدء ويخالفونني في النهاية فامتنعت في اتمام البيان وتشاغلت عنهم .

فاني رأيتهم يظنون ان حلهم لبعض مسائل الجبر والمقابلة يحل لهم مسائل ادارة البلاد . ان كثيراً ممن كنا نزدري برأيهم في السياسة من تلاميذ المدارس في مصر هم ارقى منهم في ذلك .

وقد اجتمع بنا في هذه الليلة أحد المرسلين منهم وسمع منا هذه العبارة وهي ملقاة على صورة تحتمل الجد والهزل فدهش وعرف انها الى الجد اقرب منها الى الهزل وكان يتكتم فاضطر الى الانطلاق فيما يراه من الاخطار التي يصعب تداركها ... اني متشوق لاخبار كثيرة من الولايات لعلنا نسمع بظهور الحزب الاوسط في واحدة منها فيسري ذلك في غيرها شيئا فشيئا . وهذا الحزب يلحقه في اول الامر اشد اضطهاد لان الحزبين المتطرفين يبغضانه اكثر مما يبغض احدهما الآخر لاعتقادهم بانه اقرب الى انضمام كثير من الحزبين اليه .

وقال من كتاب عن القاهرة في ١٩ صفر سنة ١٣٢٨ :

« وبعد فقد وصلني كتابكم الكريم منبئا بعودكم من بلاد اوربا فسررت بذلك سرورا شديدا وكنت اتمنى لكم هذه الرحلة من زمن قديم لما اتيقنه من الفائدة التامة العامة في ذلك فان الاقتباس من الامم المترقية دليل على النباهة لا كما يظن البله من ان في الاقتباس غضاضة ونريد بالاقتباس ما يشعر به هذا اللفظ من تلقي الامور النافعة لا كما يظنه المتكايسون من ان الامم الراقية ينبغي ان يؤخذ منها كل شيء

حتى اداهم الامر الى ان يقلدوهم في الامــور التي يودون هـم ان يخلصوا منها •

وأما ما يتعلق بخزائن الكتب في الآستانة فقد خطر في بالي خاطر يرتفع به محذور الامتعاض في جمعها وذلك بأن تبقى كل مكتبة في موضعها لينتفع بها المجاورون لها غير انه يؤخذ منها الكتب النادرة وهي في الغالب لا تلزمهم ولا يهمهم امرها وتوضع في موضع معد لها يكون في وسط البلدة • ومن اطلع على دفاتر مكاتبها وجد امكان اجراء ذلك بدون اعتراض يعقل • ولما عملت برنامجا لكتبها النادرة رأيت ان بعض المكاتب قد يوجد فيها نسخ متعددة من كتاب نادر فلو أخذ أحد النسخ المكررة لم يكن في ذلك ما يقال • وقد كنت ذاكرت بهذا الامر بعض اعضاء الجمعية فاستحسنه جدا وذكر لي انه سيسعى في ابرازه من القول الى الفعل • ثم عرضت شواغل عاقت عن ذلك •

واما مصر فقد دخلت في الدور المجهول وسيكون اما لها واما عليها• وهذا الدور لابد منه لكل امة تريد النهوض بعد العثرة فان ساعدها الزمان والمكان والامكان نالت مناها والا كان لها تعلل بسوء البخت بعد التشبث بالاسباب الظاهرة جعل الله سبحانه العاقبة خيرا » •

وكتب ناصحا وواضعا خطة للاصلاح بتاريخ ١ جمادى الاول ١٣٣٧:

« ومما يهم الامر فيه اصلاح العــادات فان في الشرق كثيراً من العادات التي ينبغي ابطالها كما ان فيه كثيرا من العادات التي ينبغي المحافظة عليها غير انه لا ينبغي ان يستعمل التنكيت في ذلك بل يستعمل مجرد البيان الدال على حسن الشيء او قبحه •

ولا يتيسر الاقدام على هذا الامر الا لمن لا يهمه امر المدح والذم العاجلين بل يهمه حسن الاثر •

ومن العادات الرديئة جدا ان الكاتب قد يمكنه ان يكتب في

اصلاح عادة لكنه يرى ان الكلام في ذلك يكفي فيه عشرة اسطر فيرى ان الناس يزدرون بذلك وينسبونه لقلة القـدرة على الانشاء فيترك الكتابة فيه او يسهب اسهابا لا داعي له من سرد مقدمات معلومـة مسلمة لو تركها لكان اقرب الى الفهم وابعد من الوهم وما ذلك الا من تأثير الحشوية فيهم وقولهم ان الناس نسبوك لعدم الاقتدار على الكتابة • فينبغي أن يكون في المجلة ولو مقـدار صفحة تبحث في العادات على اختلاف انواعها وتعليم ذلك للبنين والبنات • هذا ومن جهة رأي الناس في حقكم فان النبهاء المنصفين منهم يجعلونكم ممن ثبت في حين الشدة ولا تعبأوا بمن يلوم عن جهل وغباوة فان ذم هؤلاء اقرب الى المدح من ثنائهم •

وكتب إليَّ يقوي عزيمتي على العمل :

« وأرجو أن يكون ما حصل لكم من المروعات زائداً في نشاطكم في افادة الأمة ، فانها في احتياج شديد الى من يبين لها الطريق الأقوم من ارباب الوقوف والاخلاص واعظم ما تحتاج اليه هو امر الاخلاق وما يتعلق بها ومعرفة الامور العمرانية على وجه لا يكون فيه اخـلال بمعالي الامور وتنبيههم على عدم التعويل على المدنية التي كان الغربيون قديماً يفتخرون بها ويزدرون بمن لا يتابعهم عليها مما هو مبني على مجرد مراعاة الامور المادية دون غيرها وهي التي جلبت هذه المصائب الحاضرة وقد أشرتم بطرف خفي الى ذلك في محاضرتكم التـي ألقيتموها في مصر حين فراركم من دمشق اليها وقد صرحنا في ذلـك في قصيدتنا البائية المطبوعة في الجزء الرابع من منتخبات الجوائب • وقد كان اناس يقرؤونها ويعدونها من آراء حشوية الشرق فما زالوا على ذلك حتى صرح فلاسفة الغرب بذلك • ومما ينبغي ان تحثوا عليه تعلم صنعة ما أي صنعة كانت ولا يكون احد خاليا عنها ويجعل هذا مبدأ جديدا لهذا العصر والتعويل على الرياضة الجسمانية » •

وكتب في غرض الاعراض عن المثبطين من رسالة :

« وقد عجبت من أولئك الذين يسعون في تثبيط الهمم في هذا الوقت الذي تنبه فيه الغافل فضلا عن غيره موهمين الشفقة •

وكان الاجدر بهم ان يشفقوا على انفسهم ويشتغلوا بما يعود عليهم وعلى غيرهم بالنفع • ولم ير احد من المثبطين قديما او حديثا اتى بامر مهم • وينبغي للجرائد المهمة ان تكثر من التنبيه على ضرر هذه العادة والتحذير منها ليخلص منها من لم تستحكم فيه وينبه الناس لاربابها ليخلصوا من ضررهم • وقد ذاكرني منذ ليلتين أحد نجباء الأبناء في هذه المسألة وشكا كثيراً منها وعجب لعدم اكتراث المصلحين ببيانها بياناً كافيا شافيا فقلت له : المأمول ان يكون الاوان قد آن لاصلاح هذه العادة التي تهبط بالامة الى الدرك الاسفل اصلح الله الاحوال »[1] •

- ٦ -

وقال من كتاب في غرض التربية :

واؤكد في هذا الكتاب بأمور :

١ ــ ادخال مبادىء الصنائع في المدارس الابتدائية ويمكن تجربة ذلك اولا في مدرسة واحدة •

٢ ــ ادخال التربية العملية فيها وذلك بتعويد التلميذ على الصدق وان لا يتكلم في شيء الا بعد ان يختبره فان الشرقي اعتاد ان يدعي كل شيء وأن لا يقول في شيء لا أعلم وهــذا جعله لا شيء عنــد الغربي •

---

(١) ش : ج ٩ ، م ٥ ، ص ٢ ــ ٢٩
غرة جمادى الاولى ١٣٤٨ هـ ــ اكتوبر ١٩٢٩ م •

٣ ـ السعي في مدرسة للقراءات السبع مثل ما كان من قبل • ولا ينبغي أن توضع هذه الأشياء في المذاكرة وأن يخطب فيها ، فان مثل ذلك ينبغي ان يخطب فيها بعد ان تصير •

وقال في موضوع التعليم وقد رجوته ارشادي برأيه فيها في المدارس ورأيه في البحث في المخطوطات : « ومما زاد فيه سروري شيئان أحدهما الاعتناء بتربية الأنجال ، فان أكثر الآباء يرجحون من حيث يدرون ولا يدرون مصلحة أنفسهم وما ذكرتم فهو موافق • والأولى أن يضم الى ذلك صنعة كالخياطة والتفصيل ونحو ذلك وعرفوني بعد حين البروغرام الذي يظهر لكم • وينبغي ان تتولوا بنفسكم بعض التعليم ولو مدة وبع ساعة على طريق احد المغاربة فانه كان يطلب من ولده ان يفيده بعض مسائل بعد ان يشعره بطرف خفي بمظانها فيلقيها الابن على الأب كأنه يفيده •

واما الذين يريدون ان يخفضوا ما رفع الله شأنه ويرفعوا ما خفضه فعما قليل ليصبحن نادمين والزمان يضحك منهم وكذلك الائمة الغربيون الذين يمتون اليهم بوسيلة التقليد لهم فلا يكن في صدرك حرج منهم فهم اغرار وينبغي ان تمحو من لوح الفكر لفظ اليأس فانه اضر شيء ، واثبت ففي الثبات جل الحكمة ان لم نقل كلها •

الثاني استنفسارك عن وصف الكتب فانه دل على انك قوي حسن الظن بنا حتى تكاد تعتقد اننا لا نقول شيئا جزافا كما ان اناسا يعتقدون اننا لا نقول شيئا الا جزافا • وهنا اذكر لك حكاية سمعتها مرارا ممن اثق بهم وهي ان احد[1] من جمع له بين العلم وغيره من الصفات العالية ارسل الى احد من يميل اليه من النبهاء وقال له اريد ان تنشر بين جماعتنا العلم الفلاني فقال لا أعرفه وانما أعرف العلم الفلاني • فأعاد

(١) كذا في الاصل وصوابه : أحداً .

عليه العبارة المسؤول قوله لا أعرفه • فأعاد عليه السائل ما قال أولاً فاراد المسؤول ان يجيبه فاشار اليه بعض الحاضرين اشارة خفية ان يظهر الامتثال ثم قاموا من عنده فقال له المشير : ان فلانا لم يقل لك ما قال الا وهو يعلم انه ممكن واذا تحقق الامكان فما عليك الا ان تسعى في اخراج الأمر من القول الى الفعل فسعى وتم الأمر • وحصلت فائدة عظيمة من احياء امر كان دارسا •

ونرجع الى اصل المسألة فنقول : من اراد وصف كتاب ينبغي له ان ينظر فيما قاله مؤلفه في مقدمته او في خاتمته او فيهما معا ويأخذ خلاصة ذلك والوصف عندهم ليس عبارة عن النقد بل بيان موضوع الكتاب والداعي الى تأليفه • وما في الكتاب من الخصائص وعلى ذلك يتيسر وصف الكتب باسرها حتى كتب الطب فاذا زاد الواصف فصلا من الفصول ليكون كالنموذج كان احسن وكثيرا ما يكون وصف الكتاب على هذه الطريقة سبب نشره •

واكثر وصف المؤلفين لكتبهم اما مطابقة للواقع او قريب منه • اما المموهون فقليل في الطبقات القديمة • ومن العجيب ان هذا الامر لا يشعر به كثير من نبهاء هذا القطر ولفظ الكثير هنا مجاز وجربوا نفسكم في غير التاريخ ونحوه ففي الحديث يمكنكم ان تصفوا هـذه الكتب •

« في دار الكتب الظاهرية بدمشق » •

نمره ٣٥٦ اللطائف في علوم المعارف للمديني •
« ٣٦٢ اسماء الضعفاء للعقيلي » •
« ٣٨٧ معرفة الرجال لابن معين » •
« ٣٩٠ المشتبه للغساني » •
« ٣٩٣ الكفاية في علم الرواية » •

وهذا امر يفيد الناس اكثر من كثير من المقالات التي حررها اناس ليس لهم تتبع ولا معرفة بجعل نتيجة للمقالة حتى صار المطالعون يضيق صدرهم من ذلك وقد سألني منذ مـدة ارباب المجلات عن احسن المجلات فقلت أصغرها حجماً •

« في ١٥ ذي القعدة ١٣٢٨ »

وقال من رسالة :

« مما يهم جدا ادخال مبادىء الصنائع في جميع المكاتب الابتدائية وقد جرب ذلك في بعض المدن فتبين ان ذلك مما يعين على التحصيل ايضا والفائدة في ذلك مهمة •

ومما يهم جدا ادخال التربية العملية في المدارس لا سيما المدارس الابتدائية • ومن ذلك ان يعود التلميذ على ان لا يتكلم بما لا يعلم وان يتفكر قليلا اذا سئل عن شيء لم يسبق له به اختبار • وهذا امر ممكن قريب المأخذ قد عمله أناس فنجحوا فيه — وأرجو أن لا تقرأ افكاري على اناس من الحشوية او الفلاسفة الخياليين فاني اربأ بها عنهم • نعم هؤلاء ينبغي ان يعرفوا ذلك بعد العمل به • ونصيحتي لكل محب ان لا يشتغل بمثل هؤلاء فانه انفع •

« في ٢١ ربيع الاول سنة ١٣٣٧ »

« هذا وقد سرني كثيرا زوال المباينة بينكم وبين الذين نود عدم مباينتهم • وهذا ايضا من اثر النشاط فان النشاط اذا زال لحق المرء الملل من كل شيء واذا حصل قويت الهمة ورأى البعيد قريبا واقـام للناس اعذارا ونفعهم وانتفع بهم •

• • •

قد جرى منذ اسبوعين مذاكرة سرية في طريقة ترجمة احـدى دوائر المعارف الفرنسوية فان الناس في احتياج لذلك • وقد تبين من

المذاكرة ان امر المال سهل فان احد الحاضرين تعهد بذلك وقال ان له أخواناً لا يتوقفون في الامداد ، ولكن المهم وجود مترجمين كافيين يتعهدون بالقيام بذلك الى النهاية فقلت ان هذه المسألة تحتاج الى تفكر وبحث شديد • وقد استقر الرأي على ان تدرس في نحو ثلاثة اشهر ووعدت بالكتابة لكم في ذلك فابحثوا في المسألة فيما بينكم وبين نفسكم ثم فيما بينكم وبين اخوانكم الذين يناسب البحث معهم في ذلك على صفة خاطر قد خطر وكان معنا في المذاكرة الفاضل المقدام السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وهو يأمل ان يوجد بارشادك نحو سبعة مترجمين • وقد تشبث بهذا الامر منذ سنين اناس ظنوا ان المـال يأتي بكل شيء فتبين لهم غلطهم واعرضوا عن الامر وهذا امر بعيد جدا ولكن هو في درجة الامكان القريب من الوقوع وانما يحتاج الى الهمة ومعرفة الطريق وقد كان بعض الحاضرين يريد ان يجعل زمام الأمر في يد الحكومة ، فطلبنا أن يكتم ذلك عنها ، فانه لا يؤمل أن تقدر عليه فان هذا الامر محتاج الى الحكمة اكثر من احتياجه الى الحكومـة •

وقال في رسالة وقد سألته عن التاريخ الهجري وانتقاد بعضهم على استعمالنا له :

عجبت لمن يسعون في ان نهجر التاريخ الهجري ويفاتحوننا في ذلك كأنهم لا يعلمون انا نعلم ما يرمون اليه عن بعد • لكل امة شعار اذا تركته طمع فيها واستضعف جانبها وربما صارت بعد مدمجة في غيرها • وقد سعى اناس منذ عهد بعيد في ان يضعفوا ما يقوي امر الاسلام عموماً والعرب خصوصاً فنجحوا بعض النجاح ، فطمعوا في أن يقضوا عليه فلم يجدوا اقرب الى ذلك من اضعاف امر اللغة العربية والسعي في تبديل خطها والتزهيد في الكتب التي كتبت به جعلوا ذلك دأبهم وديدنهم حتى اثروا في كثير من ابناء جلدتنا الذين يظنون انهم

على غاية من الذكاء والوقوف على اسرار الامم فكان ما كان مما هــو معروف ثم زاد الامر فطمعوا في تبديل التاريخ الهجري وساعدهم على ذلك ، جبت مصر ففرحوا فرحاً لا مزيد عليه • وقال بعضهم : الآن شفينا الغليل من هذه الامة غير ان كثيرا ممن انتبه لهذا الامر سعى في اعادته على قدر الامكان فامتعض اولئك القوم وصاروا يلمزون كل من يسعى في ذلك •

وهذه المسألة نظراً لتعلقها بتاريخ تأخر الشرق لا يتيسر أن يكتب فيها اقل من تاريخ نحو ثلاثين صفحة نحو ثلاثين يوما • وليت شعري كيف يلام المسلم على ان يؤرخ كتابه بالتاريخ الهجري فهل انقرض التاريخ الهجري وهل يريدون ان ينقرض واصحابه احيــاء ؟ فان قالوا ان المقصود توحيد التاريخ في الامم وأوربا هي القوية الآن قيل ان اوروبا لها تاريخان احدهما شرقي والآخر غربي وكل يؤرخ به قوم منهم فهل اوقف ذلك التجارة او اثر في المدنية شيئا • ولم لا يكلفون تغيير مكاييلهم وموازينهم واذرعهم لتتحد المقاييس في الامم • وتغيير ذلك ليس فيه غضاضة بخلاف التاريخ • وقد رأيتهم يعتذرون عنهم ويعدون ذلك متانة في الاخلاق فانظر ما وصلنا اليه •

وهذا الكتاب يدلنا على اشياء كثيرة مــن سيرة الشيخ ومرماه ونصاعة حجته وجميل مناقشته لخصوم مشربه •

وكتب : « كان كثير من الحشرية يلومونني في تنبيه المؤلفين والطابعين على ما يلزمهم ويقولون ان هذا لا يفيد غير العداوة وأنت تضرب في حديد بارد وما دروا اني ممن يقول بان العداوة في محلها اجدى عندي من ان اكسب المحبة من غير وجهها وان معاداة الغاشين لي مما يسرني كما أن محبتهم لي مما يسوءني غير ان الزمان ابان ان كل نصيحة لا تخلو من تأثير ولو بعد حين فان كثيرا ممن لحقتهم صدمة منا ومــن

اخواننا الذين اعطوا هنا عهدا ان لا يغشوا الامة قد صاروا يراجعون بعض مراجعة غير ان التأثير في المطابع كان اكثر •

واما امر التصحيح فلم يهتد المصلحون الى طريقة في اصلاحه • بحيث ان بعض الناس طلب الينا ان نبحث له عن مصحح لكتاب المحكم لابن سيده وهو اكبر من لسان العرب ليشرع في طبعه فبعد بحث كثير تبين انه لايقوم بتصحيحه الا فلان وهو احد اخواننا الذين لا يساعدهم نظرهم في املاكهم الجمة على التفرغ لمثل هذا الامر • فأرجيء الآن طبع الكتاب لهذا الامر • فانظر الى الحال التي وصلت اليه مصر • فما قولك في غيرها الا ان الذي يسر في مصر انتباهها لنقصها بخلاف الأقطار الأخرى والانتباه للنقص هو نوع من الكمال • ارانا الله سبحانه الكمال على حقيقته بمنه عليكم بالرياضة الجسمانية والرياضة الروحانية • ويدخل في الرياضة الروحانية التباعد عن سماع الاخبار التي اولع بها المرجفون • فانه لا قيمة للزمان عندهم وهو عند الحكيم أغلى من الجوهر •

« ١٧ رمضان سنة ١٣٢٦ »

وكتب من رسالة :

« قد سرني في مصر في هذه المدة ان العقلاء بدأوا يجتمعون في الفكر والتعاون على صفة يقتضيها الموقع وهو عدم التظاهر من اول الامر كما يفعله طالبو الشهرة وهذا امر لا يشعر به الا من اطمأنوا اليه • وقد كانوا قبل ذلك يقول كل واحد منهم نفسي نفسي • واذا استنجده احد لامر نافع قال ولو بلسان الحال « عليك بخويصة نفسك » •

قد اجتمعت في هذا النهار بعالم اورباوي قد حل الخط الثمودي الموجود في مدائن صالح واخبرني ان كتابه قد تم طبعا وهو الآن يسعى لجمع لغة أهل نجد فانه وجد أن أكثر الكلمات العربية لم تزل

باقية عندهم وكان قد ساح في تلك الجهات وهو ممن يتعصب للغة الكتاب العزيز اكثر مما يتعصب اهلها لها •

كان قد أسس فيأميركا مدرسة يقرأ بها الطالبوهو في بلده ، وقد كنت رأيت في سورية احد طلبتها وهو يدرس فيها فنا دقيقا واظن انها تسمى المدرسة الكوتشوكية ، وقد كان ترجم قديماً الى العربية بعض قوانينها وطبعت ثم نفدت النسخ بحيث اني بحثت عنها فلم اجد نسخة بل لم اجد من يعرفها فان وجدتم كتابا بالفرنسوية يتعلق بها فترجموا منه ما تيسر مما يوافق البلاد •

وقد سعى بعض الواقفين على ذلك من نحو عشر سنين في بث هذا المقصد الا انه على وجه خفي حيث كان نشر العلم اذ ذاك يعد من أعظم الاجرام ، والآن لم يبق مانع ومجرد نشر اسلوبها وقوانينها يفيد فضلا عن التشبث بشيء من ذلك •

وقال في كتاب :

« وقد وقفت على كثير من الجرائد الجديدة فوجدت جل مباحثها في بيان فوائد الحرية ورأيت الناس قد ملوا هذا البحث لأن الحرية ان كانت على المعنى الذي يقول به الحكماء فهي مما لا يختلف فيه اثنان من ذوي النباهة ، وان كانت على وجه آخر فربما كان ضررها أكثر من نفعها • ولست أعني بالحكماء هنا أمثال الحكيم الذي كان يقال لكم انه تعلم الحكمة في سويسرة في ثلاثة أشهر لأن مثل تلك الحكمة مما يزيد خبالاً • وما أرى أكثر الفتن التي وقعت في كثير من الولايات الا من مثل هؤلاء لا سيما ان ضم الى دعوى الحكمة دعوى الحرية وهو لا يملك نفسه • وقد كان أرباب الحدس يتصورون انها تكون أشد إلاّ أن الألطاف الالهية حفت فخفت ولله الحمد •

« ٢٣ شوال سنة ١٣٢٦ »

ذكر في جملة كتاب حوى مسائل كثيرة في نسخ الكتب وأخذها بالتصوير الشمسي والعناية بوضع فهرس لكتب رومية باللغة العربية ثم قال :

« من أغرب ما في القدس امتزاج المسلمين من النصارى على وجه غريب بحيث لم تؤثر فيهم الطريقة التي اتخذها المستبدون في تمشية أمرهم وان هلك الحرث والنسل • وقد رأى بعض الباحثين ان هذا أمر دبره صلاح الدين الايوبي برأيه الثاقب منعاً لما حدث من قبل بسبب سوء سياسة العبيديين الذين كانوا بمصر تغمده الله برضوانه •

خذوا على نفسكم عهداً بأن لا تؤخروا جواباً مكتوباً[1] لأحد وخذوا العهد على من كان على شاكلتكم بذلك فان في ذلك فوائد جمة والمكتوب يسوغ أن لا يزيد على خمسة اسطر •

« ٤ شوال سنة ١٣٣٧ »

وقال أيضا :

« وأرجو أن لا تقصروا في كتابة نبذ تتعلق بالتربية وتدبير المنزل واصلاح العادات وما أشبه ذلك وأؤكد عليكم في أن لا تشتغلوا بشيء من الجدل فان الجدل يبطيء عن العمل ، وخذوا من عنان قلمكم لئلا يجري الى غير مدى والاعتدال أقرب لحصول ما يبتغى •

وذكر في رسالة ان الكتب التي يجب أن توصف :

١ ــ ارجوزة ابن سيده في الأدب وهي من قبيل الملح اللغوية في نمرة ١ من الأدبيات المنظومة مع ديوان أبي العتاهية تزاد فيها نثراً في الآخر الصاحب وما يميل اليه من دواوين الشعر والكتب وما يتقنه من العلوم والصنائع أو ما يتجر به وما يؤثره من الاخلاق ونحو ذلك ويتيسر عمل ذلك في جدول في صفحتين أو أربع •

(١) في الاصل : جواب مكتوب .

٢ ــ المجمل في اللغة في الظاهرية نسخة منه ناقصة من الطرفين •

٣ ــ المغرب للمطرزي •

٤ ــ رد ابن السيد على رد ابن العربي على شرحه لديوان المعري •

٥ ــ أعتاب الكتاب لابن الابار •

٦ ــ عروض ابن معطي وبديعيته •

٧ ــ بغية المؤانس من بهيجة المجالس والاصل لابن عبد البر •

٨ ــ قانون البلاغة لأبي طاهر محمد بن جبلة البغدادي في الظاهرية •

٩ ــ مختصر اصلاح المنطق •

١٠ ــ الاربعين السلفية وهي مرتبة على البلدان ، وممن سمعها على السلفي الملك الناصر صلاح الدين يوسف ووالده نجم الدين ايوب ابن شادي بقراءة القاضي سناء الملك هبة الله بن جعفر بن سناء الملك محمد بن هبة الله بن محمد الاسدي[1] •

ينقل صورة السماع فقط • ا هـ •

محمد كرد علي

(١) ش : ج ١٠ ، م ٥ ، ص ٢٥ اسفل صفحة ٣٣ .
غرة جمادى الثانية ١٣٤٨ هـ نغامبر ١٩٢٩ م .

رزء الاسـلام

وفـاة مجتهد العصر الاستاذ رشيد رضا

نعت أخبار مصر وفاة هذا الامام وقد كانت وفاته اثر رجوعه من مشايعة الأمير سعود الى الاسكندرية فابتدأه الألم أثناء الطريق وما بلغ الى مصر حتى وافاه الأجل وقد شيعت جنازته في مشهد عظيم ودفن بجوار الاستاذ الامام محمد عبده ، لقد كان الاستاذ نسيج وحده في هـذا العصر فقهاً في الدين وعلما بأسرار التشريع واحاطة بعلوم الكتاب والسنة ذا منزلة كاملة في معرفة أحوال الزمان وسير العمران والاجتماع وكفى دليلاً على ذلك ما أصدره من أجزاء التفسير ومـا أودعه مجلة المنار في مجلداتها التي نيّفت على الثلاثين وما أصدره من غيرهما مثل (الوحي المحمدي) الذي كان أحب كتبه اليه ، وان ما كان يقوم به من عمل في تفسير القرآن لا تستطيع أن تقوم به من بعده الا لجنة من كبار العلماء ، فهل يكون من رجال الأزهر من يتقدمون لخدمة الاسلام بتتميم هذا العمل الجليل ، اننا نتمنى أن تتوجه عناية الاستاذ مصطفى المراغي الى هذا فيكون من أعظم أعماله .

اجر الله الاسلام والمسلمين في هذه المصيبة وخلف عليهما خـيراً منها ورحم الله الاستاذ حجة الاسلام وجازاه خير ما جازى به عبـاده الصالحين[1] .

---

(١) ش : جـ ٦ ، م ١١ ، ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧
غرة جمادى الثانية ١٣٥٤ هـ ـ سبتمبر ١٩٣٥ م .

حجـة الاسلام

السيد محمد رشيد رضـا

— ١ —

كتبنا كلمة عن وفاته في الجزء الماضي ونريد اليوم أن نكتب شيئاً من ترجمته معتمدين في ذلك على ما نشره هو منها مجموعاً ومفرقاً في كتاب تاريخ الاستاذ الامام وكتاب (المنار والازهر) .

مولده :

ولد في حدود ١٢٩١ هـ ١٨٦٥ م بقرية القلمون من قرى لبنان .

بيته :

بيت شرف ودين وعلم وفضل وصلاح يعرفون بالمشائخ من قريتهم واليهم يرجع أهلهم في الدين واصلاح الشؤون .

نشـأته :

نشأ في هذا البيت الطاهر نشأة علم ودين وتقوى وشعور بواجبات القيام بحاجات الناس وايصال الخير اليهم .

تعلمه وشيوخه :

قرأ القرآن وتعلم الخط والحساب في كتاب قريتهم وحبب اليه من الكتب كتب الأدب والتصوف فكان يقرأ كتاب الاحيـاء لحجة الاسلام الغزالي فطبعه بطابع الزهـد والتدين وأكسبه ملكة العربية

الفصيحة والاسلوب المرسل في البيان • ثم ادخل مدرسة ابتدائية جميع التدريس فيها باللغة التركية فلم يقم فيها الا سنة ثم في سنة ١٣٠٢ هـ دخل مدرسة الاستاذ حسين الجسر وكان هذا العلامة أنشأ مدرسته لتعليم علوم الدين واللغة العربية واللغات الاجنبية والعلوم الدنيوية على الطريقة العصرية مع التربية الاسلامية الوطنية ، فتخرج في العلوم العربية والشرعية والعقلية على الاستاذ الجسر في مدة ثمان سنوات وكتب له شهادة العالمية •

وتشبع بروحه في ضرورة الجمع بين علوم الدين وعلوم الكون المادية والاجتماعية والعمرانية مع التربية الاسلامية لنهضة الامة ، وأخذ الحديث وفقه الشافعية عن شيخ الشيوع العلامة محمود نشابة وحضر قليلاً من كتاب نيل الاوطار للشوكاني على العلامة الشيخ عبد الغني الرافعي واستفاد كثيراً من معاشرته في العلم والأدب والتصوف وتلقى بعض كتب الحديث على العالم المحدث الشيخ محمد القوقجي •

الكتب التي خرجته :

شغف بكتاب الاحياء فطالعه كله وأعاد مطالعته فكان له الأثر الصالح في زهده وأخلاقه واخلاصه في العلم وتقواه في العمل وكان طريقه منه في فهم الدين انه دين روحاني اخروي فقط وان ارشاد المسلمين محصور في (تصحيح عقائدهم ونهيهم عن المحرمات ، وحثهم على الطاعات وتزهيدهم في الدنيا) • ثم اتفق له في أثناء مدة طلبه للعلم – وهو يقلب أوراقاً علمية لأبيه – أن وجد عددين من جريدة العروة الوثقى التي كان يصدرها حكيم الشرق جمال الدين الأفغاني والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فقرأهما بشوق ولذة بعثاه على البحث عن بقية أعدادها فلما قرأ ما وجد منها المرة بعد المرة أحدثت فيه أثراً جديداً ونقلته من طور الى طور وصار طريقه في فهم الاسلام انه

(دين روحاني جسماني اخروي دنيوي من مقاصده هداية الانسان الى السيادة في الأرض بالحق ليكون خليفة الله في تقرير المحبة والعدل) وان ارشاد المسلمين يجب أن يكون ـ مع تصحيح عقائدهم ونهيهم عن المحرمات وحثهم على الطاعات ـ الى المدنية والمحافظة على ملكهم ومباراة الامم العزيزة في العلوم والفنون والصناعات وجميع مقومات الحياة .

تنسكه :

حبب اليه كتاب الاحياء مجاهدة نفسه على طريقة الصوفية بترك أطيب الطعام والاكتفاء بقليله والنوم على الأرض وغير ذلك وأخذ أوراد الشاذلية عن شيخه ابي المحاسن القاوقجي أعبد عباد شيوخ الطريق في وقته ورغب منه أن يسلكه الطريق على الاصول العملية اذ لم يعجبه أن يسلك الطريق على وجه صوري من تلاوة الاوراد وحضور الاجتماعات فقال له الشيخ (يا بني انني لست أهلاً لما تطلب فهذا بساط قد طوي وانقرض أهله) ثم تلقى الطريقة النقشبندية وقطع مراتبها كلها فكان تنسكه ـ أولاً ـ تصوفا طرقيا شاذليا فنقشبنديا بما فيه من حق وباطل وهدى وضلال .

تخلص نسكه من الباطل والضلال :

دعاه شغفه بكتاب الاحياء الى اقتناء شرحه الجليل للامام المرتضى الحسيني فلما طالعه ورأى طريقته الأثرية في تخريج أحاديث الاحياء فتح له باب الاشتغال بعلوم الحديث وكتب السنة وتخلص مما في كتاب الاحياء من الخطأ الضار ـ وهو قليل ـ ولا سيما عقيدة الجبر والتأويلات الاشعرية والصوفية والغلو في الزهد وبعض العبادات المبتدعة ، وترك أوراد الشاذلية لما علم ان قراءتها (من البدع التي جعلت من قبيل الشعائر والشرائع التي شرعها الله تعالى على ما فيه (أي ورد

السحر وأمثاله) من الأمور والاقسام المنتقدة شرعاً ، واستبدل بهـا قراءة القرآن ووردا آخر في الصلاة على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - (ليس فيه شبهة بدعة من توقيت وجهر وصيغ منكرة ومضاهاة للشعائر الموهمة للمأثور عن الشارع) كما ترك أوراد النقشبندية وذكرها (غير المشروع المخالف لجميع ما ورد في الذكر المأثور) وبين ما في رابطتها من شرك أو بدعة •

فتخلص نسكه - بعد طرح ذلك كله للتنسك الاسلامي من تجريد التوحيد وتزكية النفس وتقويم الاعمال وتصحيح النية ومحاسبة النفس ومراقبة الله في جميع الأعمال والزهد في الدنيا والعمل للآخرة والمبالغة في العبادات المشروعة والاعتصام بالورع موزونا ذلك كله ومضبوطاً بالكتاب والسنة وما كان عليه أهل القرون الثلاثة الصحابة والتابعون واتباع التابعين رضي الله عنهم أجمعين • وهذا هو الذي يراد بالتصوف اذا جاء اسم التصوف في كلام علماء السنة والأثر ، وقد كان السيد محمد رشيد رضا رحمه الله من أئمتهم ، فهذا هو تنسكه وهذا هو تصوفه •

تعليمه وارشاده :

تصدى للتدريس في مسجدهم ، حيث كان عمه - كأسلافه - يقوم بالأمامة والخطابة والتدريس فكان يقرىء للرجال دروساً في الفقه الشافعي ودروساً في التوحيد بالسنوسية ولما رأى صعوبتها عليهم وضع لهم عقيدة سهلة وكان يربيهم في تعليمهم بما يحثهم عليه من القيام بالشعائر الدينية وكان يلقي عليهم المواعظ الدينية معتمداً فيها على آيات القرآن العظيم ، ثم لم يكتف بما يقوم به من التعليم والارشاد في المسجد فكان يذهب الى مقهى يجتمع فيه العوام فيعظهم ويرشدهم حتى هدى منهم من هدى الله ، ورأى أن على المرشد هداية النساء

مثل ما عليه هداية الرجال فكن يجتمعن في دار اسرته فيلقي عليهن العقائد والاحكام والآداب في عبارات سهلة بدون كتاب وكان يأمرهن بتغيير زيهن بما هو أستر وأطهر حتى تكون المرأة في الشارع كما تكون في الصلاة •

امره بالمعروف وتغييره للمنكر :

كان بعد ما قرأ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من كتاب الاحياء يأمر وينهي لا يخاف لومة لائم وأول حادثة صدع فيها بالنهي عن المنكر في حفل عظيم من الناس ــ كانت يوم شهد حفلة للطريقة المولوية ورأى رقصهم وحلقة غلمانهم فصاح فيهم بما معناه (أيها المسلمون ان هذا منكر لا يجوز النظر اليه ، ولا السكوت عنه ، لأنه اقرار له وانه يصدق على مقترفيه قول الله تعالى : (اتَّخَذوا دينَهُم هُزواً وَلَعِباً) وانني قد أديت الواجب فاخرجوا رحمكم الله) وخرج مفارقاً لهم •

ما وقع بينه وبين شيخه الجسر بسبب هذا الانكار :

كان الشيخ الجسر على علمه بالعلوم الشرعية وإلمامه بالعلوم العصرية شيخاً في الطريقة الخلوقية فكان ينصح لتلميذه بأن يكف عن أهل الطريق ولكن لا يأتيه على ما يفعلونه مما يبتدعونه في الاسلام ويشرعونه لأنفسهم مما لم يأذن به الله بدليل • وكان السيد يقول له (أقنعني بما تقول بالدليل ليصير عقيدة اي ارجع الى قولك) فكان يجيبه الشيخ بقوله (انت أهل علم وصاحب حجة وليس لك عندي غير ما قلته) وكما كان ينكر على العامة كان ينكر على الحكام والكبراء ما يراه منهم لا يخص بانكاره أحداً دون أحد وكذلك كل ما كان عن عقيدة ولوجه الله من الاعمال لا يتركه صاحبه على كل حال •

هذه ترجمة السيد قبل هجرته الى مصر وقد رأينا انه صار عالماً

معلماً مرشداً ذا منزلة رفيعة في العلم والتقوى والنصح للمسلمين وهو بعد في أول العقد الثالث من عمره وسيعرض في الجزء الآتي ــ ان شاء الله تعالى ــ لترجمته بعد رحلته[1] .

(١) ش : ج ٧ ، م ١١ ، ص ٤٠٩ ــ ٤١٣
غرة رجب ١٣٥٤ هـ ــ اكتوبر ١٩٣٥ م .

الاعتبار بما كنا نشرناه من القسم الاول من حياة

حجة الاسلام السيد محمد رشيد رضــا

– ٢ –

لقد بلغ السيد رشيد من الفقه الديني ، والتمكن من علوم الكتاب والسنة والخبرة بأحوال الزمان منزلة ما نخال انها تتاح لأحد من بعده الا في دهر طويل ، لأن الأسباب التي يسرت له لا نراها اليوم مجتمعة في مكان غير ان هــذا لا يمنعنا من الاعتبار بحياته والاسباب التي اتيحت له لنأخذ بها ونحث على الأخذ بها وهذه أهم النواحي التي كان لها ذلك الأثر في مقامه العظيم •

البيئة المنزلية :

البيت هو المدرسة الأولى والمصنع الأصلي لتكوين الرجال•وتدين الأم هو أساس حفظ الدين والخلق • والضعف الذي نجده من ناحيتهما في رجالنا معظمه نشأ من عدم التربية الاسلامية في البيوت بسبب جهل الامهات وقلة تدينهن ، والسيد رشيد كانت متانة خلقه وقوة دينه من أثر امه التي كانت ــ كما قال هو ــ على جانب عظيم من الدين مع العلم الكافي لمثلها ، ولبيئة بيته ، فاذا أردنا أن نكون رجالاً فعلينا أن نكون امهــات دينيات ولا سبيل لذلك الا بتعليم البنات تعليماً دينياً وتربيتهن تربية اسلامية واذا تركناهن على ما هن عليه من الجهل بالدين فمحال أن نرجو منهن أن يكون لنا عظماء الرجال • وشر من تركهن جاهلات بالدين القاؤهن حيث يربين تربية تنفرهن من الدين أو تحقره

في أعينهن فيصبحن ممسوخات لا يلدن الا مثلهن ولئن تكون الام جاهلة بالدين محبة له بالفطرة تلد للامة من يمكن تعليمه وتداركه خير بكثير من أن تكون محتقرة للدين تلد على الامة من يكون بلاء عليها وحرباً لدينها • فنوع تعليم البنات هو دليل من سيتكون من أجيال الامة في مستقبلها ، وقد تفطنت لهـذا بعض الامم المالكة لزمام غيرها فأخذت تعلم بناتهم تعليماً يوافق غايتها ، فمن الواجب علينا ــ ولنا كل الحق في المحافظة على ديننا ومقوماتنا ــ أن نعني بتعليم بناتنا تعليماً يحفظ علينا مستقبلنا ويكون لنـا الرجال العظماء والنساء العظيمات ، والا فالمستقبل ليس كالماضي فقط بل شر منه لا قدر الله •

أثر المعلم :

أغلب المعلمين في المعاهد الاسلامية الكبرى كالأزهر لا يتصلون بتلامذتهم الا اتصالاً عاماً لا يتجاوز أوقات التعليم فيتخرج التلامذة في العلوم والفنون ولكن بدون تلك الروح الخاصة التي ينفخها المعلم في تلميذه ــ اذا كانت للمعلم روح ــ ويكون لها الأثر البارز في أعماله العلمية في سائر حيـاته ، والسيد رشيد وفقه الله للتعلم على الشيخ حسين الجسر ــ كما قدمنا وكان لهذا الشيخ روح واتصل به السيد عزيزا مثل تلك الروح في تلك الايام فكان لها أثرها في حياة السيد ومن آثارها تشوقه ــ وقد نال شهادة العالمية من شيخه ــ الى ملاقاة الاستاذ الامام •

فعلى المعلم الذي يريد أن يكون من تلامذته رجالاً أن يشعرهم ــ واحداً واحداً ــ انه متصل بكل واحد منهم اتصالاً خاصاً زيادة على الاتصال العام وأن يصدق لهم هـذا بعنايته خارج الدرس بكل واحد منهم عناية خاصة في سائر نواحي حياته حتى يشعر كل واحد منهم انه في طور تربية وتعليم في كفالة أب روحي يعطف عليه ويعني به مثل أبيه أو أكثر •

التحصيل الدرسي والتحصيل النفسي :

فهم قواعد العلم وتطبيقها حتى تحصل ملكة استعمالها ــ هذا هو المقصود من الدرس على الشيوخ فأما توسيع دائرة الفهم والاطلاع فانما يتوصل اليها الطالب بنفسه بمطالعاته للكتب ومزاولته للتقرير والتحرير وعلى هذه الخطة سار السيد رشيد في تحصيله فانه حصل قواعد العلوم في ثمان سنوات ثم استمر على مطالعة الكتب حتى بلغ الى ما بلغ • يحسب كثير من الناس أن تحصيل العلم لا يكون الا بقراءة كتبه فتطول سنوات تعلمهم ثم لا يبقى عندهم الا امهات القواعد وتضيع عليهم تلك السنون ويكسبهم الاستمرار على كتاب واحد مطول جهودا في العلم وانحصاراً في دائرة ذلك الكتاب • فلا تدعوهم أنفسهم الى مطالعة غيره •

ثم ان الدروس انما تحصل فيها قواعد بعض العلوم وتبقى فنون كثيرة من فنون العلم يصل اليها الطالب بمطالعته بنفسه وحده أو مع بعض رفاقه فلا ينتهي من مدة دراسته العلمية في الدروس الا وقد اتسع نطاق معلوماته بفنون كثيرة كما كان السيد رشيد في مطالعته لكتاب الاحياء وكتاب الأدب وكتاب العروة الوثقى ، ونرى الطلاب اليوم في أكبر المعاهد ــ كالزيتونة ــ لا يخرج الطالب عن كتبه الدرسية الى مطالعة شيء بنفسه مما يكسبه علماً أو خبرة بالحياة فيخرج الطالب بعد تحصيل الشهادة وهو غريب عن الحياة •

فعلى الطلبة والمتولين أمر الطلبة أن يسيروا على خطة التحصيل الدرسي والتحصيل النفسي ليقتصدوا في الوقت ويتسعوا في العلم ويوسعوا نطاق التفكير •

تعيين الغاية والاستعداد لها :

على كل ذي سعي في الحياة أن يعين غايته التي يقصد اليها ويستعد

بكل ما يساعده على الوصول اليها ، وغاية العالم المسلم أن يهتدي في نفسه وأن يهدي غيره وقد كان السيد رشيد وضع هذه الغاية نصب عينيه فكان في تحصيله الدرسي والنفسي يعمل لها فيزكي نفسه ويتزود بما يزكي به غيره •

أما أكثر الطلاب فمنهم من تكون غايتهم الوظيف فهـم غفلة من أنفسهم وعن غيرهم ، ومنهم من تكون غايته أن ينال الشهادة بالعلم فهو مثل الأول فأما الغاية الحقيقية التي ذكرنا فما أقل أهلها لأنها لا ذكر لها في برامج التعليم ولا اهتمام بها من المعلمين • وحق على كل طالب أن تكون هي غايته وهو مع ذلك نائل العلم ونائل ما يؤهله للوظيف ان أبى الا أن يكون الوظيف من قصده ولكنه بالقصد الى تلك الغاية يكون عاملاً في أثناء تعلمه على تهذيب نفسه ويكون مصدر هداية للناس في مستقبل أيامه ولكن هـذا انما يتم للطالب اذا كان شيوخه يهتمون لهذه الغاية ويعملون لها ويوجهون تلامذتهم اليها • وما أعز هذا الصنف من الشيوخ •

التفكير والاستقلال فيه :

اذا كان التفكير لازماً للانسان في جميع شؤونه وكل ما يتصل به ادراكه فهو لطلاب العـلم الزم من كل انسان فعلى الطالب أن يفكر فيما يفهم من المسائل وفيما ينظر من الادلة تفكيراً صحيحاً مستقلاً عن تفكير غيره وانما يعرف تفكير غيره ليستعين به ثم لا بد له من استعماله فكره هو بنفسه •

بهذا التفكير الاستقلالي يصل الطالب الى ما يطمئن له قلبه ويسمى ــ حقيقة ــ علماً ، وبه يأمن الوقوع فيما أخطأ فيه غيره ، ويحسن التخلص منه ان وقع فيه ، وبهذا التفكير الاستقلالي استطاع السيد رشيد رضا أن يتخلص مما في كتاب الاحياء من الخطأ الضار ــ وهو قليل ــ كما قدمنا وبه استطاع أن يتفطن لما في الطريق التي دخلها من

ضرر فتخلص منها جميعها للزهد الاسلامي الصحيح والتنسك المشروع وبه استطاع أن يناظر شيخه حسين الجسر في البدع الطرقية ويسلم من تأثيره عليه بما له عليه من حق وفضل ، فالتفكير التفكير يا طلبة العلم فان القراءة بلا تفكير لا توصل الى شيء من العلم وانما تربط صاحبها في صخرة الجمود والتقليد وخير منهما الجاهل البسيط .

بعده من الوظيف :

كل مسلم عليه أن ينفع بما استطاع في أي حالة كان وما كان الوظيف من حيث هو وظيف بمانع لأحد يحترم نفسه من النفع والخير غير انه في أنواع من الحكومات والاصناف كثيرة من الناس صار الوظيف قيداً في اليد وغلا في العنق ، ونحن نعلم ان الاصلاح الديني ما تأخر في القطر المصري والقطر التونسي الا لأن جميع المتسمين بالعلم متوظفون أو مرشحون للوظيف أو طامعون فيه وكان مما مكن للسيد رشيد رضا في قيامه بما قام به بعده عن الوظيف .

ونحن نرى حتماً لزاماً على كل من كان يعد نفسه لخدمة الاسلام بنشره والدعوة اليه وبيان حقائقه لأبنائه وغير أبنائه أن يبتعد عن كل وظيف .

نعم كان الشيخ عبده موظفا في الحكومة المصرية ولكنه قال هو عن نفسه (لولا ما أرجوه من اصلاح الازهر والمحاكم الشرعية ما قبلت الوظيف) ومن أين لنا أن نجد مثل هذا القصد أو أن نستطيع أن ننفع بالوظيف أو أن نتغلب عليه ؟

ان السلامة من سلمى وجارتها أن لا تحل على حال بواديها

هذا ما عن لنا من الاعتبار في هذا القسم من حياة هذا الرجل العظيم وسننشر القسم الثاني في الجزء الآتي ان شاء الله[1] .

عبد الحميد بن باديس

---

(1) ش : ج ٨ ، م ١١ ، ص ٤٤٤ ـ ٤٥٣ .

حجـة الاسـلام

السيد محمد رشيد رضا بعد هجرته الى مصر

– ٣ –

سبب الهجرة الى مصر :

ما كانت البلاد العثمانية في عهد استبداد عبد الحميد لتتسع لمثل السيد رشيد فيما يريده من اصلاح عام وما كان هو ليستطيع الصبر على القعود عما اعتقد وجوبه وجوباً حتمياً من النهوض بالاصـلاح فكان لزاماً عليه أن يفكر في الخروج ، ولم يكن يصلح لمقصده الا مصر . هذا الى ما كان له من الرغبة في الاتصال بالاستاذ محمد عبده والاخذ عنه والتكمل به .

سبب تعلقه بالاستاذ الامام واول تعرفـه به :

كانت مطالعته لمجلة العروة الوثقى باعثاً لاعجابه بالامام جمال الدين الافغاني وشغفه والشوق الى لقائه وكان كاتبه وهو بالاستانة في ذلك ولم يساعده القدر على لقائه وكان حبه للامام جمال الدين مستلزماً لحبه لتلميذه ومعينه ووارث علمه وحكمته ، ومحرر العروة الوثقى الشيخ محمد عبده . وكان السيد قد التقى به ببلدة طرابلس من أرض الشام وتعرف به وحضر مجلسه فازداد به شغفه وتعلقه ، فلما توفي السيد جمال الدين سنة ١٣١٤[1] عزم على الهجرة الى مصر والاتصال بالاستاذ الامام .

---

(١) ١٨٩٧ م .

آثار اتصاله بالاستاذ الامام :

جاء السيد رشيد الى مصر وهو عالم مفكر وكاتب متبصر فصحب الاستاذ الامام صحبة العالم الصغير للعالم الكبير فكان من أول آثار ذلك اصداره للصحيفة الاصلاحية التي كان يستمد روحها من الاستاذ الامام ثم رغبته منه في القاء دروس التفسير التي كانت أساساً لتفسير المنار ورغبته اليه في اقراء علم البلاغة من كتابي أمامها (دلائل الاعجاز) و (اسرار البلاغة) فكانت قراءتهما فتحاً جديداً في العربية كما كانت دروس التفسير فتحاً جديداً في الدين .

وفاء السيد للاستاذ الامام في حياته وبعد وفاته :

كان السيد الساعد الأيمن والعضد الأشد للاستاذ الامام في جميع ما قام به كما كان الترجمان الصادق عن أفكاره والمدره الصمصام في الدفاع عنه . واستمر السيد على وفائه للاستاذ الامام بعد وفاته كما كان له في حياته وما عرف المصريين وغير المصريين قدر الاستاذ الامام وحفظ عليهم أمانته وخلد لهم آثاره الا السيد رشيد وكان الى آخر حياته ــ قد فاق استاذه في نواح عديدة من العلم ــ لا يفتر يلهج باستاذه حتى كاد ينسى الناس نفسه وأثره الخاص في الدين والعلم والاصلاح .

مواقفه بعد الاستاذ الامـام :

مضى السيد الرشيد بعد الاستاذ الامام مضطلعـا باعباء خطته الاصلاحية واتسعت آفاق أعماله الى العالم الاسلامي كله وكان لا بد له من أن يصطدم بالحالة السياسية التي عليها العالم الاسلامي والتي هي بطبيعتها العقبة الكؤود في سبيل كل اصلاح فاصبح السيد رشيد من الفرسان المعلمين في ميدان الاصلاح الديني والاجتماعي وكان في كليهما يصدر عن ايمان ويجالد بقوة ويناظر بحكمة ويفحم ببرهان .

غايته السياسية :

لقد كانت غايته السياسية الكبرى ايجاد دولة اسلامية كبرى مرهوبة الجانب تكون مركزاً للامم الاسلامية في العالم بصفة دينية اذا لم تكن بصفة سياسية ، وعلى هذه الفكرة ولهذه الغاية ناصر الدستور العثماني وجمعية الاتحاد والترقي فلما تبينت له منهم النعرة الملية الضيقة ناوأهم وعمل على ايجاد مملكة عربية اسلامية مستقلة عن الدولة العثمانية التي كان يرى الاتحاديين سائرين بها الى الانهيار فانضم الى الجمعية العربية العاملة في مصر واوربا لهذا الغرض • ولهذه الغاية كان مع الشريف حسين يوم أعلن الثورة العربية حتى اذا تبين غدر الحلفاء بما كان من معاهدة (سايس ــ بيكو) ورأى الشريف حسين لا يرجع عن اغتراره بهم نفض يده منه وانقلب عليه وعلى البيت الهاشمي كله • ولغايته التي ذكرنا كان ساير امام اليمن يوما حتى تبين له ان نطاق المذهب الزيدي لا يتسع لامم الاسلام ، وفي أثناء هذا أخذت لوامع الدولة السعودية تلوح في الافق حتى فاجأت العالم بازالة العرش الهاشمي المتداعي وانتصابها مكانه بمكة المكرمة ، فوجد فيها السيد رشيد ضالته من دولة اسلامية تنفذ الشرع الاسلامي وتقف عند حدوده وتحيي سننه وتقاوم كل ما ألصق به من بدع وضلالات وتنتمي الى أحد المذاهب الاربعة الكبرى فشمر عن ساق الجد لمؤازرتها وتأييدها وارشادها ووجد من ملكها الملك عبد العزيز آل سعود الرجل المسلم الذي يعمل للدين وينتصح لكل ناصح فيه فسار معه السيد رشيد الى غاية واحدة حتى قضى وهو في طريق رجوعه من تشييع ولي عهده • فاذا كان يظهر من السيد رشيد تبدّل في سيره السياسي فانما هو تنقل من طريق الى طريق في سبيل الوصول الى غاية معينة فلما وجد الطريق اللاحب المبين سلكه حتى مات رحمة الله عليه •

أثر السيد رشيد في العــالم الاسلامي :

ان السيد رشيد بما نشر من تفسير القرآن الحكيم على صفحات المنار وما كتب في المنار وغير المنار ، هو الذي جلّى الاسلام بصفاته الحقيقية للمسلمين وغير المسلمين وهو الذي لفت المسلمين الى هداية القرآن وهو الذي دحر خصوم الاسلام من المنتمين اليه وغير المنتمين اليه وهتك استارهم حتى صاروا لا يحرك أحد منهم أو من أشباههم يده الا أخذ بجنايته . فهذه الحركة الدينية الاسلامية الكبرى اليوم في العالم اصلاحا وهداية ، بيانا ودفاعا ، كلها من آثاره فرحمه الله وجزاه أفضل ما يجزى العاملين [1] .

(١) ش : ج ٩ ، م ١١ ، ص ٥٠٨ ــ ٥١٠ .
رمضان ١٣٥٤ هـ ــ ديسمبر ١٩٣٥ م .

العلامة الاستاذ الشيخ محمد بخيت المطيعي

رحمه الله

ما كاد يندمل جرح العالم الاسلامي بوفاة حجة الاسلام السيد رشيد رضا حتى فجع بوفاة مفتي الاسلام الشيخ محمد بخيت المطيعي في رجب الماضي • ونحن نكتب اليوم كلمة عن فضيلته كما كتبنا من قبل عن السيد رشيد رضا وما كان قلمنا القاصر ليوفي واحدا منهما حقه•

منزلته العلمية :

نال شهادة العالمية من الدرجة الاولى سنة ١٣٩٣ هـ وتصدى لخدمة العلم والازدياد منه بالتدريس بجد منقطع النظير ، ومداومة ليس فيها فتور فكان علما في سائر العلوم الازهرية • وكان ممتازا بين كبراء الازهر بتحقيق الاصلين : علم الكلام وأصول الفقه وكان بسعة علمه وقوة ادراكه وتمييزه يرفع الخلاف في كثير من أمهات المسائل ويبين ان الخلاف فيها لفظي وان أصل المسألة محل اتفاق •

منزلته في القضاء والفتوى :

دعى الى الاشتغال بالقضاء فتقلد وظائفه وتنقل بينه وبين الفتوى حتى بلغ اعلا درجاتهما فلما بلغ سن التقاعد تفرغ للافتاء العلمي فكانت ترد عليه الاسئلة من جميع أقطار العالم الاسلامي فيجيب عنها وكان له كتاب يتولون له كتابة ما يحرره ويمليه ويرسلونه الى السائلين وينفق هو على ذلك كله من خالص ماله •

الشيخ محمد بخيت المطيعي

موقفه من الاصلاح الديني :

كان زميلا للشيخ محمد عبده في الطلب وهو الوحيد من شيوخ الازهر الذي كان يساميه وينال معه حظاً من الشهرة خارج مصر وكان — على معارضته له في نواح — يؤيده في انكار البدع والمحدثات في الـدين •

انصافه للاستاذ الامام وشهادته له :

لما رمى بعض حساد الشيخ عبده أيام تصديه لأخذ شهادة العالمية بالتهاون بالصلاة شهد له الشيخ محمد بخيت عند مشيخة الازهر فقال[1] : « اننا دائماً نقدمه فيؤمنا في صلاة الجماعة لتقواه وصلاحه ». ولما عقدت أول حفلة لذكرى الشيخ محمد عبده وكانت يوم الثلاثاء ١٦ ذي القعدة ١٣٤٠ هـ بالجامعة المصرية[2] كانت تحت رئاسة الشيخ محمد بخيت فخطب في تلك الحفلة ومن جملة ما قال عن الاستاذ الإمام[3] : « ترك فراغاً عظيماً كان يشغله وحده ، لم يستطع أحد أن يشغله بعده » ، فرحم الله تلك الارواح الطاهرة والنفوس الكبيرة.

علاقتي به :

لما رجعت من المدينة المنورة على ساكنها وآله الصلاة والسلام سنة ١٣٣٢ هـ جئت من عند شيخنا العلامة الشيخ حمدان الونيسي المهاجر الى طيبة والمدفون بها رحمه الله ، جئت من عنده بكتاب الى الشيخ بخيت وكان قد عرفه بالاسكندرية لما مر بها مهاجراً ، فعرجت على القاهرة وزرت الشيخ بخيت بداره بحلوان مع صديقي الاستاذ اسماعيل جغر المدرس اليوم بالازهر فلما قدمت له كتاب شيخنا حمدان قال لي : « ذاك رجل عظيم » . وكتب لي اجازة في دفتر اجازاتي بخط يده . رحمه الله وجازاه عنا وعن العلم والدين خير ما يجزى العاملين الناصحين[4] .

عبد الحميد بن باديس

(١) جـ ١ ، ص ١٠٤٣ تاريخ الاستاذ الامام .

(٢) بالجامعة المصرية ، جـ ١ ص ١٠٥٢ .

(٣) جريدة المقطم الصادرة في ١٨ ذي القعدة ١٣٤٠ .

(٤) ش : جـ ١١ ، م ١١ ، ص ٦٠٦ ــ ٦٠٧
غرة ذي القعدة ١٣٥٤ هـ ــ فيفري ١٩٣٦ م .

مصطفى كمـال

رحمـه الله

في السابع عشر من رمضان المعظم ختمت أنفاس أعظم رجل عرفته البشرية في التاريخ الحديث ، وعبقري من أعظم عباقرة الشرق ، الذين يطلعون على العالم في مختلف الاحقاب ، فيحولون مجرى التـاريخ ويخلقونه خلقاً جديداً ذلك هو مصطفى كمال بطل غاليبولي في الدردنيل وبطل سقاريا في الاناضول وباعث تركيا من شبه الموت الى حيث هي اليوم من الغنى والعز والسمو •

واذا قلنا بطل غاليبولي فقد قلنا قاهر الانكليز أعظم دولة بحرية الذي هزمها في الحرب الكبرى بشر هزيمة لم تعرفها في تاريخهـا الطويل واذا قلنـا بطل سقاريا فقد قلنا قاهر الانجليز وحلفائهم من يونان وطليان وافرنسيين بعد الحرب الكبرى ومجليهم عن أرض تركيا بعد احتلال عاصمتها والتهام أطرافها وشواطئها •

واذا قلنا باعث تركيا فقد قلنا باعث الشرق الاسلامي كله فمنزلة تركيا التي تبوأتها من قلب العالم الاسلامي في قرون عديدة هي منزلتها فلا عجب أن يكون بعثه مرتبطا ببعثها • لقد كانت تركيا قبل الحرب الكبرى هي جبهة صراع الشرق ازاء هجمات الغرب ومرمى قذائف الشره الاستعماري والتعصب النصراني من دول الغرب • فلما انتهت الحرب وخرجت تركيا منها مهشمة مفككة تناولت الدول الغربية أمم الشرق الاسلامي تمتلكها تحت أسماء استعمارية ملطفة ، واحتلت تركيا نفسها واحتلت عاصمة الخلافة وأصبح الخليفة طوع يدها وتحت تصرفها وقال

المارشال اللنبي ــ وقد دخل القــدس ــ (اليوم انتهت الحــروب الصليبية) فلو لم يخلق الله المعجزة على يد كمال لذهبت تركيا وذهب الشرق الاسلامي معها ، لكن كمالا الذي جمع تلك الفلول المبعثرة فالتف به اخوانه من أبناء تركيا البررة • ونفخ من روحه في أرض الاناضول حيث الارومة التركية الكريمة وغيل ذلك الشعب النبيل وقاوم ذلك الخليفة الاسير وحكومته المتداعية ، وشيوخه الدجالين من الداخل ، وقهر دول الغرب وفي مقدمتها انكلترا من الخارج ، لكن كمالا هذا أوقف الغرب المغير عند حده وكبح من جماحه وكسر من غلوائه ، وبعث في الشرق الاسلامي أمله وضرب له المثل العالي فــي المقاومة والتضحية فنهض يكافح ويجاهد • فلم يكن مصطفى محي تركيا وحدها بل محي الشرق الاسلامي كله • وبهذا غير مجرى التاريخ ووضع للشرق الاسلامي أساس تكوين جديد • فكان بحق ــ كما قلنا ــ من أعظم عباقرة الشرق العظام الذين أثروا في دين البشرية ودنياها من أقدم عصور التاريخ •

ان الاحاطة بنواحي البحث في شخصية أتاتورك (أبي الترك) مما يقصر عنه الباع ، ويضيق عنه المجال ، ولكنني أرى من المناسب أو من الواجب أن أقول كلمة في موقفه ازاء الاسلام • فهذه هي الناحية الوحيدة من نواحي عظمة مصطفى اتاتورك التي ينقبض لها قلب المسلم ويقف متأسفاً ويكاد يولي مصطفى في موقفه هذا الملامة كلها حتى يعرّف المسؤولين الحقيقيين الذين أوقفوا مصطفى ذلك الموقف فمن هم هؤلاء المسؤولون ؟ •••

المسؤولون هم الذين كانوا يمثلون الاسلام وينطقون باسمه ، ويتولون أمر الناس بنفوذه ، ويعدون أنفسهم أهله وأولى الناس به •

هؤلاء هم خليفة المسلمين شيخ اسلام المسلمين ومن معه من علماء

الدين ، شيوخ الطرق المتصوفين ، والأمم الاسلامية التي كانت تعد السلطان العثماني خليفة لها .

أما خليفة المسلمين فيجلس في قصره تحت سلطة الانجليز المحتلين لعاصمته ساكتا ساكنا . مستغفرا لله ، بل متحركا في يدهم تحرك الآلة لقتل حركة المجاهدين بالاناضول ، ناطقا باعلان الجهاد ضد مصطفى كمال ومن معه ، الخارجين عن طاعة أمير المؤمنين ...

وأما شيخ الاسلام وعلماؤه فيكتبون للخليفة منشورا يمضيه باسمه ويوزع على الناس باذنه ، وتلقيه الطائرات اليونانية على القرى برضاه يبيح فيه دم مصطفى كمال ويعلن خيانته ويضمن السعادة لمن يقتله .

وأما شيوخ الطرق الضالون واتباعهم المنومون فقد كانوا أعوانا للانجليز وللخليفة الواقع تحت قبضتهم . يوزعون ذلك المنشور ويثيرون الناس ضد المجاهدين .

وأما الامم الاسلامية التي كانت تعد السلطان العثماني خليفة لها فمنها ــ الا قليلا ــ من كانوا في بيعته فانتقضوا عليه ثم كانوا في صف أعدائهم وأعدائه ، ومنها من جاءت من مستعبديها حاملة السلاح على المسلمين شاهرة له في وجه خليفتهم .

فأين هو الاسلام في هذه (الكليتيات) كلها ؟ وأين يبصره مصطفى الثائر المحروب ، والمجاهد الموتور منها ؟ .

لقد ثار مصطفى كمال حقيقة ثورة جامحة ولكنه لم يثر على الاسلام وانما ثار على هؤلاء الذين يسمون بالمسلمين . فألغى الخلافة الزائفة وقطع يد أولئك العلماء عن الحكم فرفض مجلة الاحكام واقتلع شجرة زقوم الطرقية من جذورها وقال للامم الاسلامية عليكم أنفسكم وعلي نفسي ، لا خير لي في الاتصال بكم ما دمتم على ما أنتم عليه ،

فكونوا أنفسكم ثم تعالوا نتعاهد ونتعاون كما تتعاهد وتتعاون الامم ذوات السيادة والسلطان •

أما الاسلام فقد ترجم القرآن لامته التركية بلغتها لتأخذ الاسلام من معدنه ، وتستقيه من نبعه • ومكنها من اقامة شعائره فكانت مظاهر الاسلام في مساجده ، ومواسمه تتزايد في الظهور عاما بعد عام حتى كان المظهر الاسلامي العظيم يوم دفنه والصلاة عليه تغمده برحمته •

لسنا نبرر صنيعه في رفض مجلة الاحكام ولكننا نريد أن يذكر الناس ان تلك المجلة المبنية على مشهور وراجح مذهب الحنفية ماكانت تسع حاجة أمة من الأمم في كل عصر لأن الذي يسع البشرية كلها في جميع عصورها هو الاسلام بجميع مذاهبه لا مذهب واحد أو جملة مذاهب محصورة كائنا ما كان وكائنة ما كانت ، ونريد ان يذكر الناس أيضا ان اولئك العلماء الجامدين ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا غير ما عرفوه من صغرهم من مذهبهم وما كانت حواصلهم الضيقة لتتسع لأكثر من ذلك • كما يجب أن يذكروا ان مصر بلد الازهر الشريف ما زالت الى اليوم الاحكام الشرعية ـ غير الشخصية ـ معطلة فيها • وما زال (كود) نابليون مصدر أحكامها الى اليوم • ومازال الانتفاع بالمذاهب الاسلامية في القضاء ـ غير المذهب الحنفي ـ مهجورا كذلك الا قليلا جداً •

نعم ! ان مصطفى أتاتورك نزع عن الاتراك الاحكام الشرعية وليس مسؤولا في ذلك وحده وفي امكانهم أن يسترجعوها متى شاءوا وكيفما شاءوا ولكنه رجع لهم حريتهم واستقلالهم وسيادتهم وعظمتهم بين أمم الارض • وذلك ما لا يسهل استرجاعه لو ضاع ، وهو وحده كان مبعثه ومصدره • ثم اخوانه المخلصون • فأما الذين رفضوا الاحكام الشرعية الى (كود) نابوليون فماذا أعطوا أمتهم ؟ وماذا قال علماؤهم ؟ •

فرحم الله مصطفى ورجح ميزان حسناته في الموازين ، وتقبل احسانه في المحسنين •

والى الامة التركية الشقيقة الكريمة الماجدة ، التي لنا فيها حفدة وأخوال ، والتي تربطنا بها أواصر الدين والدم والتاريخ والجوار ، والتي تذكر الجزائر أيامها بالجميل ، وترى شخصها دائما ماثلا فيما تركت لها من مساجد ومعاهد للدين الشريف • والشرع الجليل ، الى تركيا العزيزة نرفع تعازي الجزائر كلها مشاركين لها في مصابها راجين لها الخلف الصالح من ابنائها ، ومزيد التقدم في حاضرها ومستقبلها •

والى هذا فنحن نهنيها برئيس جمهوريتها الجديد عصمت اينونو ، بطل (اينونو) ومؤتمر لوزان وثني مصطفى كمال • وان في اجماعها على انتخابه لدليلا على ما بلغته تركيا الكريمة من الرشد في الحياة الذي تبلغ به ــ ان شاء الله ــ من السعادة والكمال • ما يناسب مجدها القدموس ، وتاريخها الحافل بأعاظم الرجال، وجلائل الاعمال[1]•

عبد الحميد بن باديس

(۱) ش : ج ۹ ، ١٤ ، ص ١٣٠ ـ ١٣٤ .
غرة رمضان ١٣٥٧ هـ ـ نوفمبر ١٩٣٨ م

آثار ابن باديس

قسم القصص الديني والتاريخي[1]

(١) كان يجعل عنوان هذه القصص تارة « القصص الديني » واخرى « قصة الشهر » .

محاورة الرشيـــد

مع محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة

« نروي هذه القصة ليرى القارىء كيف كان علماء السلف يعتزون بعلمهم امام ذوي القوة والسلطان ، وكيف كان الخلفاء يستشيرون اهل العـلم عملا بأصل الشورى الـذي قرره الاسلام . ونرى التسامح الديني في علماء المسلمين الذين يمتازون به في ايام دولتهم عن جميع علماء الملل ، فقد انقـذ محمد بن الحسن نصارى بني تغلب باشارته من بطش الرشيد وقرر لهم حريتهم الدينيّة في تعميد ابنائهم . هذا ايام كانت الامم الاخرى لا ترى لمخالفيها ـ بتدبير احبارها ورهبانها ـ الا السيف والنـــار » .

قال أبو عبيد ــ يعني القاسم بن سلام ــ : كنا مع محمد بن الحسن إذ أقبل الرشيد فقام الناس كلهم إلاّ محمد بن الحسن فانه لم يقم ، ودخل الخليفة ودخل الناس من أصحابه ، فأمهل الرشيد يسيراً ثم خرج الآذن ، فقام محمد بن الحسن فجزع أصحابه له ، فأدخـل فأمهل ، ثم خرج طيب النفس مسروراً ثم قال لي : مالك لم تقم مع الناس ؟ فقلت : كرهت أن أخرج عن الطبقة التي جعلتني فيها ، انك أهلتني للعلم ، فكرهت أن أخرج الى طبقة الخدمة التي هي خارجــة منه ، وان ابن عمك ــ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال :**من أجب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النـــار** ، وانه انما أراد بذلك العلماء . فمن قام بحق الخدمة واعزاز الملك فهو هيبة للعدو ، ومن قعد اتباعا للسنة التي عنكم أخذت فهو زين لكم ! قال : صدقت

يا محمد . ثم شاورني فقال : إن عمر بن الخطاب صالح بني تغلب على أن لا ينصروا أولادهم ، وقد نصروا أبناءهم وحلت بذلك دماؤهم، فما ترى ؟ قلت : ان عمر أمرهم بذلك ، وقد نصروا أولادهم بعد عمر ، واحتمل ذلك عثمان وابن عمك ــ يعني علياً ــ ، وكان من العلم بما لا خفاء به عليك وجرت بذلك السنن . فهذا صلح من الخلفاء بعده ، ولا شيء يلحقك في ذلك . وقد كشفت لك العلم ورأيك أعلى . قال : لا ــ يعني لا ننقض صلحهم[1] ــ ولكنا نجريه على ما أجروه ان شاء الله. إن الله جل اسمه أمر نبيه بالمشورة تماماً لما به من الأخلاق التي جعلها الله له ، فكان يشاور في أمره فيأتيه جبريل بتوفيق الله . ولكن عليك بالدعاء لمن ولاه الله أمرك ، ومر أصحابك بذلك ، وقد أمرت لك بشيء تفرقه على أصحابك . قال : فخرج له مال كثير ففرقه[2] .

(١) روى القصة مسندة الجصاص في الاحكام .

(٢) ش : ج ١ ، م ٥ ، ص ١٦/١٥ غرة رمضان ١٣٤٧ هـ فيفري ١٩٢٩ م .

الخنســاء وبنوهــا

اثر الاســلام في النفوس

من يجهل بكاء الخنساء على صخرها ؟ فقد ضربت العرب بحزنها عليه الأمثال ، وشعرها الخالد من أبلغ ما قالته العرب في مرارة اللوعة البالغة ، وتحرق العاطفة الشديدة • وقد كانت الخنساء قبل أن تصاب تقول البيتين والثلاثة ، فلما أصيبت بفقد أخيها عمر ، ثم بفقد أخيها صخر ، الذي أنساها ما قبله ، اندفعت بعوامل الحزن فأكثرت من الشعر وأجادت •

هذه المرأة التي بلغ بها الحزن على فقد أخوتها في الجاهلية ما بلغ ، وانتهى بها الجزع الى ما انتهى ، عادت في اسلامها تقدم أبناءها ، أفلاذ كبدها ، الأربعة الى الموت ، وتحثهم على خوض غماره ، وتحمد الله ان قتلوا كلهم في مشهد واحد ، وتصبر محتسبة مصابها لله ، مصدقة بوعوده •

أين اخوان من أربعة أبناء ؟ وما ذلك الجزع عن ذينك وهذا الصبر عن هؤلاء ؟ وما الذي قلب طباع هذه النفس من جزوعة مضطربة الى مطمئنة راضية ؟ هو ــ والله ــ الاسلام ، الاسلام الصحيح كما جاء به محمد ــ صلى الله عليــه وآله وسلم ــ ديناً فطرياً ، فأثر في فطــر معتنقيه من العرب الأميين • واذا لم يؤثر في أقوام مثل هذا التأثير فلأنهم فهموه فهماً معكوساً ، أو لبسوه لبساً مقلوباً • ولا وربك لا تتأثر به فطر معتنقيه في كل عهد إلا اذا تناولوه على فطرته في ذلك العهد كما تناوله سلفهم الأولون •

• • •

قدمت الخنساء بنت عمرو بن الشريد على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مع قومها من بني سُلَيْم فأسلمت معهم ، فذكروا أنّ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يستنشدها فَيُعْجِبُه شعرها وكانت تنشِده وهو يقول : هيه يا خُنَاس ، ويومىء بيده . وهاك قصتها مع بنيها ملخصة باختصار من كتاب الاستيعاب لابن عبد البر[1] :

« حضرت حرب القادسية ومعها بنوها ، أربعة رجال ، فجمعتهم ليلة الوقعة وقالت لهم : يا بني ، أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، وانكم لبنو رجل واحد ، كما انكم بنو امرأة واحدة ، ما خُنْتُ أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجّنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، وذكرتهم بآيات الوعد بجزيل الثواب ، للصابرين في مواطن الضراب . وقالت لهم : فان أصبحتم غدا - ان شاء الله - سالمين ، فاغدوا الى قتال عدوّكم مستبصرين ، فاذا رأيتم الحرب شمّرت عن ساقها ، واضطرمت لظى على ساقها ، فتيمموا وطيسها ، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها ، تظفروا بالخلد[2] والكرامة ، في دار الخلد والمقامة .

فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم وباشروا القتال واحداً بعد واحد ، حتى قتلوا كلهم ، وكل واحد أنشد قبل أن يستشهد رجزاً :

فأنشد الأول :

يا إخوتي إن العجوز النّاصِحَة	قد نصحتنا إذ دَعَتنا البارحة
مقالة ذات بيان واضحة	فباكِرُوا الحربَ الضروسَ الكالحة
وإنما تَلقَوْنَ عند الصائحة	من آل ساسان الكلابَ النابحة

(١) الاستيعاب ١٨٢٧/٤ ، وانظر خزانة الادب ٣٩٥/١ .

(٢) في الاستيعاب ١٨٢٨ : (بالغنم) .

قد أيقنوا منكم بوَقع الجائحة وأنتم بين حياةٍ صالحة
أو ميتة تورثُ غنما رابحة

وأنشد الثاني :

إنّ العجوزَ ذات حزْمٍ وجلد والنظر الأوفق والرأي السدد
وقد أمرَتنا بالسداد والرشد نصيحة منها وبِرّاً بالولد
فباكِرُوا الحرب حماة في العدد إمّا لِفَوْزِ بارد على الكبد
أو ميتة تورثكم عِزّ الأَبَدْ في جنةالفِرْدَوْس والعيش الرغد

وأنشد الثالث :

والله لا نَعصى العجوزَ حَرْفاً قد أمَرتنا حرباً وعطفاً
نُصحاً وبرّاً صادقاً ولطفاً فبادروا الحربَ الضروسَ زَحفا
حتى تلفّوا آلَ كسرى لَفا أو يكشفوكم عن حِماكم كَشْفا
إنا نرى التقصير منكم ضَعفاً والقتل فيكم نَجدة وزلفى

وأنشد الرابع :

لستُ لخنساء ولا للأخرم ولا لعَمْرٍو ذي السناء الأقدم
إن لم أردفي الجيش جيش الأعجم ماض على الهول خِضَمّ خضرم
إما لفَوْزٍ عاجل ومَغنَم أو لوفاةٍ في السبيل الأكرم

فلما بلغ الخبر الخنساء ، أمهم قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني في مستقرّ رحمته »[1] .

---

(١) ش : ج ٢ ، م ٥ ، ص ٢٢ ـ ٢٤
غرة شوال ١٣٤٧ هـ ـ مارس ١٩٢٩ م .

كيف كان بناء الكعبة المشرفة

اليوم ـ وقد هوت أفئدة من استجيبت فيهم دعوة ابراهيم ـ عليه السلام ـ الى حج بيت الله الحرام ـ ننشر لقراء الشهاب قصة بناء البيت كما أخرجها أهل الصحيح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كما تلقاه من النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم :

وفي هذه القصة بيان ، أصل بناء البيت المحرم وحفر زمزم ، وبيان ما يذكر به السعي من سعي هاجر ، وما يذكر به الطواف من طواف ابراهيم واسماعيل ـ عليهما السلام ـ لبناء البيت ورفع قواعده ، وتذكير بما كان من ابراهيم وزوجه وابنه من سرعة الامتثال لأمر الله والصبر على البلاء في سبيله ، وبما كان من حسن جزاء الله لهم على ذلك من البر المعجل والأثر الخالد ، والذكر الباقي ، والثواب المدخر الجزيل . وفي ذلك كله آيات لكل صبار شكور .

روي عن ابن عباس من طرق : ان أول من سعى بين الصفا والمروة أم اسماعيل ، وان أول من جرّت الذيل أم اسماعيل ، وذلك أنه لما فرّت هاجر من سارة أرخت ذيلها لتعفو أثرها على سارة ، ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل ، وهي ترضعه ، حتى وضعها عند البيت ، عند دوحة فوق زمزم ، في أعلى المسجد . وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء . فوضعها هنالك ووضع عندها جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قفل ابراهيم منطلقا . فتبعته أم اسماعيل فقالت : يا إبراهيم ، اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء ؟ قالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت اليها . فقالت : آلله أمرك بهذا ؟

قال : نعم ، قالت : اذن لا يضيعنا الله • ثم رجعت ، فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال : « رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ (حتى بلغ) يشكرون » • وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى اذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى ، أو قال يتلظى ، فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل الى الوادي ، رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحد ! فعلت ذلك سبع مرات • قال ابن عباس : قال النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — : فلذلك سعى الناس بينهما • فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صه ، تريد نفسها • ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث • فاذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه ، أو قال بجناحه ، حتى ظهر الماء فجعلت تخوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت من الماء في سقائها وهو يفور بقدر ما تغرف • قال ابن عباس : قال النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — : **يرحم الله أم اسماعيل لو تركت ماء زمزم** او قال **لو لم تغرف من الماء لكانت عينا معينا** • قال : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال الملك : لا تخافي الضيعة ، فان هاهنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه ، وان الله لا يضيع أهله • وكانت البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله ، وكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء ، فنزلوا في أسفل مكة ، فرأوا طائراً عائفاً فقالوا : ان هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء • فأرسلوا جريا أو جريين فاذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا • قال : وأم اسماعيل عند الماء ، فقالوا : أتأذنين لنا أن

تنزل عندك ؟ قالت : نعم ، ولكن لا حق لكم في الماء . قالوا : نعم . قال ابن عباس : قال النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، فألفت ذلك أم اسماعيل وهي تحب الانس فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم ، وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوّجوه امرأة فيهم . وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد اسماعيل ، فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغي لنا . ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن بشر في ضيق وشدة . وشكت إليه ، قال : أفاذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام ، وقولي له يغير عتبة بابه . فلما جاء اسماعيل كأنه أنس شيئا فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته ، وسألني كيف عيشنا فأخبرته ، انا في جهد وشدة . قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، أمرني أن اقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك . قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، إلحقي بأهلك . فطلقها وتزوج منهم أخرى ، فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجده ، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت : خرج يبتغي لنا . قال : كيف أنتم ، وسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله . فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم . قال : فما شرابكم ؟ فقالت : الماء . قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء . قال النبي ـ صلى الله عليهوآلهوسلم ـ : لم يكن لهم يومئذ حب ،ولو كان لهم دعا لهم فيه . قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه . قال : فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه . فلما جاء اسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة ، واثنت عليه ، فسألني عنك فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا فأخبرته إنّا بخير . قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ،

هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك . قال : ذلك أبي وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك . ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبري نبلا تحت دوحة قريبا من زمزم ، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الولد بالوالد ، والوالد بالولد ، ثم قال : يا اسماعيل ، إن الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمرك ربك ؟ قال : وتعينني ؟ قال : وأعينك . قال : فان الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً ، وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها ، قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : « رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ » . قال : فجعلا يبنيان حتى تدور حول البيت وهما يقولان : ربنا تقبل منا (الآية) [1] .

(1) ش : ج ٣ ، م ٥ ، ص ٢٢ ــ ٢٤
غرة ذي القعدة ١٣٤٧ هـ ، ابريل ١٩٢٩ م .

ملك العرب

« كان لقصة بنـاء الكعبـة التي نشرناها بالجزء الماضي بمناسبة اشهر الحج احسن موقع عند القراء ، فراينا أن نتبعها بقصة من نوعها لمثل مناسبتها ، هي صفحة من تاريخ الملك العربي السلفي عبد العزيز آل سعود ، الذي شرفـه الله بخدمة ذلك البيت المعظم في هذا العهد ، ومد تعالى بملكه رواق الامن والعدل والتهذيب والدين الخالص عن ربوع الحجاز أرض الحرمين الشريفين . وان في نهضة هذا الملك العظيم وفي حياته وصفاته لدرسا عميقا ومجالا واسعا للعبرة والتفكير .

كتب هذه المقالة التاريخية كاتب شهير في عالم الصحافة الالمانية ، وهو الاستاذ ليوبولد وايس الماني ، اسلم منذ أعوام وتسمي باسم محمد أسد الله ، وهو الآن يقيم بالحجاز ، ونشرتها له جريدة « الشورى » الغراء فنقلناها عنها » .

أدعو ملك العرب صديقي ، وإن كان ملكا وكنت مجرد صحافي ، وليس سبب ذلك أنه مثلا أطلعني على مكنون فؤاده ، فهذا ما لا يفعله قط ، وليس سببه أيضا انه أراني قلبا كريما وأبدى نحوي وداً صحيحا في مدى العامين الذين قضيتهما في بلاد العرب ، واللذين لم يخلوا من ألم ، فانه يبدي العطف والود نحو الجميع ، فليفهم القارىء ما أقوله تمام الفهم ، فاني لا أزعم إن عبد العزيز بن السعود يدعوني صديقه ، ولكني أعده صديقي ، ويغريني بذلك أمر بسيط وهو طيبة الرجل ، ولست أقصد أنه طيب القلب فهذا شيء رخيص ، ولكنه يوصف بالطيبة

كما يوصف بها مثلا سلاح من صنع ولدف[1] بانه طيب يعجب به ، لأنه جمع كل الصفات التي تنشد في مثله • وعلى هذا المعنى أقول : ان ابن سعود رجل طيب • وهو عميق الغور يميل للوحدة ولا يتبع في أعماله سوى الدوافع المتبعثة من أعماق نفسه ، وقد يخطيء فيما يفعله ولكنه لا يخطيء قط الرغبة في الشرف أمام ضميره ، فهو ملك على نفسه قبل أن يكون ملكا على العرب •

ولد عبد العزيز بن سعود قبل خمسين سنة تقريبا في الرياض (وسط بلاد العرب) وهو وليد فرع من الأسرة المالكة التي أخضعت لحكمها جزءاً كبيراً من شبه جزيرة العرب ، ثم أخـذت في الاضمحلال حتى اضطرت في آخر الأمر الى أن تنزل عن البقيـة البـاقية من ملكها الى اسرة ابن رشيد التي كانت قديما من اتباعها والتي نشأت في حايل (في شمال بلاد العرب) • وكان ابن سعود اذ ذاك في باكورة طفولته ونشأ في كبريائه وتحفظه ، وهو يرى أميرا اجنبيا يحكم الرياض مسقط رؤوس آبائه نائبا عن ابن رشيد ، ومكث عبد العزيز بن سعود وذووه يعيشون من راتب تفضل به ابن رشيد عليهم ، يحتملهم ولا يكاد يخشى من جانبهم ضرا • ولكن ذلك شق على عبد الرحمن والد عبد العزيز رغم ميله الى السكون ، فهاجر مع أولاده وما يملـكه الى الكويت ليقضي بقية حياته في بيت سلطانها • وكانت بينهما مودة ولكنه لم يكن يدري شيئا عن مستقبل ولده والميول التي تجيش في صدره •

ولعل أحداً من الناس لم يتبين قلب عبد العزيز في عاطفته وخفقه ، ولم يدرك شيئا من طموح نفسه وعظمة مستقبله الا عمته العجوز ، والظاهر أنها كانت تحبه كثيرا وترعاه وهو صغير فاذا ألفت نفسها في

---

(١) بلدة بالاندلس مشهورة قديما بصنع أجود السلاح وذلك في أيام العرب .

خلوة معه أحتضننه ، وأخذت تحدثه بعظائم الأمور التي يجدر به أن يقوم بها ذات يوم ، وكانت لا تفتأ تقول له وهي تدلله « ينبغي لك أن تصير رجلا عظيما » • وقد مكثت هذه الكلمة في نفس الطفل في حياة ونماء حتى أمست كالنار في رأس العلم •

ثم بدأت وحدته وهو في الكويت ، فانه وهو لا يزال ولداً ، نما جسمه سريعا وسبق طوله سنه ، وهو مع ذلك رفيع القامة ، فجعل أولاد الناحية يسخرون منه ويهزأون منه ويهزأون به ، وكان يستحي من طول قامته الذي جعله هدف الانظار ، وكان يخفض من رأسه حتى يبدو أقصر من حقيقته حين يمشي في شوارع الكويت ، أو في غرف القصر المكتظة بالناس ، وكان يؤلمه أن يكون شاذا في الوسط المحيط به، ولكن لم يجد سبيلا للتوفيق بينه وبين هذا الوسط ، لأن اختلافه عنه لم يكن في مظهره وحده ، ولقد غلبه القدر وخلق له قلقا واضطرابا •

ولكنه أدرك ذلك تدريجا بما لديه من شعور الشباب ، وانبثت كبرياؤه في نفسه ، وأخذ ينظر الى ما فوق ذلك الوسط ، وجاء الى أبيه يقول له : « كيف تصبر على تحكم آل ابن رشيد في وطنك ؟ احمل عليهم واجلهم عن ديارك فانك أنت وحدك صاحب الحق في الرياض » ولنذكر هنا أنّ ابن رشيد كان في ذلك الوقت أقوى عاهل في شبه جزيرة العرب ، وكانت دولته تمتد من صحراء سوريا بادية الشام ــ حماه الى الربع الخالي : وكانت جميع قبائل البدو ترتعش خوفا من قبضته الحديدية • فلا عجب بعد ذلك اذا رد عبد الرحمن وهو في سنه المتقدمة به ، وفي منفاه وضعفه ، مطلب ابنه على انه خيال لا يمكن تحقيقه • وقد مضت أعوام على ذلك ، وكانت عاطفة الابن فيها أشد وأقوى من جمود الوالد • فرضخ عبد الرحمن في آخر الأمر واستعان بصديقه سلطان الكويت على جمع بعض قبائل بدوية باقية على الولاء له وخرج ، كعادة العرب في الغزوة بالهجن والاعلام والبنادق ، وهاجم

ابن رشيد • ولكنه لم يلبث حتى هزم وارتد الى الكويت • ولعله كان مرتاحا في قرار نفسه الى هذه النتيجة ، وانبأ ابنه أنه لا فائدة من أمثال تلك المحاولة ، وانه يريد أن يقضي بقية حياته في سكون ولا يطلب حقه في عرش نجد •

بيد أن ابنه عبد العزيز لم ينزل عن حقه فدعا اصدقاءه اليه ، وجمع بعض البدو والذين يعول عليهم • ولما صارت جماعته أربعين رجلا خرجوا من الكويت خفية ، كأحدى عصابات اللصوص ، ودون اعلام أو أناشيد ، وجعلوا يسيرون ليلا مسرعين متجنبين سبل القوافل المطروقة ، حتى بلغوا مقربة من الرياض فعسكروا في واد منعزل • وفي ذلك اليوم نفسه اختار ابن سعود خمسة من الاربعين وخطب الباقين قائلا : « لقد وضعنا مصيرنا بين يدي الله ، وسنذهب نحن الستة الى الرياض ، فاما استحوذنا عليها واما فقدناها الى الأبد ، فاذا سمعتم صوب الحرب في المدينة فلتبادروا الى عوننا • اما اذا لم تسمعوا شيئا منا حتى مغرب الغد فاعلموا اننا متنا الى رحمة الله ، وعودوا الى الكويت سرا بالطريق الذي أتينا به » •

وكذلك سار الستة على أقدامهم حتى بلغوا الرياض عند ابتداء الليل ، ودخلوها من منفذ أسوارها كان ابن رشيد قد أمر بثقبه في نشوة انتصاره على المدينة ، ومشوا قدما وأسلحتهم مخبأة تحت ارديتهم الى ان وصلوا لبيت الامير من قبل آل الرشيد [1] ، وكان مغلقا لأن الأمير اعتاد على قضاء الليل في الحصن المقابل للبيت خوفا من أهالي المدينة التي دانت له ، فقرعوا الباب وفتحه أحد العبيد ، فتغلبوا عليه دون جلبة وشدوا وثاقه ؛ وكذلك فعلوا بغيره ممن كانوا في البيت إذ ذاك ، ولم يكونوا الا بعض الرقيق والنساء • ثم جعل الستة

(١) اسمه عجلان .

يترقبون انبثاق الفجر وقضوا بقية الليل في قراءة القرآن لكي يبعث في قلوبهم قوة على أداء عملهم .

وفي الصباح فتحت أبواب الحصن وخرج الامير يحيط به عدد من الخدم والارقاء مسلحين ، فاندفع ابن سعود ورفاقه الخمسة شاهرين سيوفهم هاتفين باسم ابن سعود وباغتوا الأمير وحراسه ، ورمى عبد الله بن جلوى ابن عم عبد العزيز (وهو الآن أمير الحسا) بحربته (شلفته) نحو الامير ، ولكن هذا انحنى في اللحظة المناسبة وثقبت حائط الحصن في قوة هائلة ولا تزال عالقة به حتى اليوم . وقد فر الأمير الى باب الحصن ، وبينما يتبعه عبد الله الى داخله هجم ابن سعود ورفاقه بسيوفهم المشهورة على حاشية الأمير ، فلم تكد تدافع عن نفسها رغم تفوقها في العدد ، لفرط الذعر الذي استولى عليها من هذه المباغتة . وهنا بدأ الأمير فوق سطح الحصن صارخا ، وقد سد عليه عبد الله بن جلوى المسالك ، وكان يطلب منه الرحمة حتى سقط اخيراً عند حافة السقف منهوك القوى ، وتلقى طعنة مميتة في عنقه . وكان ابن سعود يصيح في اللحظة نفسها : « اليّ يا رجال الرياض . ها أنا ذا عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود أميركم صاحب الحق عليكم » . وكان رجال الرياض يمقتون مرهقيهم من أهل الشمال من أعماق قلوبهم ، فلبوا النداء وجاءوا بأسلحتهم وركب رفاق ابن سعود الخمسة والثلاثون فاقتحموا أبواب المدينة يزيحون كل شيء أمامهم كالريح العاتية ، وبعد ساعة واحدة صار ابن سعود سيد المدينة دون منازع .

وكان ذلك في سنة ١٩٠١ م وبه ينتهي دور الشباب من حياة ابن سعود وبدأ الدور الثاني الخاص برجولته وامارته .

وبعد ذلك شرع ابن سعود في فتوحاته وفق خطة منظمة وقد برهن على أنه لا يشبه غزاة العرب في شيء ، فان اتساع ملكه كان يجري

تبعا لنظام محدود ، وكان ثمة أركان حرب وخريطة حربية كما في الغرب . ولكنه شخص ابن سعود كان وحده أركان الحرب ، ثم انه لم يكن قد رأى خريطة حربية من قبل له ، وقد اتخذت فتوحاته شكل حركة حلزونية تبدأ من مركز لا يتبدل وهو الرياض . وكان لا يخطو خطوة الى الأمام الا بعد أن يؤمن ما سبق فتحه ويوطد فيه موقفه من الوجهة الحربية . وعلى ذلك احتل بالتدريج كل الأقاليم التي في شرق الرياض وشمالها . ثم استولى في سنة ١٩٠٤ على اقليم القصيم ، وبه عنيزة وبريدة ، وهو اقليم ذو ثروة وتجارة هامة . ثم أخضع منطقة الأحراش التي في الغرب ، والتي يسكن الجزء الاكبر منها قبائل عتيبة الكثيرة العدد . وفي سنة ١٩١٤ أقدم على مهاجمة اقليم الحسا على خليج العجم ، وكان في الايام الماضية تابعا لنجد ، ولكنه وقع في أيدي الأتراك منذ خمسين عاما حين اضمحلت أسرة ابن سعود ، وقد استحوذ على قاعدته الهفوف بعد قتال قصير ، ووطد سلطته فيه . وأرادت الحكومة العثمانية أن تبعث اليه خطبة أدبية ولكن نشوب الحرب العالمية حال دون ذلك . وفي سنة ١٩٢١ م سقط في يده جبل شمر ومدينة حايل ، مهبط أسرة ابن رشيد . وبهذا فقدوا آخر عماد لملكهم ويئسوا من حكم بلاد العرب يأسا قد يكون الى الأبد . وبين سنتي ١٩٢٤ و ١٩٢٥ م توج فتوحاته بالاستيلاء على الحجاز بما فيه مكة والمدينة وجدة وضمه الى مملكته الواسعة .

ان ابن سعود ما كان يكتفي باخضاع الشعوب مثل غزاة الشرق القدماء ، ولكنه في فتوحاته يكوّن (دولة) وينظر الى جميع أجزائها كأنها أخوة متساوية الحقوق ما دامت تخلص الرغبة في التعاون ، وهو يسعى دائما لان يكسب الود الخالص ممن يقهرهم وأن يرغمهم على محبته ، اذ يريهم أنه لا يهتم بمصالحهم أقل من اهتمامه بأهل موطنه . ولم يفعل ذلك حاكم عربي غيره منذ عهد الخليفة العظيم

عمر بن الخطاب • وهو منذ زمن بعيد لا يعد رجلا من الرياض بل تخطى روابط القبائل الضيقة المدى وصار رجل الجميع •

وقد عرف كيف ينمو في داخل نفسه مع نمو سلطانه • وهو لم يخرج قط من بلاد العرب ولا يعرف فوق وطنه غير البحرين والكويت والبصرة ، ولا يدري من اللغات غير اللغة العربية ، ولم يقرأ من الكتاب الا الدينية منها وبعض كتب التاريخ العربية • ولكنه رغم كل ذلك يمتد بصره الى مدى لم يماثله فيه ملك عربي من قبل فهو يعرف أحوال البلاد الاسلامية في العصر الحاضر خير معرفة ، يعرف مثلا الأحزاب السياسية في مصر أو جاوه أو الهند ، كما يقف على شؤونها والرجال المشتغلين بالسياسة في هذه البلاد • وهو يفهم المستحدثات الهندسية في الغرب كالطيران أو التلغراف اللاسلكي كما يفهمها الغربيون ويستحسنها كذلك وان كان كثير من العرب ومن المتعلمين فيهم يعدونها من السِّحْر •

ولا يزال ابن سعود مع ذلك مسلما قوي الايمان ، وأساس اعتقاده ان كل مايحدث من الله ، ولذلك يمثل الرأي القائل بأن كل تقدم في الامور المادية لا فائدة منه اذا لم يصحبه التعمق في العقيدة • فمن الطبيعي أن يبني حكمه على القواعد الدينية • وابن سعود يعتنق معتقدات (الوهابية) وهي حركة اصلاح في الاسلام ترجع الى العلامة النجدي العظيم (محمد بن عبد الوهاب) الذي عاش في بداءة القرن الثامن عشر •

وترمي الى تطهير الاسلام من جميع البدع والخرافات التي لصقت به مع مر الزمن والسمو به عن عبادة الأولياء • والوهابية أشد طوائف الاسلام ومبدؤها الأعلى أن على المؤمنين أن يتمثلوا في البساطة والنظام •

والواقع أن الغربيين يجهلون الاسلام لأنهم يحكمون عليه تبعا

لأحوال أكثر البلاد الاسلامية في العصر الحاضر كما تبدو لهم ، ولكن الاسلام في تلك البلاد تغير عن أصله ، منذ وقت طويل اذ غطته طبقة من الخرافات غير المعقولة ، ودخل فيه تقديس الأولياء والقبور الذي يناقض أصل الدين ، واعتوره الجمود وعدم الاكتراث اللذان لا تقرهما تعاليم محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — الاصلية الخالصة كما لا يعرفهما الغربيون الآن . وليس الاسلام هو السبب في انحطاط البلاد الاسلامية بل الحقيقة عكس ذلك تماما ، فقد أفسد أهلها أصل الاسلام وهجروه دون أن يستطيعوا الاتيان بخير منه ، وهكذا لبسهم الروح الشرقي العتيق . فهو المسؤول عن تدهور الشرق ولا يسأل الاسلام عن ذلك . ولو نفذ الاسلام بتمامه في نظام عملي متبع لأتى بمجتمع انساني كامل لا احتكاك فيه ولا نقص مما لم يأت به أي نظام اجتماعي آخر . وفي الامكان تحقيق ذلك من الوجهة العلمية لان الاسلام يوافق على كل تقدم في المدنية والحضارة ، ولأن تعاليمه لا تناقض الحقائق التي دلت عليها العلوم الحديثة .

وهذه الفكرة التي ترمي الى تكوين دولة اسلامية صحيحة تكون الاولى في نوعها منذ عهد الصحابة ، هي الدافع لابن السعود في جميع أعماله ، وهو لا يخدم نفسه ولكن يخدم فكرته ولذلك لا ينظر الى نفسه الا خلف عمله وهو من هذه الوجهة حاكم عصري يختلف جد الاختلاف عن سلاطين الشرق الذين يعتبرون شعوبهم كلها مجرد خدم لأشخاصهم ، ولاشك أن الأجنبي الذي يرى ابن سعود لأول مرة يبتسم لبساطة هذا الملك وعدم تمدنه ، اذ يبصره في ثوب عادي في غرفة ذات أثاث غير أنيق ، واذ يشهده يقوم لكل قادم ويمد يده لتحيته ، وان كان بدويا من أفقر البدو ، ويأكل طعامه في حضرة وزرائه وكتابه وسائق سياراته ولكن الابتسامة لا تلبث حتى تفارق ثغر الاجنبي حين يدرس رأس هذا الرجل ويدرك العظمة الحقة الماثلة في تلك البساطة .

بدأ ابن سعود عمله في تشديد الأمن العام في بلاده ، بواسطة القوانين الصارمة وحملات التأديب القاسية . ومن قبله كانت شبه جزيرة العرب كلها شبكة من اللصوص وكانت قبائل البدو يشن بعضها الغارة على بعض وتنهب القوافل وكانت الطرق غير آمنة ، فلما جاء ابن سعود حرم على البدو أن يتقاتلوا وأمر بأن تحل الخلافات بين القبائل بقضائه أو قضاء امرائه فيها وجعل المجرمين يشعرون بكل ما في الشريعة من شدة، فالقاتل يضرب عنقه والسارق تقطع يده اليمنى، والسارق الذي يستعين بسلاح تقطع يده اليمنى وقدمه اليسرى ، وقد أجدى ذلك بعض النفع ، غير أن ابن سعود لم يلبث حتى أيقن أن الاكراه وحده لا يكفي ليجعل من الوحوش بشرا ، فشرع يبث في نفوس شعبه أخلاق الاسلام وفضائله ، وبعث بالمعلمين والوعاظ الى مختلف القبائل ليعلموا البدو القراءة والكتابة ويحثوهم على التمسك بالدين وآدابه في عزم واخلاص وكانت ثمرة ذلك صغيرة في السنوات الأولى ، ولكنها نمت تدريجا وأينعت وأتت أكلها . وهكذا تمت في بلاد العرب احدى الغرائب وأصبحت مملكة ابن سعود ومساحتها مثل مساحة المانيا وفرانسا وايطاليا معا ، وفيها الأمن العام مستتب بشكل لا يوجد في أية دولة متمدنة من الدول الغربية ، والآن يستطيع كل شخص أن يسافر بمفرده في الصحراوات الواسعة وسط بلاد العرب دون أن يحمل سلاحا أصلا وان كان يحمل الاثقال من الذهب فلا يصيبه ضر أو أذى . وقد كان الناس قبلا لا يقطعون تلك الجهات الا جماعات مسلحين . وقد هدأت الحروب وامتنعت المعارك بين القبائل التي في مملكة ابن سعود مع انها كانت من قبل من الحوادث التي تحدث كل يوم ولكنها لم تنقطع في سوريا أو العراق اللذين تحكمهما دول غربية متمدنة .

بيد أن ابن سعود لم يقنع بكل ذلك بل وضع عمله لتحضير البلاد على أساس أكبر ، وكان منذ خمس عشرة سنة قد شرع يفكر في

استيطان البدو اذ اتضح له أن تنقل القبائل من جهة الى أخرى كل حين يمنع تقدم المدنية بينها ويحول دون ما هو أهم من ذلك عنده وهو تمكين الدين من نفوسها . وعلى ذلك أخذ يبث هذه الفكرة في البدو ولم تكن بلاد العرب تعرفها من قبل . وقد نجح في هذا نجاحا أكبر مما ارتقبه ، بدأت القبائل واحدة اثر أخرى تدرك فائدة المعيشة المستقرة في ناحية معلومة ، ومنحت أراضي ثابتة الحدود لتسكنها وبنت فيها البيوت وخططت القرى وزرعت النخل ، وقد أعانها الملك بكل أنواع العون في دور انتقالها من حياة القرى والرعاة الرحالة الى حياة الزراع ، اذ أعطاها الأموال والغذاء والبذور ، ولا يزال يبذل هذا العون للقبائل الأخرى التي تختار الاستقرار . والآن وقد مضت خمس عشرة سنة على هذه الحركة تستطيع أن تقدر على وجه التقريب عدد البدو من أهل نجد الذين استوطنوا الاراضي وتركوا حياة الرحالة بثلث مجموعهم . ولا تزال هذه الحركة سائرة في طريقها في جد وحزم .

ولا شك أن هذا العمل الذي يقوم به ابن سعود سوف تقدر أهميته من وجهة الحضارة وان التاريخ سوف يفرد لهذا الملك صفحة بين صفحات العظماء الذين خطوا بالانسانية خطوات الى الامام .

وهؤلاء المستقرون الذين كانوا منذ جيل واحد لصوصا لا ضمائر لهم قد شعروا يحسون تدريجا أنهم حاملو علم تقدم عظيم ، وقد أثار التعليم الديني الذي أتاهم ابن سعود به عاطفة اطلاق الدين المتغلغلة في نفوس العرب ، وأدركوا أن دولة اسلامية في دور النشوء في بلادهم وان عليهم أن يضعوا لها الأعمدة والأسس ، وكذلك أصبحوا أصدق النصراء للاسلام بعد أن كانوا لا يعلمون الا قشورا منه ، وصاروا ينظرون الى نجد نظرتهم الى معقل الاسلام ، وانهم لمحقون في ذلك . وقد تركوا اعتبارات العصبية المحدودة وسموا أنفسهم (إخوانا) أي اخوان كل من يسلم قلبه لله دون قيد وشرط ، واتخذوا شارتهم العمامة

البيضاء متمثلين بالنبي بعد أن تركوا العقال العربي المتورث من قديم الأزمـــان ٠

وللأخوان أهمية عظيمة بالنسبة لدولة ابن سعود لأنهم في حـــالة الحرب يتطوع منهم كل رجل قادر على القتال ويدخل في جيش ملكهم وملء قلبه النخوة والحماسة ٠ واذ انهم يعتبرون أنفسهم الممثلين الصادقين للدين الحق ولا يقاتلون الا في سبيله ٠ فحربهم اذن هي حرب دينية ، ومن تعاليم الاسلام أن خير ميتة يموتها المسلم وسط الجهاد في سبيله ، ولذلك لا يرهب الأخوان الموت بل يرحبون به ، ولكن دون أن يزدروا الحياة ٠ وهم أكثر جيوش العالم شجاعة وصبرا وسرعة في الحركة ٠ ولو مدوا بالاسلحة الهندسية الحديثة لاستطاعوا أن يفتتحوا دولا عظيمة ٠ وهم في وقت السلم مشتتون في أنحـــاء البلاد ولكن اذا دعاهم الملك لم ينقض شهر واحد حتى يجتمعوا كلهم في المكان المعين لهم ، وكل منهم آت على هجينه مسلحا بالاسلحة الحديثة التي غنمها ابن سعود في حروبه المختلفة وبالخناجر والسيوف ٠ وكل مجاهد يحمل زاده معه وهو عبارة عن قليل من الأرز وحقيبة من البلح ، ولا يعطيهم الملك أجرا ولكن يمنحهم الهدايا بين وقت وآخر ، وانما يعتمدون على الغنائم التي يغنمونها من الأعداء ، وهذا الجيش المتطوع المتحمس القليل الكلفة يجعل ابن سعود أقوى من أي حاكم عربي قبله ٠

وهذا كله عمل رجل واحد هو عبد العزيز بن سعود ففي رأسه تنمو جيع الخطط وعلى كتفيه مهمة تنظيم مملكته الكبيرة وتنحصر مساعدة أمرائه ــ ومنهم رجال ذوو شخصيات كبيرة ــ في حسن تنفيذهم للخطط التي يضعها فهو وحده الذي يفكر ويعمل وكلهم أيد له وانه ليحمل عبئا عظيما من العمل ٠

وهو يشتغل طوال اليوم من باكورة الصباح الى قسط من الليل ،

ما عدا فترات يقضيها في الصلاة وبرهات قصيرة يرتاح فيها بين أهله . وهو يتلقى كل يوم مئات الخطابات والتقارير ويقرأها بنفسه ويملي مئات من أمثالها على كتابه . ويفد عليه كل يوم كثير من البدو والوفود من أنحاء الدولة يعرضون عليه شكاواهم ورغباتهم ويتلقون منه أوامره وجميعهم ينزلون ضيوفا عليه طول مكثهم بالرياض ، وهو يولم الولائم لنحو ألف نفس كل يوم ، ويعطي كلا منهم عند رحيله ثوبا تبعا لعادة العرب وكذلك قطعة من النقود حسب مكانته . ونفقات الملك الشخصية جد قليلة لانه لا يعرف الترف فيحياته الخاصة وانما له عدد من السيارات لا بد منها لحسن القيام بشؤون الحكم في هذه المملكة المترامية الاطراف . وابن سعود طويل القامة جدا ذو جمال رجولي وله جبهة عالية وأنف قليل الانحناء وثغر صغير عليه شفتان ممتلئتان تدلان على الحماسة والذكاء في آن واحد . وكل من يراه دون فكرة سابقة عنه ويشهد ابتسامته العذبة لا بد أن يحبه . وقليل جدا من الناس في مملكته الكبيرة لا يحبونه .

لقد قارن البعض هذا الملك بنابليون ذات مرة . أما أنا فأفضل أن أقارنه بكيروس [1] كما وصفه لنا (كسينوفون)[2] في روايته « كيروبايديا » فانه مثله حاكما متبصراً حكيماً يعمل لمصلحة شعبه لا لنفسه ويقدر الرجال حق قدرهم ويقرأ ما بقرار نفوسهم قبل أن ينطقوا ببنت شفة ويسعى دائما لارضاء من يعملون معه فيعطيهم أكثر مما يرتقبونه ، اذ يمنحهم الأمن على حياتهم ، والهدايا الخالصة من القلب والحب لمن يستحقه . ولكن رغم كل ذلك يبقى ابن سعود وحيداً بينهم لأن له نفسية عالية .

(١) هو كيروس الاكبر ملك العجم ومؤسسها .

(٢) مؤرخ يوناني قديم مشهور من تلاميذ سقراط .

ان ابن سعود في وحدة عميقة وان كان حوله اناس كثيرون لانه ليس منهم أحد يستطيع أن يستشف ما وراء ابتساماته الساحرة أو ما وراء حركات يديه حين يتحدث في شؤون الدولة أو في مسائل الدين • ولا يدري أحد ماذا سيفعل غدا بل يحيط الظلام والابهام بنواياه في المستقبل وان كان يومه وأمسه شفافين لا سر فيهما •

وتلك وحدة العظماء الذين لا يقودهم في سبيلهم غير اذهانهم المتوقدة [1] •

(١) ش : جـ ٤ م ٥ ، ص ٢٥ ـ ٣٦ .
غرة ذي الحجة ١٣٤٧ هـ ـ ماي ١٩٢٩ م .

نقلنا هذا المقال نظرا لتعليق الاستاذ الامام عليه واهتمامه بالحركة الوهابية .

مناظرة بين سلفي ومعتزلي

في مجلس الواثق

ان اختلاف الافكار والطباع ، مع اختلاط الامم في الزمن الطويل ـ ادى بالفرق الاسلامية الى كثير من الاختلاف . وكان من بين ذلك ـ لا محالة ـ بدع دينية في الاعتقـادات والاعمال . وكل ذي بدعة ـ لا بد ـ معتقدا فيها صوابا ، ومتلمساً لها دليلا .

ولا يقف بالجميع عند حد واحد ، الا دليل واحد . وهو التزام الصحيح الصريح مما كان عليه النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكان عليه أصحابه . فكل قول يراد به اثبات معنى ديني لم نجده في كلام أهل ذلك العصر نكون في سعة من رده وطرحه واماتته واعدامه ، كما وسعهم عدمه . ولا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم . وكذلك كل فعل ديني لم نجده عندهم وكذلك كل عقيدة . فلا نقول في ديننا الا ما قالوا ، ولا نعتقد فيه الا ما اعتقدوا ولا نعمل فيه الا ما عملوا . ونسكت عما سكتوا . فهم ـ كما قال الشافعي في رسالته البغدادية ـ : « ادوا الينا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وشاهدوه والوحي ينزل عليه فعلموا ما اراد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عاما وخاصا وعزما وارشادا ، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به علم واستنبط به وآراؤهم لنا احمد وأولى بنا من رأينا عند انفسنا » .

ونرى كل فتنة كانت بين الفرق الاسلامية ناشئة عن مخالفة هذا الاصل . ومنها فتنة القول بخلق القرآن التي

نقلنا في المناظرة عليها القصة التالية عن كتاب « الاعتصام » للامام الشاطبي . وقد كان الفلج فيها لمن التزم هذا الاصل على من خالفه .

ذكر أبو اسحاق الشاطبي إن هذه القصة حكاها المسعودي ، وحكاها الاجري — في كتاب الشريعة — بأبسط مما ذكره المسعودي . ونقلها هو عن المسعودي — قال — مع إصلاح بعض الألفاظ . قال [1] :

« ذكر صالح بن علي الهاشمي قال : حضرت يوما من الأيام جلوس المهتدي للمظالم ، فرأيت من سهولة الوصول ونفوذ الكتب عنه الى النواحي فيما يتظلم به اليه ما استحسنته ، فأقبلت أرمقه ببصري اذا نظر في القصص ، فاذا رفع طرفه اليّ أطرقت ، فكأنه علم ما في نفسي .

فقال لي : ياصالح ، أحسب أن في نفسك شيئا تحب أن تذكره — قال — فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، فأمسك . فلما فرغ من جلوسه أمر أن لا أبرح ، ونهض فجلست جلوسا طويلا ، فقمت إليه وهو على حصيرة الصلاة فقال لي : يا صالح ، أتحدثني بما في نفسك ؟ أم أحدثك ؟ فقلت : بل هو من أمير المؤمنين أحسن .

فقال : كأنني بك وقد استحسنت من مجلسنا . فقلت : أي خليفة خليفتنا ! إن لم يكن يقول بقول أبيه من القول بخلق القرآن . فقال المهتدي : قد كنت على ذلك برهة من الدهر ، حتى أقدم عليّ الواثق شيخاً من أهل الفقه والحديث من « أذنه » من الثغر الشامي ، مقيداً طوالا ، حسن الشيبة ، فسلم غير هائب ، ودعا فأوجز ، فرأيت الحياء منه في حماليق عيني الواثق والرحمة عليه .

فقال (الواثق) : يا شيخ ، أجب أبا عبد الله أحمد بن دؤاد عما

(١) الاعتصام ١/٢٤٢ — ٢٤٤ .

يسألك عنه • فقال : يا أمير المؤمنين ، أحمد يصغر ويضعف ويقل عند المناظرة ؛ فرأيت الواثق وقد صار مكان الرحمة غضبا عليه • فقال : أبو عبد الله يصغر ويضعف ويقل عند مناظرتك ؟ فقال : هوّن عليك يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي في كلامه ؟ فقال له الواثق : قد أذنت لك •

فأقبل الشيخ على أحمد فقال : يا أحمد إلامَ دعوت الناس ؟ فقال أحمد : الى القول بخلق القرآن ، فقال له الشيخ : مقالتك [1] هذه التي دعوت الناس إليها من القول بخلق القرآن أداخلة في الدين فلا يكون الدين تاما الا بالقول بها ؟ قال : نعم • قال الشيخ : فرسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — دعا الناس إليها أم تركهم ؟ قال : لا • قال له : يعلمها أم لم يعلمها ؟ قال علمها • قال : فلم دعوت الناس الى ما لم يدعهم رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — اليه وتركهم منه ؟ فأمسك • فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين هذه واحدة •

ثم قال له : أخبرني يا أحمد ، قال الله تعالى في كتابه العزيز : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ » الآية • فقلت أنت : الدين لا يكون تاما الا بمقالتك بخلق القرآن ، فالله — تعالى عز وجل — صدق في تمامه وكماله أم أنت في نقصانك ؟ فامسك ، فقال : يا أمير المؤمنين ! هذه ثانية •

ثم قال بعد ساعة : أخبرني يا أحمد ، قال الله عز وجل :

« يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ » •

فمقالتك هــذه التي دعوت الناس اليها فيما بلغه رسول الله

[1] (١) « ش » : كلام الشيخ على مقالة ابن أبي دؤاد ينطبق على كل مقالة لم يدع اليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس . وقام لها من بعده دعــاة .

ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ الى الأمة أم لا ؟ فأمسك • فقـال الشيخ : يا أمير المؤمنين ! وهذه ثالثة •

ثم قال بعد ساعة : أخبرني يا أحمد لمّا علم رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ مقالتك هذه التي دعوت الناس اليها : اتسع له عن أن أمسك عنهم أم لا ؟ قال أحمد : بل اتسع له ذلك • فقال الشيخ : وكذلك لأبي بكر ؟ وكذلك لعمر ؟ وكذلك لعثمان ؟ وكذلك لعلي ؟ رحمة الله عليهم • قال : نعم • فصرف (الشيخ) وجهه الى الواثق وقال : يا أمير المؤمنين ! اذا لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ ولأصحابه فلا وسع الله علينا • فقال الواثق : نعم ! لا وسع الله علينا إذا لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ ولأصحابه فلا وسع الله علينا •

ثم قال الواثق : اقطعوا قيوده ، فلما فكت جاذب[1] عليها • فقال الواثق : دعوه • ثم قال يا شيخ لم جاذبت عليها ؟ قال : لأني عقدت في نيتي أن أجاذب عليها ، فاذا أخذتها أوصيت أن تجعل بين يدي[2] وكفني ، ثم أقول : يا ربي ! سل عبدك : لم قيدني ظلما وارتاع [3] بي أهلي ؟ فبكى الواثق والشيخ وكل من حضر • ثم قال له الواثق : يا شيخ !اجعلني في حلٍ • فقال : يا أمير المؤمنين ! ما خرجت من منزلي حتى جعلتك في حلٍ إعظاما لرسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ ولقرابتك منه • فتهلل وجه الواثق وسر • ثم قال له : أقم عندي آنس بك ، فقال له : مكاني في ذلك الثغر أنفع ، وانا شيخ كبير ، ولي حاجة • قال : سل ما بدا لك • قال : يأذن أمير المؤمنين في رجوعي الى الموضع

(١) « ش » ابي ان يتركها .

(٢) كذا بالاصل والظاهر بين بدني وكفني .

(٣) الصواب اراع أو روع .

الذي أخرجني منه هذا الظالم [1] . قال : قد أذنت لك . وأمر له بجائزة فلم يقبلها [2] ، فرجعت من ذلك الوقت عن تلك المقالة . وأحسب أيضا أن الواثق رجع عنها .

قال أبو اسحاق الشاطبي بعد نقل ما تقـدم .

« فتأملوا هذه الحكاية ففيها عبرة لأولي الألباب . وانظروا كيف مأخذ الخصوم في احجامهم[3] لخصومهم بالرد عليهم بكتاب الله وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ »[4] .

(١) يعني ابن أبي دؤاد .

(٢) هذا قول المهتدي بعد تمام الحكاية .

(٣) كذا بالأصل والظاهر افحامهم .

(٤) ش : ج ١١ ، م ٥ ، ص ٢٤ ـ ٢٨
غرة رجب ١٣٤٨ هـ ـ ديسمبر ١٩٢٩ م .

هذه نعلي ونعل آبائي

محافظة الرشيد على زي قومـه

« القومية والشخصية لهما مقومات ومميزات. والمحافظة عليهما والاعتزاز بهما مما جبل عليه الناس كما جبلوا على حب البقاء . لكن قد يطرأ على بعضهم سوء ظن فيهما لجهل او ضعف ، فيتخلى عنهما فيكون ذلك التخلي نذير الفنـاء ، وفي القصة التالية نرى اعتزاز الرشيد بقوميته ومحافظته على مميزاتها حتى في أقل الاشياء كالنعل . وكان ذلك منه على قدر ما لديه من عظمة وقوة ، وما عنده من علم بمجد قومـه العرب الاكرمين » .

قال الأصمعي : تصرفت بي الأسباب على باب الرشيد مؤملا الظفر به والوصول اليه ، حتى صرت حديثا لبعض حرسه ، فأني في بعض ليلة قد نثرت السعادة والتوفيق فيها الأرق بين أجفان الرشيد إذ خرج أحد الخدم فقال : أما بالحضرة أحد يحسن الشعر ؟ فقلت : الله أكبر ، رب قيد مضيق قد حله التيسير ، فقال لي الخادم : ادخل فلعلها أن تكون ليلة في صباحها الغنى ان فزت بالحظوة عند أمير المؤمنين . فدخلت فواجهت الرشيد في مجلسه ، والفضل بن يحيى الى جانبـه ، فوقف بي الخادم حيث يسمع التسليم فسلمت فرد علي السلام ثم قال : يا غلام ، ارحه ليفرخ روعه إن كان وجد للروعة حسا . فدنوت قليلا ثم قلت : يا أمير المؤمنين أضاءة مجدك وبهاء كرمك مجيران لمن نظر اليك من اعتراض أذية . فقال : ادن ، فدنوت . فقال : أشاعر أم راوية ؟ فقلت : راوية لكل ذي جد وهزل بعد أن يكون محسنا . فقال :

تالله ما رأيت ادعاء أعظم من هذا ؟ فقلت : أنا على الميدان فاطلق من عناني يا أمير المؤمنين • فقال (قد انصف القارة من راماها) ثم قال : ما المعنى بهذه الكلمة بديئا ؟ فقلت : فيها قولان : القارة هي الحرة من الأرض ، وزعمت الرواة أن القارة كانت رماة للتبابعة والملك اذ ذاك أبو حسان فوافق عسكره عسكر السغد فخرج فارس من السغد قد وضع سهمه في كبد قوسه ، فقال : أين رماة العرب ؟ فقال العرب : قد أنصف القارة من راماها • فقال لي الرشيد : أصبت • ثم قال : أتروي لرؤبة بن العجاج والعجاج شيئا ؟ فقلت هما شاهدان لك بالقوافي ، وان غيبا عن بصرك بالاشخاص فاخرج من ثني فرشه رقعة ثم قال : انشدني :

أرقني طـارق هم أرقـا

فمضيت فيها مضي الجواد في سنن ميدانه ، تهدر بها أشداقي • فلما صرت الى مديحه لبني أمية ثنيت لساني الى امتداحه لابي العباس السفـاح في قوله :

« قلت لزير لم تصله مريمه »

فلما رآني عدلت من أرجوزة الى غيرها ، قال : أعن حيرة أم عن عمدٍ ؟ قلت : عن عمد تركت كذبه الى صدقه ، فيما وصف به جدك من مجده • فقال الفضل : أحسنت بارك الله فيك ، مثلك يؤهل لمثل هذا المجلس ، فلما اتيت على آخرها قال الرشيد : أتروي كلمـة عـدي بن الرقـاع :

عرفَ الدِّيَـارَ تَوَهُّمَـا فاعتـادها

مِنْ بَعْدِ مَا شَمَلَ البلى أَبلاَدَهَا

قلت : نعم • قال : هات ، فمضيت فيها حتى اذا صرت الى وصف

الجمل قال لي الفضل : ناشدتك الله أن تقطع علينا ما أمتعنا به من السهر في ليلتنا هذه بصفة جمل أجرب ، فقال له الرشيد : اسكت فالابل هي التي أخرجتك من دارك واستلبت تاج ملكك ثم ماتت وعملت جلودها سياطا ضربت بها أنت وقومك • فقال الفضل : عوقبت على غير ذنب ، فالحمد لله • فقال الرشيد : أخطأت ، الحمد لله على النعم • ولو قلت : استغفر الله ، كنت مصيبا • ثم قال لي : امض في أمرك فانشدته حتى اذا بلغت الى قول عدي :

تُزجي أَغَنَّ كَأَنَّ اِبْرَةَ رَوْقِهِ
قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَها

استوى جالسا ثم قال : اتحفظ في هذا ذكرا ؟ قلت : نعم • ذكرت الرواة أن الفرزدق قال : كنت في المجلس وجرير الى جانبي ، فلما ابتدأ عدي في قصيدته قلت لجرير : مسرا إليه نسخر من هذا الشامي ؟ فلما ذقنا كلامه يئسنا منه ، فلما قال :

تُزجي أَغَنَّ كَأَنَّ اِبْرَةَ رَوْقِهِ

وعدي كالمستريح قال جرير : أما تراه يستلب بها مثلا ؟ فقال الفرزدق يالكع ، انه يقول :

قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَها

فقال عدي :

قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَها

فقال جرير : أكان سمعك مخبوءاً في صدره • فقال له : اسكت شغلني سبك عن جيد الكلام فلما بلغ الى قوله :

وَلَقَدْ أَرَادَ اللهُ أَنْ وَلاَّكَهَا
مِنْ أُمَّةٍ أَصْلاحُهَا وَرَشَادُهَا

قال الرشيد : ما تراه حين أنشده هذا البيت ؟ قلت : قال كذاك أراد الله فقال الرشيد : ما كان في جلالته ليقول هذا أحسبه ، قال ما شاء الله . قلت : وكذا جاءت الرواية فلما أتيت على آخرها قال : أتروي لذي الرمة شيئا ؟ قلت الاكثر ، قال فماذا أراد بقوله :

مُمَرٌّ أَمَرَّتْ فَتْلَهُ أَسَدِيَّةٌ
ذراعيةٌ حَلاَّلَةٌ بالمصانع

قلت وصف حمار وحش اسمه بقل روضه ، تواشجت أصوله وتشابكت فروعه من مطر سحابة كانت بنوء الأسد ، ثم في الذراع من ذلك ، فقال الرشيد : ارح فقد وجدناك ممتعا وعرفناك محسنا . ثم قال : أجد ملالة ، ونهض وأخذ الخادم يصلح عقب النعل في رجله وكانت عربية ، فقال الرشيد : عقرتني يا غلام ، فقال الفضل : قاتل الله الاعاجم إما أنها لو كانت سندية لما احتاجت الى هذه الكلمة . فقال الرشيد : هذه نعلي ونعل آبائي ، كم تعارض فلا تترك من جواب ممض. ثم قال : يا غلام ، يؤمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين الف درهم على هذا الرجل في ليلته هذه ، ولا يحجب في المستأنف . فقال الفضل : لولا أنه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره ، لأمرت لك بمثل ما أمر لك ، وقد أمرت لك به إلا ألف درهم ، فتلق الخادم صباحا . قال الاصمعي : فما صليت من غد إلا وفي منزلي تسعة وخمسون ألف درهم [1] .

---

(١) ش : ج ٢ ، م ٦ ، ص ١٠٤ – ١٠٦ .
غرة شوال ١٣٤٨ هـ – مارس ١٩٣٠ م .

العــامة المتعلمة

« اذا كانت المساجد معمورة بدروس العلم فان العامـة التي تنتاب تلك المساجد تكون من العلم على حظ وافر وتتكون منها طبقة مثقفة الفكر صحيحة العقيدة بصيرة بالدين فتكمل هي في نفوسها ولا تهمل ـ وقد عرفت العلم وذاقت حلاوته ـ تعليم ابنائها . وهكذا ينتشر العلم في الامـة ويكثر طلابه من ابنائها وتنفق سوقه فيها . أما اذا خلت المساجد من الدروس كما هو حالنا اليوم ـ في الغـالب ـ فان الامة تعفى عن العلم والدين وتنقطع علاقتهـا به ، وتبرد حرارة شوقها اليه ، فتجسو نفسها وابناءها وتمسي والدين فيهـا غريب .

وقد عرف اسلافنا ـ رحمهم الله تعالى ـ هذه الحقيقة فحبسوا الأحباس الطائلة على التدريس في المساجد ، التدريس الديني الجامع بين العلم والتهذيب ولو دام ما أسسوه لكانت حالة عامتنا على غير ما نراها عليه اليوم .

وفيما يلي ننقل من (أحكام) الامام ابن العربي قصة تبين ما كان عليه عامة بغداد من العلم ايام كانت مساجدها معمورة بالدروس . وكان العلم منتشرا في جميع طبقاتها » .

« كان أبو الفضل المراغي يقرأ بمدينة السلام فكانت الكتب تأتي اليه من بلده فيضعها في صندوق ولا يقرأ منها واحداً مخافة أن يطلع فيهـا على ما يزعجه ويقطع به عن طلبه فلمـا كان بعد خمسة أعوام وقضى غرضاً من الطلب وعزم على الرحيل شد رحله وأبرز كتبه وأخرج تلك الرسائل وقرأ منها ما لو أنَّ واحدة منها يقرأها في وقت وصولها

ما تكن[1] بعدها من تحصيل حرف من العلم فحمد الله تعالى ، ورحل على دابته قماشه وخرج الى باب الحلبة طريق خراسان وتقدمه الكرى بالدابة وأقام هو على عامي يبتاع منه سفرته فبينما هو يحاول ذلك معه اذ سمعه يقول لعامي آخر أي قل ، أما سمعت العالم يقول يعني الواعظ أن ابن عباس يجوز الاستثناء ولو بعد سنة لقد اشتغل بالي بذلك منه منذ سمعته يقول ، وظللت فيه متفكرا ، ولو كان ذلك صحيحاً لما قال الله تعالىلأيوب:« وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ» وما الذي كان يمنعه من أن يقول حينئذ قل إن شاء الله سمعته يقول ذلك قلت بلد يكون العاميون به من العلم في هذه المرتبة أخرج عنه الى المراغة لا أفعله أبداً واقتفى أثر الكرى وحله من الكراء وصرف رحله وأقام بها حتى مات رحمه الله[2] .

(١) كذا في الاصل والصواب : ماتمكن .

(٢) ش : ج ١١ ، م ٦ ، ص ٦٩٢ – ٦٩٣
غرة رجب ١٣٤٩ هـ – ديسمبر ١٩٣٠ م .

النجاة من العطب بقليل من الأدب

خرج الامام ابن العربي في صفره الى المشرق مع ابيه وكاد البحر يوما يغرقهم وكاد الجوع والبرد بعد خروجهم من البحر ان يهلكهم لولا ان الله تعالى بسبب طريف انقذهم . وقد قص الامام ذلك في كتابه : « ترتيب الرحلة » ونقله عنه المقري في « نفح الطيب » ونقلناه عنه فيما يلي لما فيه من عجيب لطف الله ونفع المعرفة على كل حال في جميع المواطن قال الامـام :

« وقد سبق في علم الله أن يعظم علينا البحر بزوله[1] ، ويغرقنا في هوله ، فخرجنا خروج الميت من القبور ، وانتهينا بعـد خطب طويل الى بيوت بني كعب بن سليم . ونحن من السغب ، على عطب ، ومن العري ، في أقبح زي ، قد قذف زقاق زيت مزقت الحجارة منيئتها[2]، ودسمت الأدهان وبرها وجلدتهـا . فاحتزمناها ازرا ، واشتملنـاها ألفافا[3] تمجنا الأنظار ، وتخذلنا الأنصار . فعطف أميرهم علينا فأوينا اليه فآوانا ، وأطعمنا الله على يديه وسقانا ، وأكـرم مثوانا وكسانا ـ بأمر حقير ضعيف ، وفن من العلم ظريف . وشرحه : انا لما وقفنا على بابه ألفيناه يدير أعواد الشاه[4] فعل السامد[5] اللاه ، فدنوت منه

(١) الزول : العجب .

(٢) المنيئة : الجلد اول ما يدبغ .

(٣) الفاف : ج لف بمعنى الحزب والطائفة .

(٤) الشطرنج .

(٥) الغافل الساهي .

في تلك الأطمار ، وسمح لي بياذقته[1] اذ كنت من الصغر في حد يسمح فيه للاغمار [2] ، ووقفت بازائهم ، أنظر الى تصرفهم من ورائهم — • اذ كان علق بنفسي بعض ذلك من بعض القرابة — في خلس البطالة مع غلبة الصبوة والجهالة فقلت للبياذقة : الأمير أعلم من صاحبه • فلمحوني شزرا وعظمت في أعينهم بعد أن كانت نزرا • وتقدم الى الامير من نقل اليه الكلام فاستدناني فدنوت منه وسألني هل لي بما هم فيه خبر ، فقلت لي فيه بعض نظر ، سيبدو لك ويظهر ، حرك تلك القطعة ففعل كما اشرت وعارضه صاحبه كذلك فأمرته أن يحرك اخرى، وما زالت الحركات بينهم كذلك تترى ، حتى هزمهم الامير فقالوا ما أنت بصغير •

وكان في أثناء تلك الحركات قد ترنم ابن عم الأمير منشداً :

واحلى الهوى ماشك في الوصل ربه   وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

فقال لعن الله أبا الطيب اويشك الرب ، فقلت له في الحال : ليس كما ظن صاحبك أيها الأمير انما أراد بالرب ههنا الصاحب • يقول : ألذ الهوى ما كان المحب فيه من الوصال ، وبلوغ الغرض من الآمال ، على ريب ، فهو في وقته كله على رجاء لما يؤمله ، وتقاة لما يقطع به •• كما قال :

اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا   فأين حلاوات الرسائل والكتب

وأخذنا نضيف الى ذلك من الأغراض ، في طرفي ابرام وانتقاض ، ما حرك منهم الى جهتي دواعي الانتهاض واقبلوا يتعجبون مني ،

(۱) البياذقة الرجالة والمراد خدمه واتباعه .

(۲) ج غمر غير المجرب .

ويسألونني كم سني ، ويستكشفونني عني ، فبقرت[1] لهم حديثي ، وذكرت لهم نجيتي[2] ، وأعلمت الأمير أن أبي معي فاستدعاه وأقمنا الثلاثة[3] الى مثواه فخلع علينا خلعه وأسبل علينا أدمعه[4] ، وجاء كل خوان ، بأفنان وألوان[5] ، فانظر الى هذا العلم[6] الذي هو الى الجهل أقرب ، مع تلك الصبابة اليسيرة من الأدب ، كيف انقـذا من العطب ، وهذا الذكر يرشدكم ـ ان عقلتم ـ الى المطلب[7] اهـ .

(١) فتحته ووسعته .

(٢) ما بطن من امري .

(٣) هو وابوه والامير .

(٤) اسال علينا خيراته .

(٥) ذكر هنا صاحب النفح ان الامام وصف ما نالهم من كرم الامير ولم يذكره هو .

(٦) علم الشطرنج .

(٧) هو الرغبة في العلم والحرص على تحصيله .

ش : ج ٢ ، م ٧ ، ص ١١٢ ـ ١١٤
غرة شوال ١٣٤٩ هـ ، مارس ١٩٣١ م .

أباة الضيـــم

يزيد بن المهلب

بيت المهلب من اكبر البيوت التي استقامت عليها دعائم ملك بني امية ، والمهلب هو الذي قطع دابر الخوارج عليهم بالعراق بعد ما كان قد أعياهم امرهم . حتى قال الحجـاج للمهلب ـ لما قدم عليه بعد الظفر وقد اجلسه معه وبالغ في اكرامه ـ : « يا أهل العراق انتم عبيد المهلب » . ولما قدمته هذه ولى ابنه يزيد كرمان ، ثم كانت ولايته على خراسان وفتح في خلافة سليمان بن عبـد الملك دهستـان وجرجان وطبرستان . ولما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز سجنه وطالبه باموال كان كاتب عليها سليمان فانكرها ومكث في السجن حتى هرب منه قبل وفاة عمر بقليل خوفا من ان يقع في يد يزيد بن عبد الملك ولي عهد عمر وكان يزيد ايام ولايته قد عذب آل ابي عقيل اصهار يزيد لانه كان متزوجا ببنت أخي الحجاج . فقصد البصرة وبدأ فتنته منها وكان من نهاية أمره ما قصه ابن ابي الحديد فيما يلي :

ومن اباة الضيم يزيد بن المهلب كان يزيد بن عبد الملك يشنؤه قبل خلافته لأسباب ليس هذا موضع ذكرها ، فلما أفضت اليه الخلافة وخلعه يزيد بن المهلب ونزع يده من طاعته وعلم انه ان ظفـر به قتله وناله من الهوان ما القتل دونه فدخل البصرة وملكها عنوة وحبس عدي بن ارطاة عامل يزيد بن عبد الملك عليها فسرح اليه يزيد بن عبد الملك جيشاً كثيفاً يشتمل على ثمانين ألفاً من أهل الشام والجـزيرة

وبعث مع الجيش أخاه مسلمة بن عبد الملك وكان أعرف الناس بقيادة الجيوش وتدبيرها وأيمن الناس نقيبة في الحرب وضم اليه ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك فسار يزيد بن المهلب من البصرة فقدم واسطا فأقام بها أياماً ثم سار عنها فنزل العقر واشتملت جريدة جيشه على مائة وعشرين ألفاً وقدم مسلمة بجيوش الشام فلما تراءى العسكران وشبت الحرب أمر مسلمة قائداً من قواده أن يحرق الجسور التي كان عقدها يزيد بن المهلب فأحرقها فلما رأى أهل العراق الدخان قد علا انهزموا فقيل ليزيد بن المهلب قد انهزم الناس قال ومم انهزموا هل كان قتال ينهزم الناس من مثله فقيل له ان مسلمة أحرق الجسور فلم يثبتوا فقال قبحهم الله يقال دخن عليه فطار ثم وقف ومعه أصحابه فقال اضربوا وجوه المنهزمين ففعلوا ذلك حتى كثروا عليه واستقبله منهم أمثال الجبال فقال دعوهم قبحهم الله غنم عدا في نواحيها الذئب وكان لا يحدث نفسه بالفرار وقد كان أتاه يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي بواسط فقال له :

فعش ملكاً أو مت كريماً فان تمت   وسيفك مشهور بكفك تعذر

فقال ما شعرت فقال :

ان بني مروان قد بار ملكهم   فان كنت لم تشعر بذلك فاشعر

فقال اما هذا فعسى فلما رأى يزيد انهزام أصحابه نزل عن فرسه وكسر جفن سيفه واستقبل فأتاه آت فقال ان أخاك حبيباً قد قتل فزاده ذلك بصيرة في توطينه نفسه على القتل قال لا خير في العيش بعد حبيب والله لقد كنت أبغض الحياة بعد الهزيمة وقد ازددت لها بغضاً امضوا قدماً فعلم أصحابه أنه مستميت فتسلل عنه من يكره القتال وبقي معه جماعة خشية فهو يتقدم كلما مر بخيل كشفها وهو يقصد مسلمة بن عبد الملك لا يريد غيره فلما دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب وحالت

خيول أهل الشام بينهما وعطفت على يزيد بن المهلب فجالدهم بالسيف مصلتاً حتى قتل وحمل رأسه الى مسلمة وقتل معه أخوه محمد بن المهلب وكان أخوهما المفضل بن المهلب يقاتل أهل الشام في جهة أخرى ولا يعلم بقتل أخويه يزيد ومحمد فأتاه أخوه عبد الملك بن المهلب وقال له ما تصنع وقد قتل يزيد ومحمد وقبلهما قتل حبيب وقد انهزم النـــاس وقد روي انه لم يأته بالخبر على وجهه وخاف أن يخبره بذلك فيستقتل ويقتـــل فقال له ان الامير قد انحدر الى واسط فاقتص أثره فانحدر المفضل حينئذ فلما علم بقتل اخوته حلف أن لا يكلم أخاه عبد الملك أبداً وكانت عين المفضل قد اصيبت من قبل في حرب الخوارج فقال فضحني عبد الملك فضحه الله ما عذري اذا رآني الناس فقالوا شيخ أعور مهزوم الا صدقني فقتلت ثم قال :

ولا خير في طعن الصناديد بالقنا ولا في لقـــاء الناس بعـــد يزيد

فلما اجتمع من بقي من آل المهلب بالبصرة بعد الكسرة أخرجوا عدي بن ارطاة أمير البصرة من الحبس فقتلوه وحملوا عيالهم في السفن البحرية ولججوا في البحر فبعث اليهم مسلمة بن عبد الملـــك بعثا عليه قائد من قواده فأدركهم في قندابيل فحاربهم وحاربوه وتقدم بنو المهلب بأسيافهم فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وهم المفضل ابن المهلب وزياد بن المهلب ومروان بن المهلب وعبد الملك بن المهلب ومعاوية ابن يزيد بن المهلب والمنهال بن أبي عيينة بن المهلب وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب وحملت رؤوسهم الى مسلمة بن عبد الملك وفي اذن كل واحد منهم رقعة فيها اسمه واستأسر الباقون في الوقعة فحملوا الى يزيد بن عبد الملك بالشام وهم احد عشر رجلا فلما دخلوا عليه قام كثير بن أبي جمعة فأنشد :

حليم اذا ما نال عـــاقب مجمـــلا أشد العقـــابِ أو عفـــا لم يثرب

فعفوا أمير المؤمنين وحسبة ... فما تأته من صالح لك يكتب
أساؤوا فان تصفح فانك قادر ... وأفضل حلم حسبه حلم مغضب

فقال يزيد اطت بك الرحم يا أبا صخر لولا انهم قدحوا في الملك لعفوت عنهم ثم أمر بقتلهم فقتلوا وبقي منهم صبي صغير فقال اقتلوني فلست بصغير فقال يزيد بن عبد الملك انظروا هل أنبت فقال أنا أعلم بنفسي ، فقد احتلمت ووطئت النساء ، فاقتلوني فلا خير في العيش بعد أهلي فأمر به فقتل ، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : واسماء الأسارى الذين قتلوا صبرا وهم احد عشر مهلبيا المعارك وعبد الله والمغيرة والمفضل والمنجاب بنو يزيد بن المهلب ودريد والحجاج وغسان وشبيب والفضل بن المفضل بن المهلب لصلبه والفضل بن قبيصة بن المهلب .قال: لم يبق بعد هذه الوقعة الثانية لأهل المهلب باقية الا ابو عيينة بن المهلب وعمرو بن يزيد بن المهلب وعثمان بن المفضل بن المهلب فانهم لحقوا برتنيل ثم أمنوا بعد ذلك[1] .

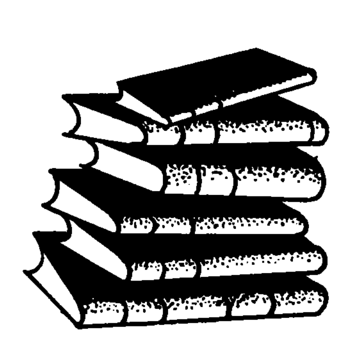

(١) ش : جـ ٤ ، م ٧ ، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٨
غرة ذي الحجة ١٣٤٩ هـ ـ افريل ١٩٣١ م .

أعظم قـائـد

يرجع الى راي جنـدي (١)

ارتحل النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ من مبيته صبيحة يوم بدر حتى نزل على أدنى ماء اليه وبقي الماء أمامه لو جاء العدو لنزل عليه فيكون الجيشان على ماء • وكان الصحابة يعلمون ان رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يتصرف بالوحي فيكون تصرفه حتماً ويتصرف بالنظر في السياسة والحرب فيشاور ويراجع وهـو المعصوم فلا يقر على الخطأ فانبرى الحباب بن المنذر بين الجموع يبدي رأيه وما يعتقده صواباً في مكان النزول فقال : (يا رسول الله أرأيت المنزل هذا أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم أو نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة) ؟

فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : « بل هو الرأي والحرب والمكيدة » فقال الحباب : « ان هذا ليس بالمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى مـاء من القوم فننزله ، ثم نعور ما وراءه من القُلُب(١) ثم نبني عليـه حوضاً نملؤه ماء ثم نقـاتل القوم فنشرب ولا يشربون » • أراد أن يستولي الجيش على الماء ويمنع منه العدو فيكون ذلك أنكى فيه وأعون عليه وهذا هو الرأي الموافق لما تقتضيه الحرب من تضعيف العدو ومكايدته بالاسباب التي تسرع بقهره وظهر

---

(١) من سيرة ابن هشام وغيرها .

(٢) القلب ج قليب وهو بير غير مطوية اي مبنية وعور القليب اذا ردمه بالتراب .

هذا للنبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فقال له : « لقد أشرت بالرأي » ونهض بالناس حتى نزل المنزل الذي أشار به الحباب وفعل ما أشار به ورجع أعظم قائد الى رأي جندي من جنوده لما ظهر لــه صواب اشارتــه .

قد عصم الله نبيه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فلا يستقر أمره في جميع سياسته وتدبيره الا على أحسن الوجوه بما يهدي اليه من نفسه ــ وهو الكثير ــ وما يرجع اليه مما يشير به أصحابه ــ وهو القليل ــ والحكمة في هذا القليل أن يسن لأمته حرية ابداء الرأي في الشؤون العامة من الكبير والصغير ، والرجوع للصواب اذا ظهر من أي أحد كان .

هذا الاصلان : حرية ابداء الرأي من جميع أفراد الرعية والرجوع الى الصواب من رعاتها ، عليهما تنبني سعادة الأمة وعظمتها ، وبهما تشعر الأمة والوحدة بين الرعية ورعاتها ، ومنهما تستمد الأمة النظم اللازمة لها في حياتها ، وقد قررهما الاسلام وبينهما النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ تبييناً عملياً في هذه القصة[1] .

(۱) ش : ج ۱ ، م ۱۱ ، ص ۱۷ ــ ۱۸
غرة محرم ١٣٥٤ هـ ــ افريل ١٩٣٥ م .

ضلال شيخين واهتداء غلام

كانت مدينة الطائف ـــ وما زالت ـــ مصطاف أهل مكة وكان بين البلدين صلة وقرابة ، حتى قرنتا في قول المشركين الذي حكاه الكتاب: « لَوْ أُنْزِلَ هَذا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٌ » فخرج النبي ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ اليها بعد وفاة أبي طالب واشتداد الأذى من قريش عليه ، يدعو أهلها ثقيفاً ويلتمس عندهم النصرة والمنعة بهم من قومه فلقي من أذاهم أشد مما كان يلقى فأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه النـــاس وألجأوه الى حائط مصطاف لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة القرشيان الأمويان وهما فيه ينظران اليه ويريان مالقيه من سفهاء ثقيف لم يغيرا من ذلك شيئاً وكأن ذلك الجمع من العبيد والسفهاء لما رأوه التجأ الى حائط فيه رجلان من قومه قريش ومن بني عبد مناف رجعوا عنه فعمد الى ظل حبلة (كرمة) من عنب فجلس فيه ،

رأى ابنا ربيعة ما لقي النبي ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ ، وهما من بني عبد مناف ، فتحركت له رحمهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً اسمه عدّاس فقالا له خذ قطفاً (عنقوداً) من العنب فضعه في الطبق اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ،

جاء عدّاس بالقطف في الطبق فوضعه بين يدي النبي ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ باسم الله وتناول منه ، فسمع عدّاس ما لم يكن يسمعه في تلك الأرض من المشركين فنظر في وجه النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ وقال

له : والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذا البلاد ، فعرف النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — انه ليس من تلك الارض فسأله عن بلده وعن دينه فقال له انه نصراني وانه من أهل قرية نينوى من قرى الموصل فقال له النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ فدهش عدّاس ، وقال له — صلى الله عليه وآله وسلم — : وما يدريك ما يونس بن متى وانني فارقت نينوي وما يعرفه من أهلها إلا قليل فمن أين عرفت أنت هنا هذا وأنت أمي في أمة أمية فقال النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — ذلك أخي كان نبياً وأنا نبي •

كان عدّاس على يقين بما خبر من أهل تلك الارض وعرف من جهلهم وأميتهم ، من انهم بعداء كل البعد عما شاهده من أدب النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — عند الأكل بذكر اسم الله ، وما سمعه منه من العلم بيونس وبلدته فتحقق ان هذا ما وصل اليه إلا بوحي من الله فلم يتردد في تصديقه والايمان به واكب على رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — يقبل رأسه ويديه وقدميه •

لم يكن عند عدّاس مال يطغيه ولا جاه ينفخه ولا رئاسة يتعالى ويتعاظم بها ولا سلطة كهنوتية تفسد عليه ادراكه وتغل فكره فلذلك نظر نظراً صحيحاً وفكر تفكيراً مستقيماً فاستنتج من علم النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — ما لم يعلمه الناس في أرض جهل وأمية انه نبي موحى اليه من الله وكل من سلم من تلك القواطع التي سلم منها عدّاس فهو أقرب الناس الى قبول الحق واتباعه وما يتباطأ من يتباطأ عن قبول الحق والاذعان لادلته الا من تلك الموانع ويكون تباطؤه بقدر ما عنده منها •

بينما كان الغلام الصحيح العقل النقي القلب السليم الصدر الحر الضمير يستعمل فكره فيشرح الله صدره فيهتدي الى الاسلام — كان

ذانك الشيخان الضالان اللذان أطغاهما المال ونفخهما الجاه وأعماهما الحرص على الرياسة ، عتبة وشيبة ــ يقول أحدهما للآخر : (أما غلامك فقد أفسده عليك) •

رجع عدّاس ــ وقد اهتدى ــ الى الشيخين الضالين فقالا له : (ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ــ يتجاهلانه ــ ويديه وقدميه) فقال لهما : (يا سيدي ما في الارض شيء خير من هذا لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي) فقالا له : (ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك ــ وقد كان عداس نصرانياً ــ فان دينك خير من دينه) •

لا يسوءهما أن يكون عداس على أي ملة وانما يسوءهما أن يتبع محمداً ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ الذي يحسدانه ويخافان منه على رياستهما فحاولا أن يصرفاه عنه ويصداه عن اتباعه بما قالاه له ، لكن عدّاساً الذي عرف الحق بالدليل ، وذاق حلاوة الايمان وبرد اليقين ، لم يقم لكلامهما وزناً ، ولم يحر لهما جواباً ، وأعرض عنهما كما يعرض عن الجاهلين وثبت على الدين الحق • وكذلك الايمان اذا خالطت بشاشته القلوب [1] •

(١)ش : ج ٢ ، م ١١ ، ص ٧٩ ــ ٨١
غرة صفر ١٣٥٤ هـ ــ ١٩٣٥ م .

الــــراعـــــي

من هذا الغلام العربي في عباءته ؟ من هذا الراعي الصغير في غنيمته ؟ من هذا الصبي الناشيء على العمل والرعاية من طفولته ؟ من هذا اليافع الذي يأبى الا أن يعيش من كد يمينه ، ويأكل خبزه الا بعرق جبينه ؟ .

هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يتيم الأبوين مكفول عمه أبي طالب ، الذي كان يرعى غنماً لاهل مكة لقومه وأهل بلده بالقراريط حتى لا يكون كلا على عمه . هذا هو المهيأ برعايته الغنم ، لرعايـة الأمم ، هذا هو المنشأ على الكد في العمل الصغير ، اعداداً له للنهوض باعباء العمل الكبير ، هذا هو المربي على العمل بالفلس ، ليشب على خلق الاعتماد على النفس ، هذا هو المعدلختم النبوة والرسالة واظهار أكمل مثال للبشرية ، يحمل أعظم آية من وحي الله ، ويدعو الى السعادة الدنيوية والأخروية وأقصى ما يمكن أن يصل اليه الناس من كمال .

شب محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم – يتيماً في كفالة عمه ، وكان عمه مقتراً في شظف من العيش ، فأخذ محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يعمل بأجرة ليخفف على عمه ولما شب ضرب في الأرض تاجراً كعادةقومه، فلما ولد لأبي طالب علي ع كفله. وهو في الثلاثين، جزاء على كفالته . فكان في طفولته وشبابه وكهولته كواحد من قومه فـي عيشته وكسبه وأميته . وان كان ممتازاً بينهم لخلقه وفضله حتى بعثه الله نبياً ورسولا بما يستحيل ــ وقد عرفوا طفولته وشبابه وكهولته ــ أن يكون شيء منه من عنده ، ولذا أمره الله أن يحتج عليهم بقوله :

« قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » .

كان محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ميسراً من طفولته لما كان عليه اخوانه من الأنبياء والمرسلين ــ صلوات الله عليهم ــ قبله محفوظا مما حفظوا ملهماً ما ألهموا وقد ألهمَ الله الأنبياء قبله لرعي الغنم وهي حيوان ضعيف تمريناً على القيام على الضعاف بالحلم والرفق والشفقة وحسن الرعاية باختيار مسارحها ودفع العوادي عنها ودوام تعهدها وذلك كله تهيئة لهم الى ما يوكل اليهم من سياسة أمتهم .

وقد ذكر هو ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ هذا العهد من طفولته وهذه العادة الربانية في مثله من اخوانه اعترافاً بنعمة الله وتنبيهاً على ما في ذلك من الحكمة وما فيه من حسن القدوة فقال يوماً لاصحابه : « **ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم** ، فقال أصحابه : وأنت ؟ فقال : نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » رواه البخاري من طريق أبي هريرة ــ رضي الله عنهم ــ [1] .

(١) ش : ج ٣ ، م ١١ ، ص ١٥٢ ــ ١٥٣ ربيع الاول ١٣٥٤ هـ ــ جوان ١٩٣٥ م .

خلوا بيني وبين ناقتي

كان الأعراب يجيئون للنبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يسألونه ويستجدونه في غلظة وجفوة من القول فكان يعطيهم ويتجاوز عن جفائهم ويعذرهم ببداوتهم • فجاءه اعرابي يطلب منه شيئاً فأعطاه إياه ثم قال له النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ « أأحسنت إليك » ليعرف ما عنده من الاعتراف بالاحسان أو ليعرف اكتفاءه بما أعطاه فقال له الاعرابي : (لا ولا أجملت) أي ما أتيت لا بحسن ولا بجميل • فغضب المسلمون وقاموا اليه ليوقعوا به جزاء سوء أدبه فأشار اليهم النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أن كفوا ثم قام النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ودخل منزله وأرسل الى الاعرابي وزاده شيئاً ثم قال له : « أأحسنت إليك » فقال الاعرابي : (نعم • فجزاك الله به من أهل وعشيرة خيراً) • هكذا توسل النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ الى تأديبه واستخراج الاعتراف بالجميل منه ليتربى عليه وحمله على النطق بالكلام الطيب بزيادة الاحسان اليه • فاعترف بالاحسان ودعا الله بالجزاء للنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – بسبب احسانه وشعر بأن النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كان له أهلا وعشيرة وهذه كلها معارف وآداب وشعور طيب جاء بها هذا الاعرابي الجافي بسبب تربيته بزيادة الاحسان اليه • وأراد النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أن لا يتركه يرى بين الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ بالعين التي كانوا يرونه بها لجفائه وسوء أدبه وأن لا يترك في قلوبهم شيئاً عليه ، فقال له : « إنك قلت ما قلت وفي أنفس أصحابي شيء فان أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب مافي

صدورهم عليك » دعاه بألطف القول وألينه دون أمر ولا الزام فقال الاعرابي (نعم) فلما كان الغد أو العشي جاء الاعرابي لمجلس النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — فقال النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — لأصحابه : « إن هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي . أكذلك ، قال نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً » .

ثم أراد النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — أن يضرب مثلا لأصحابه — رضي الله عنهم — يبين لهم به كيف يكون رد الشارد وجذب النفور وتأليف الجافي ، وان المتصدي لتربية الناس أعرف من غيره بما يصلحهم وان الرئيس المتبوع أعرف بطباع أتباعه وأحق بتأليفهم وتربيتهم من الاتباع بعضهم في بعض ، فقال لهم — صلى الله عليه وآله وسلم — : « مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفوراً فناداهم صاحبها : خلوا بيني وبين ناقتي فاني أوفق بها منكم وأعلم . فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت (بركت) وشد عليها رحلها واستوى عليها » ثم قال لهم : « واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار » فقد استحق النار لو مات على تلك الحال فأشفق عليه النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — فعالجه بما أنقذه منها وهكذا تكون رعاية الافراد والأمم باللين والاحسان والانقاذ من مصارع السوء والحمل بالرفق والعلم على السير في أحسن السبل فصلى الله عليه وسلم من نبي حريص على الخير رفيق بالخلق عليم بطبهم ، « بِالمؤمِنِينَ رَؤوف رَحِيم[1] »[2] .

---

(١) ذكرها في الشفاء واصلها في البزار كما ذكره الشراح .

(٢) ش : جـ ٤ ، م ١١ ، ص ٢٠٧ — ٢٠٨
غرة ربيع الثاني ١٣٥٤ هـ — جوان ١٩٣٥ م .

كن خير آخذ

قام قائم الظهيرة وأصهرت الأرض شمس الصحراء ، فنزل الجيش ليقيل ، وتفرق الصحابة تحت أشجار البادية يستظلون بها ، وانتبذ النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ عن أصحابه تحت ظل شجرة وانفرد بها فنزع سلاحه وعلق سيفه في غصن من أغصانها ونام .

كان غورث بن الحرث أحد شجعان العرب وفتاكهم يتتبع الجيش متخفياً ، يتحين فرصة انفراد النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ للفتك به ، وقد واتته تلك الفرصة الآن ، فجاء حيث النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ نائم وسيفه معلق بالشجرة ، فاخترط السيف فانتبه النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وغورث قائم على رأسه والسيف صلتا بيده . فصاح الفاتك بالنبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : (أتخافني ؟) فقال له النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : « لا » قال : (ومن يمنعك مني) فقال : « الله » .

الاسم الأعظم ينطق به الرسول الأعظم ، وهو أعزل من سلاحه إلا سلاح الايمان ، وقد شهر الباطل سيفه بيد ضال مغرور ، يريد أن يصيبه في سيد أنصاره وأعظم أبطاله . فلو كان هذا الفاتك جبلا وقد صدعت كلمة « الله » سمعه لخشع وتصدع ولو كان قلبه من حديد لذاب وسال .

انخلع قلب الفاتك واضطربت يده وسقط السيف منها ، فتناول النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ السيف ورفعه على رأسه وقال لغورث : من يمنعك عني ؟ فقال له غورث : كن خير آخذ .

التجأ الفاتك الى حلم النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وعفوه

وكرمه ودعاه الى أن يكون خير آخذ لعدوه ، وخير الآخذين هو الذي يعفو بعد القدرة ، ويسمح بعد الغلب ، وما دعى النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الى خير إلا أجاب ولا وقع بين أمرين الا اختار أفضلهما ، وما انتقم لنفسه قط ، فترك غورثا وعفا عنه فرجع الى قومه يقول لهم : جئتكم من عند خير الناس •

في هذه القصة تجلت الثقة بالله في أجلى مظاهرها واندحرت قوة السيف أمام قوة الايمان ايمان من لا يخاف الا الله ولا يخاف غيره • ولو كان السيف صلتا على رأسه وضرب النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ المثل الكامل في العفو والتجاوز وحسن التآلف للناس وجلبهم الى الايمان فلهذا العفو ولقول غورث لقومه : جئتكم من عند خير الناس ، من الاثر في القلوب ما لا تفعله الجيوش من فتحها للاسلام أو كفها عن أذى المسلمين[1] •

رزقنا الله الاقتداء بهذا النبي الكريم ذي القلب الرحيم والخلق العظيم [2] •

(١) أصل القصة في الصحيحين والشفاء ومسند احمد وقد اختلف في اسلام غورث .

(٢) ش : ج ٥ ، م ١١ ، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥
غرة جمادى الاولى ١٣٥٤ هـ ـ اوت ١٩٣٥ م .

لا اثر للعبودية مع الاحرار

أغارت خيل بني القين على أبيات بني معن فاحتملوا فيما غنموا زيد بن حارثة الكلبي ، وقد جاء مع أمه سعدى عند أخواله ، وهو غلام يفعة ، فسبوه وباعوه في سوق عكاظ فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد فلما تزوجت بمحمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وهبته له فصار عبداً لمحمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بتلك الهبة .

قدم ناس من قوم حارثة مكة فرأوا زيداً فعرفوه فلما رجعوا . أخبروا أباه وكان قد وجد على فقده وسبيه وجدا شديدا وكان دائم البحث عنه فما أن بلغه نبأ وجوده بمكة حتى خرج هو وأخوه كعب قاصدين الى مكة ليفتديا زيداً من مالكه بما استطاعا من المال .

قدما لمكة وسألا عن محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ الذي يملك ابنهما فدلا عليه في المسجد بفناء الكعبة فدخلا عليه فقالا : (ابن عبد المطلب يا بن سيد قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون العاني وتطعمون الأسير، جئناك في ابننا عندك تمن علينا وتحسن الينافي فدائه ، قال : من هو ؟ قالا : زيد بن حارثة ، فقال : فهلا غير ذلك ، قالا ما هو الا ذاك ، قال ادعوه فأخبراه فان اختاركم فهو لكم وان اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار على من اختارني أحداً ، قالا قد رددتنا الى النصف وأحسنت ، فدعاه ، فقال : هل تعرف هؤلاء ؟ قال : نعم هذا أبي وهذا عمي ، قال فأنا من قد علمت وقد رأيت محبتي فاخترني أو اخترهما ؟ قال : زيد : ماكنت بالذي اختار عليك أحداً أنت مني مكان الأب والعم ، فقالا ويحك يا زيد أتختار العبودية على

الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك ، قال نعم قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي اختار عليه أحداً أبداً .

كان زيد بحكم العادة عبداً مملوكاً ولكنه لم يشعر مع محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — سيد الاحرار — وهذا قبل نبوته — بشيء من آثار العبودية . انه لا يستبد بالناس ، ويمتهنهم ويدوس كرامتهم الا من لم يستكمل معنى الانسانية ولم يكن هو في نفسه حراً أما من كملت انسانيته وخلصت حريته فانه لا يستطيع أن يمتهن الانسانية ولا يذل كرامتها وان الوصايا التي أوصى بها الاسلام في شأن المملوك والخدم لا يشعر معها المملوك والخادم بشيء من العبودية وانحطاط المقام ومحمد — صلى الله عليه وآله وسلم — المفطور على الرحمة والاحسان سيد الناس وسيد الاحرار لم يشعر معه زيد بشيء من أثر العبودية واختار البقاء معه على الاب والعم والاقارب .

جازى محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — زيداً على اختياره له على أبيه وعمه وأهله فأعلن بتبنيه فصار يدعى زيد بن محمد حتى أبطل الله التبني بقوله : « ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَائَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّين وَمَوَالِيكُمْ » وزيد أحد السابقين للاسلام وما ظنك بمن ربي تحت جناح محمد — صلى الله عليه وآله وسلم[1] —

---

(١) ش : ج ٦ ، م ١١ ، ص ٣٥١ — ٣٥٢
غرة جمادى الاولى ١٣٥٤ هـ — اوت ١٩٣٥ م .

من خان قوماً فليس منهم

ضربت الجيوش المحمدية نطاق الحصار على بني قريظة بعد ماكانت نقضت عهدها يوم الأحزاب ورأت قريظة انها مأخوذة وانه نازل بها من الله عقاب الخائنين •

بعثوا الى رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – أن ابعث الينا أبا لبابة بن عبد المنذر الاوسي ، وقد كانوا حلفاء الأوس ليستشيروه في أمرهم فلما جاءهم أبو لبابة قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان بالبكاء وكانت عليهم منه رقة وبعث مشهدهم في قلبه رحمة أنسته ما كان منهم من خيانة لعهد رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – والمسلمين ، ومؤازرة العدو عليهم حتى أحيط بالمسلمين من فوقهم ومن أسفل منهم وحتى زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر •

استشار بنو قريظة أبا لبابة في النزول من حصنهم على حكم محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – فقال لهم نعم • وعلم انهم استحقوا بخياناتهم القتل وانهم مقتولون فأشار لهم بيده الى حلقه اشارة فهموا منها انهم يذبحون •

قال ابو لبابة : « فو الله مازالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله » وذهب على وجهه وقد عرف عظم الجرم الذي ارتكب فذهب الى المسجد النبوي وربط نفسه بسلسلة الى عمود من عمده وأقسم لا يبرح كذلك حتى يتوب الله عليه وأقام على ذلك لايذوق طعاماً ولا شراباً حتى يخر مغشياً عليه ، وكانت تأتيه زوجته أو ابنته فتحله اذا حضرت الصلاة ثم يعود •

مضت عليه بضع عشرة ليلة أو سبعة أيام ورسول الله – صلى الله

عليه وآله وسلم ـ يراه فيقول لو جاءني لاستغفرت له فاما اذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه •

ففي سحر ليلة نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - توبة الله التواب الرحيم على أبي لبابة وهو في بيت أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ فبشر بالتوبة وثار الناس اليه ليطلقوه فأبى حتى يطلقه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم ـ بيده فلما مر به رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عند خروجه لصلاة الصبح أطلقه •

فرح أبو لبابة بتوبة الله عليه وجعل من توبته أن عاهد الله ان لا يطأ أرض بني قريظة أبدا ـ وكانت له بها أموال - وأن لا يرى في بلد خان فيه الله ورسوله ، وقال لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ان من توبتي أن اهجر الدار التي أصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي ، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يجزئك الثلث يا أبا لبابة •

العبرة :

اشارة خفيفة لقوم مغلوبين فيها بيان ما يقصد بهم ، عدها هـذا الصحابي البدري النقيب الجليل في هذه المنزلة من الخيانة حتى فزع لها هذا الفزع وخاف منها هذا الخوف وما اطمأن حتى تحقق توبة الله عليه فشكر ذلك بهجران موطن الخيانة وتصدق بثلث ماله ، ذلك لانهـا خيانة في أمر عام وفي موقف حربي بين المسلمين وعدوهم وأعظم الخيانة ما كان في مثل ذلك وكأن أبا لبابة رأى نفسه بتلك الخيانة للمسلمين لم يبق كواحد منهم فربط نفسه منفرداً عنهم حتى يطهر بالتوبة وفي الحق ان من خان قوماً فليس منهم بل هو شر عليهم من أعدائهم •

فرضي الله عن أبي لبابة عدد سخطه ومقته للخائنين[1] •

---

(١) ش : ج ٩ ، م ١١ ، ص ٤٩٩ ـ ٥٠٠
غرة رمضان ١٣٥٤ هـ ـ ديسمبر ١٩٣٥ م •

حماس الشباب[١]

قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : « بينا أنا واقف في الصف يوم بدر نظرت عن يميني وشمالي فاذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما ، تمنيت أن أكون بين أضلع [٢] منهما . فغمزني [٣] أحدهما فقال : يا عم ، هل تعرف أبا جهل ؟ قلت : نعم ، وما حاجتك اليه يا ابن أخي ، قال : اخبرت انه يسب رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – والذي نفسي بيده لئن رأيته لايفارق سوادي سـواده [٤] حتى يموت الاعجل[٥] منا فتعجبت لذلك . فغمزني الآخـر فقال لي مثلها . فلم أنشب[٦] أن نظرت الى أبي جهل يجول[٧] في الناس قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني ، فابتدراه[٨] بسيفيهما يضربانه حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فأخبراه فقال : أيكما قتله ؟ قال كل واحد منهما أنا قتلته . فقال : هل مسحتما سيفيكما قالا لا فنظر في السيفين فقال كلاكما قتله وقضى

---

(١) القصة وهي في عيون الأثر ٢٦٢/١ رواها مسلم عن يحيى بن يحيى عن يوسف بن الماجشون .

(٢) اقوى واشد .

(٣) اشار له بطرفه او وضع عليه يده .

(٤) شخصي شخصه .

(٥) الاقرب أجـلا .

(٦) البث .

(٧) ينتقل بينهم لا يثبت في موضع يتفقدهم لانه كان رأسهم .

(٨) اسرعا اليه فناجزاه .

بسلبه[1] لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، وهما معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح » •

بيان وايضـــاح :

شابان ملأ الايمان قلوبهما ، وعظمت على النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ غيرتهما، واشتد على مؤذيه حنقهما فهانت عليهما في سبيل الانتصار له والانتقام من عدوه الظالم نفوسهما ، وكل واحد منهما يريد أن يفوز بهذا المقام من ارضاء الله ورسوله فيسأل الرجل الكهل الواقف بينهما ويكتم سؤاله عن صاحبه ويقسم انه لو رأى عدو الله أبا جهل لما فارقه حتى يقتل أحدهما صاحبه • فيقف هذا الرجل الكهل الــذي كان استصغرهما واستضعفهما وود لو كان بين رجلين أقوى منهما ــ متعجباً من أمرهما وما ظهر له من قوة قلبهما وتواردهما في السؤال على غاية واحدة لا يبالي كل واحد منهما في سبيلها بالموت الزؤام • وأراد الله أن يبلغهما تلك الغاية وأن يرى ذلك السيد الكهل تصديق فعلهما لقولهما فرأى أبا جهل يتنقل في الناس فأراهما اياه اراءة واحــدة فانقضا عليه كبازيين على الفريسة فأغمدا فيه سيفيهما وشفيا ــ في الله ــ منه غيظهما وجاءا النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يخبرانه بقتل رأس الكفر وأعظم الاعداء وأشدهم أذى يدخلان الفرح عليه ويبتغيان مرضاة الله ورسوله ، وكل واحد منهما يرى انه قد قتله لما علم من أثر سيفه فيه وصدق رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ دعوى كل واحد منهما لما رأى من أثر دم عدو الله على سيفيهما وأعطى السلب أحدهما ولم يكن السلب قصدهما فخص ــ باختياره ــ من شاء منهما فذهبا طيبة بما صنعا نفوسهما راضية برضى الله ورسوله عنهما •

---

(١) ما عليه من ثياب وسلاح .

هذا هو الشباب الحي وهذا هو حماسه الدال على قـوة حيويته وصدق عقيدته وهذا هو اندفاعه الذي ميزه الله به عن الكهول والشيوخ وهذه مظاهر حزمه ونشاطه في الإنجاز والتنفيذ ، فنعم الشباب أولئك الشبان ، ينقضون كالصواعق ، ونعم الكهول أولئك الكهول ، يثبتون كالجبال[1] .

(١٠) ش : ج ١١ ، م ١١ ، ص ٥٩٤ ـ ٥٩٥
غرة ذي القعدة ١٣٥٤ هـ ـ فيفري ١٩٣٦ م .

بئس حامل القرآن أنا اذاً

كان يوم اليمامة في حرب بني حنيفة ــ قوم مسيلمةالكذاب ــ من أشد أيام حروب الردة ، وكان للقراء حملة القرآن فيه المواقف المشهودة ، وكان القائد الاعلى سيف الله خالد بن الوليد ــ رضي الله عنه ــ يختار منهم من يعطيه على قسم من الجيش الراية ، وحامل الراية لا تسقط من يده حتى يسقط ميتا ، ولا تؤخذ منــه حتى تؤخذ روحه دونها ، وكانت راية المهاجرين مع عبد الله بن حفص بن غانم القرشي فثبت معها حتى قتل فأعطيت الراية لسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه فقال لهم : ما اعلمني لأي شيء أعطيتمونيها ؟ قلتم صاحب قرآن وسيثبت كما ثبت صاحبها قبله حتى مات ؟ قالوا : أجل فانظر كيف تكون أتخشى علينا من نفسك شيئا ؟ قال : بئس حامل القرآن أنا إذاً • تناول سالم الراية وهو يرى تناولها عهدا بينه وبين الله والمسلمين أن لا يفر حتى يصرع دونها فصدق ما عاهد الله عليه وجرى على سنة حملة القرآن اخوانه من قبله ، فأمسكها بيمينه حتى قطعت يمينه ، فأخذها بيساره حتى قطعت يساره فاعتنقها حتى صرع ، فسأل أصحابه وهو صريع : ما فعل أبو حذيفة ؟ يعني مولاه ، فقالوا قتل فقال : أضجعوني بجنبه فجمعهما بطن الارض شهيدين كما عاشا على ظهرها على الاسلام والهجرة والنصرة مجتمعين رضي الله عنهما •

العبرة :

القرآن راية الاسلام ، فحامل القرآن حامل راية الاسلام ، فلذلك كان يتقدم حملته لحمل الرايات تحت بارقة السيوف ، يجودون بأنفسهم ،

والجود بالنفس أقصى غاية الجود ، ففي جميع مواطن البلاء ، والشدة ومواقف الفزع والمحنة ، هم أهل التقدم الى الأمام . هؤلاء هم حملة القرآن الذين حملوه حمل فهم وعلم وعمل ، فاعتزوا به وأعزوا به الاسلام فأعزهم الله . وخلفت من بعدهم خلوف اتخذوه حرفة وتجارة ، وجاءوا بقراءته على الأموات بوجوه من البشاعة والمهانة والحقارة فأذلوا أنفسهم وأذلّوا اسم حامل القرآن بقبيح أعمالهم فاذلهم الله : على أن الله — ولله الحمد — لا يخلي الأرض من قائم لله بحجة ، ومستجيب لداعي الله في سلوك المحجة ، فقد أخذ كثير من حملة القرآن يعرفون قيمة ما حملوا . وينهضون بما حمّلوا ، ويعملون لعز الإسلام ورفع راية القرآن ، راية الحق والعدل والأخوة والاحسان لبني الانسان . أيدهم الله وأنقذ بهم الانسانية ومد بهم رواق السلام[1] .

(1) ش : ج ١ ، م ١٣ ، ص ١٢ — ١٣
غرة محرم ١٣٥٦ هـ — ١٤ مارس ١٩٣٧ م .

هكذا تــكون النزاهــة

رضي الله عنك يا عــمر

كان أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه – أميراً بالبصرة من طرف عمر – رضي الله عنه – فمر به عبد الله وعبيد الله ابنا عمر قافلين من الغزو في جيش كان بالعراق فرحب بهما وسهل وقال وددت لو أقدر على شيء أنفعكما به • ثم اهتدى الى وجه نفعهما فقال : عندي مال من مال الله أريد أن أبعثه الى أمير المؤمنين فأسلفكماه فتبتاعان به متاعا من متاع العراق ثم تبيعانه بالمدينة فيكون لكما الربح وتؤديان رأس المال لأمير المؤمنين فقبلا ذلك منه وكتب لعمر يعلمه • فلما قدما المدينة باعا ما اشتريا من العراق وربحا وجاءا لأمير المؤمنين برأس المال وأمسكا ربحهما •

رأى عمر ان أبا موسى حاباهما وانه راعى جانب عمر أمير المؤمنين فيهما ولذا خصصهما بذلك دون غيرهما • وما كان عمر ليرضى أن يستغل مركزه في الأمة لنفعه بذلك الخاص ولا أن يستغله أحد من أهله فأراد أن يأخذ من ابنيه رأس المال والربح ويعرفهما ان أبا موسى حاباهما فقال لهما : أكل الجيش أسلفه مثل ما أسلفكما ؟ قالا : لا ، فقال : ابنا أمير المؤمنين فأسلفكما • ! ! أدّيا المال وربحه ، فأمـا عبد الله وهو أفقه الابنين – فسكت وأما عبيد الله – وهو أشدهما – فقال : ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين هذا ، لو هلك هذا المال أو نقص لضمناه ، فقال عمر : أدياه فراجعه عبيد الله ورأى أحد جلساء عمر أن يقطع النزاع بوجه يرضي عمر ويبعده عن المحاباة ، فقال : يا أمير

المؤمنين اجعله قراضا فقال عمر : قد جعلته قراضا فأخذ رأس المال وشطر الربح لبيت مال المسلمين ، وأخذ ابناه ــ كعاملين في القراض ــ الشطر الآخر .

الاسوة الحسنة :

كل ذي علم أو امارة أو منزلة عند الناس ، ترى الناس يسرعون في مرضاته فينجر اليه والى من اليه فوائد ما كانت لتنجر لولا مكانه الخاص . فعلى الذين لا يحبون أن يأخذوا من الناس أكثر مما يعطونهم، ولا يحبون أن يستغلوا مراكزهم ، أن يحتاطوا من هذه الناحية حتى لا ينالوا ولا ينال بأسمهم شيء زائد على ما يناله كل أحد من الناس مثلما كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ رضي الله تعالى عنه ــ وليس هذا من الورع الذي قد يكون المقصر فيه معذورا بعض العذر ، بل هو من الواجب الذي يتحتم على كل ذي منزلة وقدر بين الناس فان استغلال المنزلة والاختصاص بالمنافع العامة دون سائر الناس من الأكل بالباطل نسأل الله أن يجعل فينا ما ينفع عباد الله وأن يجعل ما نعطي أكثر مما نأخذ وما نعمل أكثر مما نقول آمين يارب العالمين[1].

(١) ش : جـ ٢ ، م ١٣ ، ص ٨٤ ــ ٨٥ صفر ١٣٥٦ هـ ــ افريل ١٩٣٧ م .

رقيـــة الله

كان ضماد ــ وهو رجل من ازد شنؤة ــ من أطباء العرب فــي الجاهلية وكان يعالج بالطب والرقية • قدم مرة مكة ، وقد بلغه نبأ الدعوة الجديدة فلما قدمها سمع من سفهائها ما كانوا يرمون بــه صاحب هذه الدعوة من الجنون فود لو رآه فرقاه لعل الله يشفيه على يديه ، فعمل لذلك حتى لقيه ، فقال : يا محمد ، اني أرقي من هذه الريح ــ ريح الجنون ــ وان الله يشفي على يدي من شاء فهل لك ؟ فما أجابه النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بكلمة ترد عليه وما زاد على أن قال : « ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريــك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد » فما تركه ضماد يشرع فيما بعد أما بعد ، فقد عملت هذه الكلمات الجوامع عملها من نفسه وأثرت أثرها في قلبه فبادره بقوله : أعد عليّ كلماتك هؤلاء فأعادها عليه رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ثلاث مرات فتجلى لضماد من توحيد الله وتنزيهه والثقة به والاعتماد عليه والحمد له ما بهره منه المعنى الكبير الكثير ، في اللفظ البين القليل ، وعرفــه ان هذا لا يخرج من قلب مجنون • وكيف ؟ وهو لم يطرق سمعه مثلهن فيما سمع من كلام الناس فقال ، معلنا لإيمانه مبيناً لدليله وبرهانه : لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن قاعوس البحر (كقاموس عمق البحر ولجته) ثم قال : هات يدك أبايعك على الاسلام فبايعه ، فقال

له رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : وعلى قومك ؟ فقال : وعلى قومي[1] .

العبرة :

جاء الضماد لا يحمل في قلبه على محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ حقداً ولا بغضاً ، بل كان ينظر اليه بعين الشفقة نظر الطبيب الى المريض . فلما سمع الحق بلغ من قلبه ذلك المبلغ . فأعظم ما يحول بين الحق وبين الناس وما تنطوي عليه قلوبهم من بغض أو حقد على من دعاهم اليه . فعلى من يريد أن يعرف الحق أن يخلي قلبه ــ ما استطاع ــ من كل احنة على من يريد أن يعرف ما عنده من الحق عندما يريد أن يعرف ، وعلى كل داع الى الحق أن يبذل كل جهده أن لا يظهر بمظهر العدو أو المبغض لمن يدعوه . فانه اذا سلم القلب ، وحصل الفهم أثرت كلمة الحق أثرها لا محالة .

الأســوة :

كتاب الله ومثل هذا الكلام النبوي الوارد في هذه القصة المأخوذة، من كتاب الله ، هو الدواء الناجع من أدواء النفوس وأمراض القلوب ، وهو الرقية الشافية ، ــ رقية الله ــ من وســاوس الاهواء وهواجس الضلال ، فان النبي -- صلى الله عليه وآله وسلم ــ لم يزد في استشفاء ضماد على أسماعه ذلك الكلام الجامع المختصر . فعلى الدعاة الى الحق أن تكون دعوتهم بكلام الله ومثل هذه الكلمات من حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فان في ذلك الاتباع والانتفاع ، وحصول الهداية ان شاء الله آمين[2] .

(١) القصة في صحيح مسلم .

(٢) ش : ج ٣ ، م ١٣ ، ص ١٢٧ ــ ١٢٨
غرة شعبان ١٣٥٦ هـ ــ ٢ ماي ١٩٣٧ م .

نعوذ بالله من السلب بعد العطاء

كان ممن قدم على النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — من بني حنيفة سنة الوفود الرَّجَّال بن عنفوة فأسلم وقرأ وفقه في الدِّيـن • وكان يرى عليه من الخشوع والخير وملازمة قراءة القرآن شيء عجيب • حتى بعثه معلما لأهل اليمامة وبينما هو جالس يوما من الايام في رهط من الصحابة منهم أبو هريرة خرج عليهم رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — فقال : « لضرس أحدكم — أيها المجلس — في النار يوم القيامة أعظم من أحد » •

فلما ارتدت بنو حنيفة باليمامة وتبعت مسيلمة الكذاب أرسـل أبو بكر الى الرَّجَّال فأوصاه بوصيته وبعثه يشغب على مسيلمة وهو يظن منه الصِّدْق فلما لحق باليمامة لحق بمسيلمة وشهد له ان النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — أشركه في الأمر وأن هذا نبي وهذا نبي فاستجاب له من كان أسلم من بني حنيفة وصدَّقوه وكان أشد وأعظم فتنة عليهم من مسيلمة نفسه ، بما كانوا يعلمون من حاله وثبت على ردته حتى قتل ، قتله زيد بن الخطاب •

قال ابو هريرة : « مضى أولئك الرهط لسبيلهم وبقيت أنا والرجال فما زلت لها متخوفا حتى سمعت بمخرج الرجال فآمنت وعرفت ان ما قال رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — حق » •

هذا سلف الناكصين — وبئس السلف لبئس الخلف — وهـذه عاقبتهم بحكمة الله وعدله فيهم : يسلبهم ما أعطاهم وهو أعلم بهم ،

ويجعلهم فتنة لمن عداهم ليميز الله الخبيث من الطيب ويعلم الصادقين ويعلم الكاذبين ثم تكون العاقبة للمتقين[1] .

(١) ش : جـ ٢ ، م ٥ ، ص ٦٨ ــ ٦٩
غرة صفر ١٣٥٨ هـ ــ مارس ١٩٣٩ م .

وأنا أغتنمها ...

المصلحة العمومية فوق الحزازات الشخصية

رجل عظيم له أثر جليل في فتح الجزائر « المغرب الوسط » فهو أول من وطئت معه خيول الاسلام هـذه الأرض ، ولكنه مغمور في التاريخ ، لا يجرى ذكره على الألسنة ، ولا تعني بتفصيل حياته الكتب. ذلك هو أبو المهاجر دينار مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري رحمه الله .

استعمله مولاه مسلمة بن مخلد ــ والي مصر من قبل معاوية ــ على فتح افريقيا وعزل عقبة بن نافع عنها . كان المغرب الأدنى قد تم فتحه فوجه أبو المهاجر همه الى فتح المغرب الأوسط ، بعد أن تولى الأمر من يد عقبة وأساء عزله ولكنه خلاه حراً طليقاً .

كان كسيلة من ملوك الامازيغ بالمغرب الأوسط قد جمع جموعاً كثيرة وزحف بها لقتال المسلمين فكانت بينه وبين أبي المهاجر معارك انتهت بانتصار المسلمين وانهزام كسيلة وجموعه وظفر أبي المهاجر به .

أسلم كسيلة فاستبقاه أبو المهاجر وقربه ، وانتهى أبو المهاجر من غزوه الى تلمسان وقفل راجعاً الى القيروان العاصمة الاسلامية التي كان أسسها عقبة ، فبنى مدينة أخرى قربها نقل اليهـا مركز الجيش والامارة ، فصارت القيروان في حكم الخربة .

أفضت الخلافة الى يزيد بن معاوية فأعاد عقبة الى امارة افريقيا فقدمها سنة ٦٢ فتناول الامارة من يد أبي المهاجر وعزله وزاد فاعتقله ونكب صاحبه كسيلة الذي كان اعتصم بالاسلام ورجع مركز الجيش والامارة الى القيروان .

سار عقبة في جيشه في المغـرب الوسط وكانت له فيه حروب ،

اذ لم تكن غزوة أبي المهاجر الا تمهيداً للفتح ، ثم توجه الى المغرب الأقصى حتى انتهى الى المحيط الاطلانطيقي ، ولم يكن هـذا الفتح السريع المدهش قد استأصل قوة جموع الوطن أيضاً ، ففي عودة عقبة الى القيروان من هذا الفتح هبطت اليه كاهنة جبل اوراس في جموع كثيرة وهو في قلة من أصحابه فكانت الوقعة الكبرى التي استشهد فيها عقبة وصاحبه وقال فيها أبو المهاجر كلمته الكبيرة الخالدة التي جعلناها عنواناً لهذه القصة •

كان عقبة في فتوحه مستصحباً معه أبا المهاجر وصاحبه كسيلة معتقلين ، وكان يذيق كسيلة أنواع الاهانة والاذلال وكان أبو المهاجر يحذره عاقبة تلك المعاملة المخالفة لما كان عليه النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ في معاملته للأسرى ولعظماء الناس •

لقد صدق ظن أبي المهاجر فان كسيلة لما رأى قلة جماعة عقبة لرجوع الجيوش قبله الى القيروان أرسل الى قومه يعلمهم بذلك فجرأهم ذلك على ملاقاته والنزول الى قتاله بعد ما كان الخوف والرعب قد ألجأهم الى شعاب الجبال ، فكانت تلك الوقعة •

علم عقبة انه مستشهد لا محالة فسرح أبا المهاجر من معتقله وأمره باللحوق بالقيروان ليتولى أمر الناس لعلمه بسهولة الوصول عليه لحسن علاقته مع كسيلة وحسن سمعته عند قومه ويغتنم عقبة الشهادة فنسي أبو المهاجر كل ما كان فيه وكل ما لحقه من عقبة وقال له : « وأنا أغتنمها أيضاً » ونزل المعترك كأصحابه واختاروا الموت الشريف على الأسر والهوان[1] فاستشهدوا عن آخرهم وكانوا زهاء ثلاثمائة من الصحابة والتابعين رضي الله •

العبرة :

عندما تكمل في القادة أخلاق الرجولة ويتحدون في الايمان

(١) راجع « تاريخ الجزائر في القديم والحديث » للاستاذ الميلي .

بالمصلحة المشتركة العليا ، وفي السعي لغاية واحدة ــ لا يحول بينهم وبين القيام بجلائل أعمالهم والبلوغ الى غاياتهم ، ما تقل السلامة منه بين البشر من الحزازات الشخصية وان نالهــم من ذلك ما لا بد منه من أثره السيء في طريق سعيهم وسرعة وصولهم .

فسوء معاملة أبي المهاجر لعقبة كانت نتيجة معاملة عقبة له التــي تجاوزتها في الاهانة ، حتى ارتكب عقبة ذلك المركب القبيح الوخيم العاقبة في معاملة كسيلة ، لكن القائدين العظيمين كانا يؤمنان ايمانا واحدا بالمصلحة المشتركة العليا ، ويعملان لغاية واحدة هي اعلاء كلمة الاسلام واغتنام الشهادة في سبيله ، فلم يأل أبو المهاجر في نصح عقبة وهو تحت قيود الاعتقال ولم يتوقف عقبة في سراح أبي المهاجر ليتولى الامارة بالقيروان ولكن الغاية الكبرى عند أبي المهاجر ــ كما هي عند مثله ــ هي الموت في سبيل الله والفوز بالشهادة فقال : « وأنا أغتنمها أيضاً » وما كانت تلك الوقعة التي خسر بها الجيش الاسلامي أولئك الأبطال الا أثراً لازماً لتلك الحزازات الشخصية والنقائص البشرية . ولكل شيء أثره في هذه الحياة .

القــدوة :

ضرب أبو المهاجر القــائد العظيم أسمى مثل في نسيان النفس ، والزهد التام في الحياة الدنيا ورئاستها ، والرغبة الصادقة في نيــل الشهادة ، كما ضرب أسمى مثل في الشجاعة والاقدام والتضامن التام مع الاصحاب في وقت الشدّة ، وطرح كل أمر شخصي ازاء الصالح المشترك العام . فرحمه الله وجازاه الله وجازى من معه عن الاســلام وعنا خير الجزاء[1] .

---

(١) ش : ج ٣ ، م ١٥ ، ص ١١٦ ــ ١١٨
غرة ربيع الاول ١٣٥٨ هـ ــ افريل ١٩٣٩ م .

مصرع ظالم

ولي يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف وكاتبه امارة أفريقية من قبل يزيد بن عبد الملك الخليفة الأموي ، فقدمها سنة احدى ومائة ، فأراد أن يسير في الأمازيغ سيرة مولاه الحجاج فيمن أسلم من أهل سواد العراق ، فان الحجاج ردهم من الأمصار الى قراهم ورساتيقهم ، ووضع الجزية على رقابهم كما كانت تؤخذ منهم قبل أن يسلموا ، فلما عزم يزيد على ذلك في أهل افريقية تآمروا على قتله فقتلوه ، وولوا مكانه عليهم محمد بن يزيد مولى قريش الذي كان عاملاً عليهم قبل يزيد ، وكتبوا الى أهل يزيد بن عبد الملك : « انا لم نخلع أيدينا من الطاعة ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى به الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا عاملك » .

إباء وعدالـة :

سيم خطة خسف شنيعة هؤلاء الأفارقة فيما أرادهم به هذا العامل الظالم فأبوا وأوردوه مورد الظالمين أمثاله .

ورأى الخليفة صدق طاعتهم وعدل حكمهم فأقرهم على ما فعلوا ، في قتل من قتلوا وولاية من ولوا .

ولقي هذا الظالم من الافارقة ما لم يلقه مولاه وأستاذه الحجاج بالعراق .

عبرة في مقتله :

كان الوضاح بن أبي خيثمة حاجب عمر بن عبـد العزيز الخليفة

الأموي الراشد ، فلما مرض عمـر أمره باخراج المحابيس فأخرجهم سوى يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج وكان اذ ذاك سجيناً ، فلما مات عمر هرب الوضاح الى افريقية خوفاً من يزيد بن عبد الملك الخليفة بعد عمر فبينما هو بافريقية اذ قيل قدم يزيد بن أبي مسلم والياً فهرب منه الوضاح لما يعلم من حقده عليه من يوم تركه في السجن دون سائر المحابيس فطلبه يزيد حتى ظفر به فلما حمل اليـه ورآه قال له طالما سألت الله أن يمكنني منك فقال له الوضاح : وأنا والله لطالما سألت الله أن يعيذني منك ، فقال له يزيد : ما أعاذك الله والله لأقتلنك ، ولو سابقني فيك ملك الموت لسبقته ، ثم دعا بالسيف والنطع فأتي بهما وأمـر بالوضاح فأقيم بالنطع وكتف وقام وراءه رجل بالسيف وأقيمت الصلاة فخرج يزيد اليها فلما سجد أخذته السيوف سيوف أولئك الاباة من الافارقة فقتلوه جزاء ظلمه وخروجه فيهم عن حكم الاسلام ، ثم ادخل على الوضاح من قطع كتافه واطلق سراحه .

وهكذا جاء الفرج بعد الشدة ، وقلب الله أمـر الرجلين في فترة قصيرة جداً ، فأمسى الأمير قتيلاً ، والمكتوف في النطع حراً طليقاً ، ونجّى الله حاجب الامام العادل ، وأهلك الظالم مولى الظالم .

والحمد لله رب العالمين[1] .

(١) ش : ج ٤ ، م ١٥ ، ص ١٦٩ ــ ١٧٠
غرة ربيع الثاني ١٣٥٨ هـ ــ ماي ١٩٣٩ م .

السر كل السر في الأرواح

قد ينبثق الفرعان من أصل واحد ويهبط الاخوان من صلب واحد وتجمعهما رحم واحدة ويعيشان عيشة واحدة ثم يكون هذا في مستوى وهذا في مستوى دونه بمنازل .

ما ذلك الاختلاف مع ذلك الاتفاق الا لسر في النفس هو خفي كحقيقة النفس ..

وهذه القصة التي ننقلها عن ابن أبي الحديد في الأخوين الكريمين الشريفين العظيمين : أبي الحسن الرضي وأبي القاسم المرتضى — عبرة بالغة في ذلك . قال : « حكى أبو حامد بن محمد الاسفرايني الفقيه الشافعي ، قال : كنت يوماً عند فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة « من بني بويه » فدخل عليه الرضي أبو الحسن فأعظمه وأجله ورفع من منزلته وخلى ما كان بين يديه من القصص والرقاع وأقبل عليه يحادثه الى أن انصرف ، ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو القاسم — رضي الله عنه — فلم يعظمه ذلك التعظيم ولا أكرمه ذلك الاكرام وتشاغل عنه برقاع يقرأها وتوقيعات يوقع بها فجلس قليلاً وسأله أمراً فقضاه ثم انصرف .

قال أبو حامد : فتقدمت اليه وقلت : أصلح الله الوزير ، هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحب الفنون وهو الأمثل والأفضل منهما ، وانما أبو الحسن شاعر . قال فقال لي اذا انصرف الناس وخلا المجلس أجبتك عن هذه المسألة وكنت مجمعاً على الانصراف فجاءني أمر لم يكن في الحساب ، فدعت الضرورة الى ملازمة المجلس الى أن انفضّ الناس

واحداً فواحداً فلما لم يبق الا غلمانه وحجابه دعا بالطعام فلما أكلنـا وغسل يديه وانصرف عنه أكثر غلمانه ولم يبق عنده غيري قال لخادم له هات الكتابين اللذين دفعتهما اليك منـذ ايام وأمرتك أن تجعلهما في السفط الفلاني فأحضرهما فقال هذا كتاب الرضي ، اتصل بي انه قد ولد له ولد فنفذت اليه ألف دينار وقلت هذه للقابلة فقد جرت العادة أن يحمل الأصدقاء الى اخلائهم وذوي مودتهم مثل هذا في مثل هذه الحال ، فردها وكتب الي هذا الكتاب فاقرأه •

قال أبو حامد : فقرأته فاذا هو اعتذار عن الرد ومن جملته : « اننا أهل بيت لا يطلع على أحوالنا قابلة غريبة وانما عجائزنا يتولين هـذا الأمر من نسائنا ولسن ممن يأخذن أجرة ولا يقبلن صلة » •

قال الوزير: فهذا هذا ، وأما المرتضى فاننا كنا قد وزعنا وقسطنا على الأملاك ببادوريا « بالجانب الغربي من بغداد » تقسيطاً نصرفه في حفر فوهة النهر المعروف بنهر عيسى فأصاب ملكاً للشريف المرتضى بالناحية المعروفة بالداهرية من التقسيط عشرون درهماً ثمنها دينـار واحد ، وقد كتب إليّ منذ أيام في هذا المعنى هذا الكتاب ، فاقرأه •

قال أبو حامد : فقرأته فاذا هو أكثر من مائة سطر يتضمن مـن الخضوع والخشوع والاستمالة والهز والطلب والسؤال في اسقاط هذه الدراهم عن أملاكه المشار اليها ما يطول شرحه •

قال الوزير فخر الملك : فأيهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل ، هذا العالم المتكلم الفقيه الأوحد ونفسه هذه النفس أم ذلك الذي لم يشهر الا بالشعر خاصة ونفسه تلك النفس ؟ فقلت وفق الله تعالى سيدنا الوزير فما زال موفقاً ، والله ما وضع سيدنا الوزير الأمر الا في موضعه ، ولا أحله الا في محله ، وقمت فانصرفت •

وفي هذه القصة الى ما قصدناه منها نموذج من مجالس الوزراء

وآدابهم ومعاملتهم للناس على منازلهم وضبطهم لمكاتبهم والعنـــاية بالري وحفر الأنهار مما ازدهر به عماران[1] العراقي من الناحية في تلك العصور أي ازدهار وآثار تلك العنـــاية باقية على الزمان الى اليـــوم[2] .

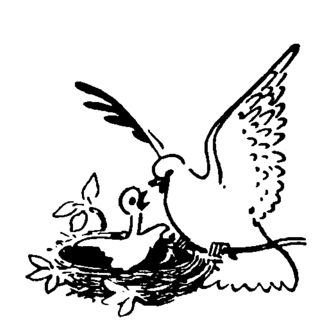

(١) كذا في الاصل ولعله : عمران العراق

(٢) ش : جـ ٥ ، م ١٥ ، ص ٢١٣ ــ ٢١٥
غرة جمادى الاولى ١٣٥٨ هـ ــ جوان ١٩٣٩ م .

آثار ابن باديس

قسم الرحلات

للتعارف والتذكير

عرفتني تنقلاتي في بعض قرى ما فيقلوب عامة المسلمين الجزائريين من تعظيم للعلم وانقياد لأهله اذا ذكروهم بحكمة واخلاص ٠

ما حللت بقعة الا التف أهلها حولي يسألون ويستمعون في هدوء وسكون وكلهم أو جلهم منتمون للطرق من مقدم وشاوش وخوني ٠

ما كنت أدعوهم في جميع مجالسي الا لتوحيد الله والتفقه في الدين والرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله ورفع الأمية والجد في أسباب الحياة من فلاحة وتجارة وصناعة والى اعتبار الاخوة الاسلامية فوق كل مذهب وطريقة وجنس وبلد ، والى حسن المعاملة والبعد عن الظلم والخيانة مع المسلم وغير المسلم ، والى التزام القوانين الدوليـة التي لا بد منها لحفظ النظام ٠

كنت أذكرهم بهذا كله وأقرأ على وجوههم سمات القبول والاذعان وأنا على يقين من بقاء أثر نافع لذلك بصدق وعد قوله تعالى « وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ » ٠

الحروش :

بهـاته القرية مسجد السيد لمعـاوي علي ولكن القرية تقتضي جامع جمعة فذكرناهم في شأنه واتفقت كلمة الجمع على ان الـذي يقدر على انهاض الناس لبنائه هو السيد أحمد بن حـربي والسيد بو قادوم فوعدا بالعمل وفقهم الله لانجازه ٠

زيادة على المجالس العامة كان التذكير في المسجد اثر الظهر بفقـه

تكبيرة الاحرام والسلام ، وبعد العصر بالاهتمام بالشؤون العظيمة وأخذ ذلك من قوله تعالى « وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ » واستطردنا الى تفسير سورة « أَلَمْ نَشْرَحْ » .

عزابـة :

لقينا الى محطة السانشارل في سيارتين قاضيها العلامة الشيخ طالب علاوة بن الجودي وبعض النـواب البلديين وأعيانها فيممناها الى حانوت الأديب السيد محمد جلواجي وحانوته مجمع أهل الفضل من القرية ونواحيها ولا نطيل بتفصيل ما لقيناه من اكرام وعناية نكل ثوابهم عليهما الى الله وانما نذكر ما يتعلق بالتذكير والارشاد .

كان الدرس العام بعد العشاء بالمسجد وهو ــ محل مكترى ــ في قوله تعالى « إِنَّمَا المؤمنونَ إخوَةٌ » واستطردنا الى مظاهر تلك الأخوة في الصلاة وحكمة بنـاء المساجد ، وذكرناهم باتمام ما كانوا وضعوا أساسه من بناء جامع الجمعة ، وقد علمنا بعد سفرنا انهم شرعوا في العمل وفقهم الله للتمام .

كنت أجيب عندما أسأل عن المقدمين بأن الذي يستحق التقـديم هو من يكون عارفاً معرفاً داعياً الى التوحيد والاتحاد متمسكاً بالسنة وأشرح لهم ذلك ولقد لقيت من المقدمين من هو موصوف بهذه الصفات أو عامل على أن يتصف بها فمنهم السيد حسن ابن سيدي حمـادي ومنهم السيد معطي الله محمود وقد دعانا السيد حسن الى منـازله خارج عزابة وكان التذكير بدرس في الاصول العشرة التي لا يكون المؤمن مؤمناً الا بها وهي مما لا تختلف فيه فرق الاسلام . وكان الشيخ قائماً بنفسه على خدمتنا داعياً أتباعه الى الاهتداء بما أمليناه عليهم من دلائل الكتاب والسنة .

ودعانا السيد بومعيزة بلقاسم قائد دوار الزاوية وهو من أعيان بيت بومعيزة الشهيرة في تلك النواحي ، وهو رجل مرضي عليه من جميع الناس هنالك في دينه واخلاقه ومخزنيته .

سكيكدة :

كان غالب جلوسنا في حانوت السيد محمد قلمين النائب البلدي وكان الناس من جميع طبقاتهم يترددون علينا للسؤال وسماع التذكير وكان المكلف بدعوة الناس للمسجد وقع له شغل فلم يقم بما عهد اليه فلم يكن درس عام .

سانطارنو (1) :

حللنا بالبناية التي أسسها الشاب الاديب السيد محمد بن الموفق للتعليم والتهذيب بتأييد فضلاء البلد وهنا هيئة بارزة منهم فيهم العلامة الشيخ القاضي معيزة احمد والسيد البجاوي حسن والسيد حكيمي أحمد والسيد ابن دالي مصطفى وغيرهم ينسى اسماؤهم الذهن ولا ينسى ودّهم القلب .

كان التذكير في مجلس عام بالسوق في اسمه تعالى « الصَّمَد » وفي تفسير مختصر لسورة الفاتحة ، وكان التذكير ليلا في مجلس حافل بالمدرسة الموفقية في لزوم التعلم ورفع الامية واستطردنا الى تفسير صدر سورة العلق .

مجاز الدشيش ـ وسيدي مزريش :

لقينا في سيارة الى محطة الحروش آل بوصاع القائد عمار والسيد بو لخراص والشيخ محمد بن دويدة ووصلنا الى مجاز الدشيش فنزلنا

(1) تسمى هذه البلدة الآن بالعلمة .

عند السيد الزيتوني بوصاع وسألنا عن الاسلام الصحيح فأجبنا بأنه مافي القرآن والسنة بَيَّنا القرآن وَبَيَّنا أثر القرآن في العرب وكيف تطوروا به ذلك التطور الغريب السريع من انحطاط الجاهلية الى رقي الاسلام وما يناسب هذا من التذكير .

ثم امتطينا السيارة الى قرية سيدي مزريش فوجدنا الناس قد جاءوا من الجهات للقائنا فكانت مجالس عديدة للتذكير وكانت الصلاة في مسجد القرية الذي أسسه القائد عمار بو صاع من خالص ماله وحبس عليه ما يقوم بنفقته . وألقينا به أثر صلاة العصر درساً في فقه أعمال الصلاة وحكمها وسمعت هذا الرجل وهو قائد يخاطب الناس يا أولادي ورأيتهم يعتبرونه كأب فتراه ـ مع شدة احترامهم له ونفوذ كلمته التامة لهم ـ كأنه واحد منهم يجلس في مجالس التذكير في أخريات الناس . حقاً ان الاحترام الحقيقي هو احترام القلوب التي لا تملك الا بالاحسان .

لقد كان الفضلاء الذين نحلُّ عندهم يقومون بأنفسهم لجمع اشتراكات « المجلة » ممن له قدرة وعنده رغبة بدون ان تتحمل أدنى تعب في ذلك . منهم السيدان الواعر محمد وكربوش السعيد بالحروش والسيد جلواجي والشيخ حسن بعزابة والسيدان محمد بن عيسى وبلقاسم بن عبادة بالسكيكدة والسيدان محمد بن الموفق وبدور اسماعيل وغيرهما بسانطارنو والسيد محمد قرفي بسيدي مزريش فشكر الله لهم سعيهم [1] .

عين مليلة :

حللت لها يوم السباق فوجدتها تموج بالخلق موجا وكان نزولي

---

(1) ش : جـ ٧ ، م ٥ ، ص ٣٧ ـ ٤١
غرة ربيع الاول ١٣٤٨ هـ ـ اوت ١٩٢٩ م .

بالمكتب القرآني الذي أسسه السيد احمد بن المولود في محل تبرع به للتعليم السيد المعراضي الميزابي الشهير فرأيت من تلامذة المكتب ذَكاة واقبالا لو كان مثله عند جميع سكان البلدة لما كفى أبناءهم أكبر من ذلك المكتب أضعافا •

اجتمع عليّ بذلك المكتب أعيان البلدة وأهل العلم الذين صادفتهم بها فاقترح السيد أحمد بن المولود القاء درس في قوله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: «الدين النصيحة» فلما فرغت منه ألقى الشيخ عبد اللطيف القنطري المتطوع بجامع الزيتونة والشيخ الشريف حجازي والشيخ الحاج مسعود القسني والشيخ بلقاسم البسكري المقري السبعي والشيخ أحمد بن المولود خطابات بمقاصدي من هذه الرحلة والدعوة الى الاستفادة منها • وختم الحفلة السيد دنيا زيدان بأبيات في الحث على التعلم والاتحاد والتنويه رقيقة كان لها أجمل وقع في قلوب الحاضرين وهي هذه :

الى فائق الأنداد مجداً وسؤدداً ... أزف قصيداً كاد أن يبلغ المدى
أعرني بياناً ــ أيها الحبر ــ كافياً ... يكون لديّ الشعر منه مؤيدا
فأربو على ذاك الفخور بقوله ... (اذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا)
فيالك من شيخ حكيم مفضل ... نضا لخطوب الدهر سيفاً مجردا
وقام بدين الله في كل موقف ... ينادي ألا يا قوم سيروا الى الهدى،
وحارب جيشاً للجهالة عاملا ، ... بعلم كموج البحر فاض وأزبدا
وجيش من قول فصيح فيالقا ... تخرّ لها الأعداء في الأرض سجدا
فصان حقوق الله من كل جائر ... ولم يخش قول المفسدين من العدا
واسكت « اشيلي ربير » مبيناً ... فضائل ذا الاسلام شرعة أحمدا
اذا ما رماه الدهر يوما بريبة ... تنادى شجاعا : ايه يا دهر بالردى
فأهلا بندب حل بلدتنا التي ... تمد الى « عبدالحميد » يد الندا

ورغب الجماعة مني القاء محاضرة في النادي فألقيتها من الغد في ضرورة الاجتماع للبشر وفوائده وتطبيق ذلك على قواعد الاسلام الخمس وكان لها ــ ان شاء الله ــ أثرها الحسن المقصود •

في عين مليلة جامع جمعة أسسه منذ سنوات السيد عمر بن شعلال دار حوله كلام لعدم تسجيل التحبيس تسجيلا قانونيا حتى عزم جماعة من أهل البلدة برئاسة السيد المعراض على تأسيس جامع آخر وعينوا الارض وشرعوا بالفعل في جمع المال فلما اجتمع بنا السيد عمرو حادثناه في ذلك أكد لنا انه عازم على التسجيل الرسمي وانه فوض توفيق الرسم للعلامة الشيخ الصالح بن الموفق قاضي الخروب فقلنا لمن حضر من الجماعة اذا تم عمل السيد عمر كما أردتم فاننا لا نرى وجهاً لتأسيس جامع آخر مستغنى عنه • وخير للبلدة لو أسسوا بدله مكتبا نظاميا للتعليم •

مكثت يومين في البلدة ضيفا على السيد احمد بن المولود ودعيت للغداء في اليوم الثاني عند السيدين بكير وسليمان أبناء السيد ابراهيم وهما من أصدق من رأيت في محبة التآخي والاتحاد •

أم لبـاقي :

قد رأيت في عدة بلدان سوء أثر الانتخابات بالفرقة التي تركتها بين المسلمين ولكن أقبح مظهر رأيته منها هو مظهر هاته البلدة فهي على حزبين متعاديين متقاطعين وهما حراكتة بنو اصل واحد ، وقد شملت هذه الفرقة طلبة العلم الذين ينتظر منهم ازالتها فكانوا من صلاتها • ويقول هؤلاء الطلبة انهم لو سعوا في الصلح وأظهروا تسامحا مع « العدو » لنبذهم قومهم وربما آذوهم • وهم لا يستطيعون تحمل الأذى في سبيل الله • ولو كان لهذه القرية جامع لامكن ــ باذن الله ــ تقريبهم من بعضهم بتذكيرهم بالله ، ولكن هذه القرية لا جامع لها ،

بلى لها جامع هو رمال وحجارة مكدسة على قطعة أرض منذ سنوات حالت ادواء الفرقة بين القوم وبين المبادرة في بنائه • وهو اليوم في عهدة رئيس جمعية الجامع السيد معمر بن غراب النائب المالي لقسم ـــ البيضاء تبسة خنشلة ـــ وفقه الله الى تنجيز بنائه فهو أفضل أعماله •

تلقاني للمحطة السيد بلقاسم الزغداني التلميذ بجامع الزيتونة ضيفا في دار ابيه السيد محمد الطاهر أحد أعيان الحراكتة وفضلائهم وذوي الدين ومحبة العلم والتعليم منهم • وتغذيت من الغد عند القائد السيد الباشا من آل بني حسين اعيان « الخنقة » بيت مجد قديم يروون عن اوائلهم اتصال نسبهم ببني امية والقائد يمثل باخلاقه وسيرته المجمع على حسنها وامتيازها ـــ ما يصدق ذلك المجد وينميه •

صادفت بهاته القرية افتتانا برجل جريدي ذى لباس وسخ مستقذر زعموا أنه يحدثهم عن ماضيهم وسوابقهم وانه كان بقسنطينة معظما عند اعيانها وحكامها وانـــه من الاولياء الصالحين وانه ••• وانـــه ••• فالقيت على من حضر العشاء في بيت السيد الزغداني من القياد والأعيان درسا في بيان معنى الولي وانه لايكون الا مؤمنا تقيا وان حظ كل احد من ولاية الله على قدر حظه من الايمان والتقوى وان الاخبار عن الماضي من عمل الكهان وهم ملعونون ملعون من يأتيهم • وفارقت القرية والرجل فيها • فلما بلغت الى قرية أخرى كبيرة وجدت أخباره فيهـــا عما سلبه من اموالهم بالدجل عليهم وهم يعضون اصابع الندم على ما كان من غفلتهم وغرورهم ـــ حاشا بعضهم ـــ به • وصفة هذا الدجال انه اسمر اللون مربوع القامة عريض الاكتـــاف قذر الثياب لهجتـــه جريدية ، فليكن الناس منه ومن مثله على حذر •

عين البيضـــاء :

عاصمة الحراكتة ومركز تجارتهم • حللتها ضيفاً على الأديب السيد

العربي موسوى الصايغي الوكيل الشرعي بها وانزلني ببيت الضيوف من جامعها الذي كانت توسعته وتأثيثها من آثار هـذا الرجل ومن وازره من اهل الخير والدين كما ضفت عند فضيلة الشيخ القاضي سيدي عبود الونيسي آخ شيخي واستاذي العلامة الفقيه سيدي حمدان الونيسي دفين الطيبة عليه الرحمة والرضوان . وعند الشاب السري السيد عبد الرحمن بن الشيخ الكامل بن عزوز رحمه الله .

في هذه البلدة جماعة من اهل العلم والادب منهم الشيخ السعيد الزموشي المدرس ـ تطوعا ـ بجامعها ومنهم الشيخ حسن بولحبال ومنهم الشيخ الطاهر بن الامين ومنهم السيد العربي المذكور ومنهم الشيخ عبود الونيسي قاضيها والشيخ الزواوي بن معطي امام الجامع وغيرهم وبها نشء علمي متهيء لطلبه .

اقترح الاستاذ السعيد الزموشي عليّ القاء درس في قوله تعالى « لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إلى المَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إلاَّ فِي ضَلالٍ » فألقيت درساً بالجامع في الآية المذكورة فبينت دعوة الله عباده اليه ودعوة الخلق الى خالقهم ودعوتهم خالقهم وان الدعاء عبادة وان العبادة لا تكون الا لله فدعاء غير الله ضلال ودعاء غيره معه شرك وسأل الشيخ المدني الخنقي عن التوسل وهـو قول الـداعي « اللهم انني اتوسل اليك بفلان » فأجبنا بجواز ذلك في حق النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لحديث الاعمى وأما غيره فلا نقيسه عليه . وبينت ان المراد من دعاء الكافرين عبادتهم ودعاؤهم لطواغيتهم واما دعاء الكافر اذا كان مظلوما فانها مستجابة كدعوة كل مظلوم لأن الله تعالى حرم الظلم من كل احد على أي احد .

بعد ما فرغ السيد موسوي العربي من اصلاح المسجد الجامع اخذ

في اصلاح مسجد آخر كان زاوية ، وهو من حبس السيد خليفة حمه علي ابي شاعر الشباب السيد محمد العيد فأزال منه الصناجق والاعلام التي كان وجودها ذريعة لتمسحالعوام بها كما يتمسحون بتوابيت المقابر واحجارها مما هو بدعة منكرة شبيهة باعمال الوثنيين سرت الينا من اليهود الذين يقبلون القبور والستور . ولولا العزم على السفر ولزوم تخفيف الاقامة لاتمام برنامج الرحلة لأتممت للسيد العربي رغبتــه في القاء درس بهذا المسجد ، ولبينت للناس حسن صنيعه به .

مسكيانــة :

أخذني من البيضاء الى مسكيانة الشاب المهذب الماجـد السيد السعيد بن زكرى خوجة حاكمها ونزلت في بيت جامعها ولقيت مزيد العناية من امامه الشيخ مامي الشريف واضافنا قائدها السيد ابراهيم آل بن بو زيد بيت الحراكتة من قديم والسيد أحمد بن فجني معين الطبيب وبالغ اهلها في الاحتفاء والاعتناء وكانت لنا مجالس في عدد من محلاتهم التجارية لم تخل من تعليم وتذكير . والقيت بجامعها بعـد العشاء الليلة الاولى درساً في قوله تعالى : « يَا أيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ــ إلى ــ فَاصْبِرْ » فذكرت حاجة الاعمال العظيمة الى الجد والنهوض والصبر والثبات وان اعظم محصل للصبر هو اخلاص العمل لله ، وما يجب لله من تكبير وما يجب للخلق من نفع وما يجب للنفس من تطهير حسي ومعنوي وما في الآية من بديع الترتيب . والقيت الليلة الثانية درساً في قوله تعــالى « هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا » وذكرت شرف هذا الاسم وهذه التسمية وما تقتضيه من صفات السِّلم والسلامة والاسلام أي الانقياد بالاعمال الشرعيــة لله والاخلاص فيها له[1] .

(١) ش : ج ٩ ، م ٥ ، ص ٤٠ ــ ٤٤
غرة جمادى الاولى ١٣٤٨ هـ ــ اكتوبر ١٩٢٩ م .

جـولة صحـافية

عقدنا رحلة بالشهر الماضي الى الناحية الغربية من العمالة لخدمة المجلة وكانت الرحلة على هذا الترتيب : سطيف • البرج • تازمالت • آقبو • زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي بسيدي عيش[1] • بجاية • عزازقة ، تيزيوزو • دلس • تاقزيريت • آزفون • فورناسيونال • (الاربعاء) : ميشلي (عين الحمام) الى تازمالت • محطة القطار الى قسنطينة • ولقد لقينا في كل محل دخلناه ما عرف به شعبنا الجزائري العظيم من كرم واريحية • وخصوصا من اهل سيدي عيش بني وغليس الاكارم ومن اهل آقبو ومن اهل دلس • فلهم شكرنا وجميل دعائنا دعاء المؤمن لاخيه •

وما كان اشد اسف الناس في جميع هاته البلدان لما كنت ارد طلبهم من القاء بعض الدروس الدينية ، معتذرا بالمنع الحكومي الذي كنا نشرناه وقد كنا بالسنة الماضية ننشر ما نلقيه من الدروس على صفحات المجلة تعميما للفائدة وليكون ما نقول معلوما عند الحكام اما هذه المرة فلم ننشر شيئا لاننا لم نقل شيئا وهذا هو جوابنا لبعض المحبين الذين[2] رغبوا مني أن ننشر لهم مثل السنة الماضية • وقد شرف الادارة عدد الأفاضل[3] في أيام غيبتي فأسفت لعدم الاجتماع بهم منهم الشيخ محمد الثميني ومنهم السيد مدير رصيفتنا جريدة

(١) كذا في الاصل وهي واقعة في قمة جبال جرجرة بالقبائل الكبرى

(٢) في الاصل : الذي .

(٣) كذا في الاصل ولعله : عدد من الافاضل .

الشيخ الامام ابن باديس بين جمع من رجال الاصلاح
في بجاية بجبل ام ثراية

البلاغ الجزائري الغراء • وتأخرنا عن رد مكاتبات واجابة اسئلة بسبب هذه الغيبة فنعتذر لأصحابها[1] •

---

(۱) ش : ج ۷ ، م ٦ ، ص ٤٤٤ .
غرة ربيع الاول ١٣٤٩ هـ ــ أوت ١٩٣٠ م .

في بعض جهات الوطن

تكرر الطلب علينا من اصدقائنا ومريدينا أن ننشر لهم شيئا عن رحلاتنا الصيفية فلخصناها فيما يلي :

— ١ —

بعد ما انتهينا من دروس السنة الماضية وقبل انعقاد مجلس ادارة جمعية العلماء في شهر ربيع الاول رأينا أن نعقد رحلة من العاصمة الجزائر الى وهران فما بينهما من البلدان فاخترت للرفقة من ابنائي التلامذة السيد الفضيل آل الشيخ الحسين الورتلاني والسيد محمد آل الصادق الجندلي فأممنا من قسنطينة العاصمة فأقمنا بضعة أيام ثم شرعنا في رحلتنا فأتممناها في نحو عشرين يوما ، وحللنا في مليانة ثم خميس مليانة ، ثم الاصنام ، ثم غيليزان ، ثم مستغانم ، ثم أززيو ، ثم ومصران وكان الحديث في مجالسنا حيثما حللنا يدور على جمعية العلماء ومقاصدها ومنافع الامة منها والتنويه بفضل الحكومة بالاذن بتأسيسها مع مايتخلل ذلك من تذكير بالله وتنبيه على مصالح الدنيا والآخرة وتحريض على التآخي والتآزر وحسن الجوار والمعاملة مع جميع الاجناس المتساكنة في هذا الوطن ، وكنا نرى في جميع المجالس اقبالاً وقبولاً مما لا شك معه في بقاء الأثر الطيب في القلوب ان شاء الله .

بعض التفصيل :

مليانة : ممن عرفنا بها المفتي الشيخ وكال محمد عالم قرأ سنوات بالأزهر وأعجبني منه انني وجدته يطالع شرح تجريد أحاديث البخاري

فشكرت له عنايته بالسنة وقلت له اننا نعرف عقلية الرجل من معرفتنا بالكتب التي يطالعها فمن لا نرى له عناية بكتب السنة فاننا لا نثق بعلمه في الدين ، واجتمعنا بالعالم المفكر المثقف الثقافة الصحيحة الشيخ أحمد السبيع الباش عدل وبالعالم الزكي الخبير الشيخ أحمد آل حاج حمو القاضي وبغيرهما من الفضلاء وأضافنا الشيخ السبيع والسيد عبد القادر بن عبد الوهاب وكان مجلس التذكير في بيت الشيخ المفتي أولا ثم كان قبيل المغرب بالمسجد . وقد ظهر لي ان عامة مليانة قليلة الرغبة في العلم فيها فتور وخمود قيض لهم من يوقظهم .

خميس مليانة : ممن عرفنا بها السيد عليش من طلبة العلم النشيطين وهو داعية من دعاة النهوض بالعلم في تلك النواحي بعقل صحيح وعقيدة سليمة ، والشيخ الفقيه ابن علي الامام بالمسجد واممنا المسجد ، فكان المجلس غالباً معموراً بالسامعين ، وكان الشيخ ابن علي متصدياً لالقاء الأسئلة العديدة المتنوعة بأسلوب هو غاية في الادب واللطف وعقدنا مجلساً عاماً للتذكير حضره جمع غفير من الناس فأزال عنا ما شاهدناه في الخميس من النشاط والرغبة والاقبال ما حملناه من الهم من فتور عامة مليانة وخمودهم ، وأضافنا بالخميس السيد عليش والسيد بن علي والسيد عمر بن خلادي والسيد بوكراع الحاج محمد النائب البلدي .

الاصنام : ممن عرفنا من فضلائها مفتيها العالم الماجد الشيخ الوانوغي بن الشيخ بو مزراق الزعيم المقراني المشهور والشيخ يمثل شهامة اسرته وكرمهم وهمتهم الى معارف أكسبته اياها الاسفار والتجارب وهو القائم بالخطبة والتدريس في جامعها ، والعلامة الألمعي الشيخ طالب شعيب القاضي بها (والقاضي الآن بالعاصمة) فما شئت من علم وأخلاق وفصاحة واطلاع على شؤون الوقت وعدالة ونزاهة وعقدنا مجلس التذكير بساحة الجامع مساء بحضرة الشيخ المفتي

والعلامة الشيخ ابن عشيط واغتنم الشيخ المفتي فرصة الاجتماع فذكر للشيخ ابن عشيط مسائل شاذة جداً كان يقول بها وناقشه فيها فأبى الشيخ ابن عشيط الا التمسك بها فقلت له انني أعظمك واحبك ولتلك المحبة أرغب منك أن تسكت عن هذه المسائل فلا تذكرها ولا تتحمل مسؤوليتها فرأيت من حضرته انعطافا لقولي وقبولا له . وبلدة الاصنام بلدة تجارية وفي أهلها ذكاء وفهم وقبول للتعليم ، وأضافنا فيها قاضيها ومفتيها المعظمان ..

غليزان : أول من اجتمعنا به من فضلائها الأخ الشيخ مولاي محمد أحد أهل العلم وشيخ الزاوية بها وهذا من شيوخ الزوايا الذين لهم رغبة في نشر العلم وهداية الناس وسعة صدر في سماع الحق وأدلته وذهب بنا الى دكان التاجر النشيط المهذب السيد ابن منصور مصطفى التلمساني ثم اجتمعنا بقاضي البلد العالم الماجد الهمام الشيخ بوخلوه آل بوعبد الله ، رجل شهامة وعمل وكرم ، واجتمعنا بالسيد المنور كلال رجل يتقد ذكاء ويفيض معرفة ويفوح أدباً ولطفاً ، وكنت مشتاقاً للاجتماع بالشيخ سيدي الحاج العربي التواتي وبلغني انه كان بغليزان ثم بلغني انه سمع بنا ورآنا ولم يشأ أن يجتمع بنا فعجبنا لذلك وأسفنا ثم زال عجبنا لما بلغنا ان في قلبه شيئاً على جمعية العلماء ، وقاها الله شر كل ذي شر ـ وقلنا ليته تنازل فاجتمع بنا فكنا لا نفترق ـ باذن الله تعالى ـ الا على محبة وخير ورجوع للحق ، ولهذا الأخ الشيخ العربي كتاب عندنا يعاتبنا فيه على دعوتنا للتوحيد ويخلط فيه بين دعاء المخلوق وطلب المؤمن الدعاء من أخيه ولعلنا نجد فرصة لنشر هذا الكتاب والتعليق عليه ، ووجدنا بغليزان السيد مهدي بن الشيخ بوعبد الله آل بوعبد الله في انتظارنا وهو شاب نجيب تلميذ بجامع الزيتونة فرافقنا الى تمام الرحلة بوهران ورأينا منه آداباً وأخلاقاً شريفة .. وزارنا في المنزل الأخ العالم الفاضل الشيخ محمد آل سيدي عدة

فأكد علينا في القدوم الى تيارت وقد كنت عازماً على الذهاب اليها من قبل واستدعانا الى النزول ضيوفاً عندهم فشكرنا له كرمه ولطفه ووعدناه بالقدوم اليهم • واستدعانا اخواننا المزابيون الى محلهم وأقاموا لنا احتفالاً حضره جميع أفرادهم واستدعوا بعض أعيان البلد فشاهدنا من أدبهم وكرمهم وحسن اقتبالهم لجمعية العلماء ما سرنا بهم كثير السرور وبلدة غليزان مثل بلدة الاصنام من ناحية التجارة بل أكثر ومثل مليانة من ناحية المعارف ، وقد اضافنا فيها فضيلة الشيخ القاضي والشيخ مولاي محمد •

مستغانم : قصدنا من المحطة الى مسجد الأخ الشيخ بلقاسم ابن حلوش لما بيننا من سابق المعرفة بالمكاتبة وروابط المودة المتأكدة ولأن ابنه الشيخ مصطفى أحد مريدينا ومن أعزهم علينا فتلقيانا بالحفاوة والسرور الزائدين وأنزلنا على الرحب والسعة ومن غده دعا للعشاء معنا أعيان البلد منهم فضيلة الشيخ المفتي سيدي عبد القادر بن قارة مصطفى وسماحة الشيخ سيدي أحمد بن عليوة شيخ الطريقة المشهورة وكان هذا أول تعرفنا بحضرتهما فكان اجتماعاً حافلاً بعدد كثير من الناس ، ولما انتهينا من العشاء القيت موعظة في المحبة والأخوة ولزوم التعاون والتفاهم على أساسهما وأن لا نجعل القليل مما نختلف فيه سبباً في قطع الكثير مما نتفق عليه ، وان الاختلاف بين العقلاء لا بد أن يكون ولكن الضار والممنوع المنع البات هو أن يؤدينا ذلك الاختلاف الى الافتراق وذكرنا الدواء الذي يقلل من الاختلاف ويعصم من الافتراق وهو تحكيم الصريح من كتاب الله والصحيح من سنة رسوله — صلى الله عليه وآله وسلم — • فاستحسن الشيوخ الحاضرون ذلك وحل من الجميع محل القبول ، والحق يقال ان أغلب الناس ممن رأينا صاروا يشعرون بألم الافتراق وينفرون منه ويصغون الى دعوة الوفاق والتحاب ، وما افترق المجلس حتى دعانا الشيخ سيدي أحمد بن عليوة

الى العشاء عنده والشيخ الحاج الاعرج بن الأحول شيخ الطريقة القادرية الى الغداء فلبينا دعوتهما شاكرين ، فكانت حفلة الغداء في دار الشيخ سيدي الحاج الأعرج ثم كانت حفلة العشاء عند الشيخ سيدي أحمد بن عليوة حضرها من أعيان البلد ومن تلامذة الشيخ ما يناهز المائة وبالغ الشيخ في الحفاوة والاكرام وقام على خدمة ضيوفه بنفسه فملأ القلوب والعيون وأطلق الألسنة بالشكر ، وبعد العشاء قرأ القارىء آيات ، ثم أخذ تلامذة الشيخ في انشاد قصائد من كلام الشيخ ابن الفارض بأصوات حسنة ترنحت لها الأجساد ، ودارت في أثناء ذلك مذاكرات أدبية في معاني بعض الأبيات زادت المجلس رونقاً . ومما شاهدته من أدب الشيخ مضيفنا واعجبت به انه لم يتعرض أصلاً لمسألة من محل الخلاف يوجب التعرض لها على أن أبدي رأيي وأدافع عنه فكانت محادثاتنا كلها في الكثير مما هو محل اتفاق دون القليل الذي هو محل خلاف . لكن السيد أحمد بن اسماعيل صاحب مخازن الاتاي — وكان جالساً على شمالي في المجلس — شاء أن يخرق هذا السياج ويدخل في موضوع ليس حضرته — وله الاحترام — من أهل الكلام فيه فقال : « هؤلاء المفسدون الذين يسمون أنفسهم مصلحين ينكرون الولاية » فرأيت في وجه الشيخ أحمد بن عليوة الانكار لهذا الكلام الخارج عن الدائرة ووجدت نفسي مضطراً للبيان فقلت له : « اسمع يا سيد أحمد الولاية الشرعية قد جاءت فيها آية صريحة قرآنية » وتلوت له قوله تعالى : « ألا انَّ أوْلِياءَ الله » الآية وتكلمت على شيء من معناها فمن أنكر هذه الولاية . فلفظة مفسد قليل في حقه وحقه أن يقال فيه ملحد . وأما لفظة مصلح فهي أعلى من هذا وأشرف من هذا كله ، وان المسألة ليست هنا وانما المهم هو ان جميع علماء الاسلام من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين وشيوخ الزهد المتقدمين تتسع صدورهم لأن يؤخذ

من كلامهم ويرد الا العامة المنتمين الى التصوف فانهم يأبون كل الاباء أن يسمعوا كلمة نقد أو رد في أحد من الشيوخ مع ان غير المعصوم معرض للخطأ دائماً في قوله وأفعاله فكأنهم بهذا يعتقدون فيهم العصمة. وقد سئل امام الطائفة الجنيد : أويزني الولي ؟ فأطرق ثم قال : « وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً » فهذا يدلنا على ماكان عليه شيوخ الزهد من تعليم الناس بأنهم غير معصومين دفعاً لغلو الغالين وعلى أن فكرة العصمة أو ما يقرب منها موجودة في الأذهان وهي مثار مثل هذا السؤال ، فلو ان اخواننا المنتمين للتصوف قبلوا أن يوزن كلام الشيوخ بميزان الكتاب والسنة مثل غيرهم من علماء الاسلام ورضوا بالرجوع الحقيقي لقوله تعالى : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ــ لبطل الخلاف أو قل » فرضي أهل المجلس هذا الكلام وسكت السيد أحمد بن اسماعيل وقال الشيخ سيدي أحمد هذا مما لا يخالف فيه أحد فقلت له مثلكم من يقول هذا وتكلم الشيخ المفتي بما فيه تأييد لما قلناه ثم عاد المجلس الى الانشاد والمذاكرات الأدبية حتى انتهت السهرة وانصرف المدعون ونحن من جملتهم شاكرين فضل حضرة الشيخ وأدبه ولطفه وعنايته كما شكرنا أدب تلامذته وعنايتهم بضيوف استاذهم وخصوصاً الشيخ عبده ابن تونس تلميذ الشيخ الخاص .

أهل مستغانم أهل ذكاء وحسن نية واقبال على العلم والشيخ مصطفى بن حلوش قائم في مسجده بالتعليم والارشاد للعامة بدروس ليلية وساع في تحصيل رخصة من الحكومة لتعليم الصغار . وقد أضافنا فيها الشيخ ابن حلوش ابو مثوانا والشيخ الحاج بن الاعرج والشيخ أحمد بن عليوة والسيد الجيلاني التدلوتي عائلة دين وفضل وعمل ، ولو اتسعت المدة لكنا تشرفنا بكثير غيرهم منهم صاحب الفضيلة

الشيخ المفتي العالم المطلع المنصف الذي كاد أن لا يسامحنا بالسفر في اليوم الذي عيناه .

في اليــوم الأول من وصولي قصدت الى دار الحكومة لزيارة السيد السوبريفي م ماصلو الذي كان كاتباً عاماً بدار العمالة بقسنطينة فلقينا ببشر ولطف وسأل عن أهل قسنطينة مما يدل على ما يحمله لهم من الذكر الجميل فأبلغناهم كذلك عواطفهم ودار الحديث على سبب الرحلة ومقصود الجمعية فكان مما قلنا له اننا نريد للمسلمين أن يبلغوا في المعارف والفلاحة والتجارة والصناعة الى مستوى اخوانهم الفرنسويين ليتعاون الجميع بقوى متكافئة على خدمة الجزائر تحت الراية الفرنسوية ويكونوا مثل جيرانهم اوادم[1] على الحقيقة وتكون حالتهم مناسبة لسمعة فرنسا ام الرقي والمدنية ثم انصرفنا من عنده شاكرين له ما رأينا منه من اقتبال .

زاوية الشيخ ابن طكوك : لـزاوية الشيخ ابن طكوك في مستغانم وكيل بلغه انني أرغب في الذهاب الى الزاوية للتعرف بأهلها وتعريفهم بالجمعية ومقاصدها فجاءنا بالسيارة الى المنزل فامتطيناها الى الزاوية في بوقرات فتلاقانا السيد الحاج مصطفى أحد الاخوة الثلاثة أصحاب الزاوية وشيخ الزاوية السيد عبد القادر كان غائباً وأخوه الشيخ محمد كان متمرضاً فأكرم نزلنا وبتنا ليلة وودعناهم في صبيحتنا ، وحدثناه عن الجمعية فأظهر ابتهاجه بها وقدم مائتي فرنك لإعانتها .

واحتفل بنا في مستغانم جماعة اخواننا الاباضية ولقينا منهم من الاكرام مثل ما كنا نلقاه دائماً منهم في رحلتنا[2] .

---

(١) كذا في الاصل .

(٢) ش : ج ١١ ، م ٧ ، ٦٦٣ – ٦٧١
غرة رجب ١٣٥٠ هـ – نوفمبر ١٩٣١ م .

في بعض جهات الوطن

- ٢ -

قرية آرزيو :

نزلنـا ضيوفاً على العـالم الأديب الشيخ أبو عبـد الله آل أبي عبـد الله ، عالم فصيح اللسان صحيح الادراك مستقيم الفكر مهيب الطلعة معترف له بالعلم والفضل ، وصادف قدومنا يوم الجمعة فصليناها خلفه وألقينا درساً اثرها وتوافد الناس علينا مساء من تلك النواحي فوسعهم كلهم كرم الشيخ أبي عبد الله وباتوا في ضيافته وقدم الينا فضيلته قصيدة بليغة في ذكر جمعية العلماء سنحلي بها بعض الأجزاء القـادمة .

وهران :

لمـا وصلنا وجدنا في انتظارنا جمعاً من أعيانها منهم فضيلة المفتي الشيخ الحبيب بوخالفة وفضيلة الشيخ الطيب المهـاجي وغيرهما ، وكانت حفلة الفطور في بيت آل المهاجي الكريم وكانت حفلة العشاء عند الجمعية الخيرية الاسلامية بمحلها وكانت حفلة حفلى دعيت اليها طبقات الناس وكنا يومنا الثاني في ضيافة الشيخ المفتي ، وكنا في كل حفلة من هذه الحفلات نلقي ما يسر الله من الوعظ والتذكير وخصوصاً في حفـلة الجمعية الخيرية وكان الذي افتتح الحفلة مرحباً بالضيوف بلسان الجمعية العالم الألمعي السلفي الشيخ الطيب المهاجي . ولقـد رأيت من أهل هذه العاصمة الغربية لقطرنا الجزائري تعطشاً للعـلم واقبالاً على سماعه ولقيت فيها نخبة الفضلاء ذوي المعارف المتعلمين

بالفرنسية على جانب من الدين والقوميـــة ، وما كان اليومان اللذان أقمناهما بتلك العاصمة الكبيرة ، ليكفيا في التعرف عليها وكمـــال الغرض من الاجتماع بفضلاء أهلها وقفلنا منها الى الجزائر العاصمة لنحضر اجتماع مجلس ادارة جمعية العلماء ، وقصصت على اخواني بالمجلس حديث رحلتي وما كان من نشر دعوة الجمعية وما كان من اقبال الناس عليها وما كان من شبه عرضت لبعض فيها فأزلناها لمـــا سألونا عنها[1] .

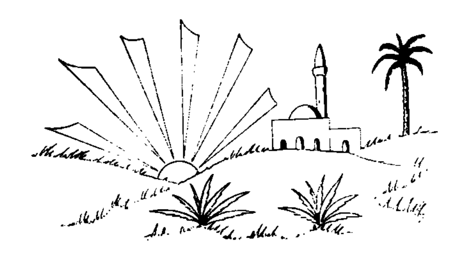

(١) ش : ج ١٢ ، م ٧ ، ص ٧٧٣ ــ ٧٧٤
غرة شعبان ١٣٥٠ هـ ــ ديسمبر ١٩٣١ م .

رحلتنا الى العمالة الوهرانية

باســم الجمعيــة

تمهيد :

لما كان مقصود الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية وكانت طريقة الوعظ والارشاد بالهداية القرآنية هي أنجع دواء لذلك عند المسلمين قررت أن ترسل أفراداً من أهل العلم بنواحي القطر للقيام بهذه المهمة العظيمة ورأت أن تبتدىء بالعمالة الوهرانية ، فكلفت هذا العاجز أن يقوم بذلك وأن يستعين في رحلته بكل من يكون في طريقه من أهل العلم فقبلت بذلك واستعنت بالله •

تاريخ بداية الرحلة ونهايتها :

سافرت من العاصمة يوم الاربعاء ٢٧ محرم وحللت بهـا صبيحة الثلاثاء ١ ربيع الاول •

البلدان التي زرتهـا :

المدية البرواقية ، قصر البخـاري ، الجلفة ، الأغواط ، آفلو ، سوقرتيارت ، فرنده ، معسكر سعيده البيض ، وهران ، سيدي بلعباس، تموشنت ، تلمسان ، مغنية ، الغزوات ، ندرومه ، آرزيو ، بريقو ، مستغانم ، زاوية الشيخ ابن طكوك ، غليزان •

ماذا كنت اقوم به في كل بلدة :

كنت أزور في الاكثر قبل كل شيء المسجد لأن البداءة به هي السنة ولألفت نظر الأمة الى حرمة المسجد وفضله وانه هو الأحق بأن يقصد

عند الملمات للوقوف بين يدي الله والحصول على أقرب أحوال العبد الى مولاه وهي السجود فان العامة فيما رأيت من كثير منهم يفزعون الى البناءات المضروبة على الأضرحة ويظهرون فيها من الخشوع والخضوع ما لا أراه منهم في بيوت الله ومن ذا الذي يسوي بيت الخالق ببيت المخلوقين لولا انتشار الجهل وكثرة الغفلة والسكوت عن الحق وقعود من لا يجوز لهم القعود عن التعليم والتبيين ثم ازور ممثل الحكومة في البلدة من بريفي أو سوبريفي أو متصرف ثم أزور ممثل الامة الفرنسية والعربية وهو المير اذا كان بالبلدة مير ثم ألقي الدرس العام في المسجد .

موضوع الدرس ومادته :

كانت الدروس كلها حثاً على الفضائل وتنفيراً من الرذائل وبياناً لحقائق الدين التي بمعرفتها يكمل الانسان في اسلامه وفي انسانيته ودعوة للتوحيد والاتحاد والاحسان الى جميع العباد وحثاً على التآلف والتعاون مع جميع السكان على اختلاف الاجناس والاديان ، وكانت مادة الدرس دائماً آية من كتاب الله مشفعة بحديث رسوله عليه وآله الصلاة والسلام ، وكنت بعد الدرس أعرف الناس بالجمعية ومقاصدها حسبما هو مبين في قانونها الأساسي ، وألخص لهم وصايا الجمعية في هذه الكلمات الثلاث : تعلموا ـ تحابوا ـ تسامحوا ـ وأشرحها لهم وأذكر لهم فوائدها ثم أبين لهم ان الجمعية للجميع وانها ليست ضداً لأحد لا للزوايا ولا لغيرها وان غرضها هو نشر العلم والفضيلة بين الجميع ثم أذكر لهم فضل الحكومة التي أذنت لهذه الجمعية وفضل رجالها الذين لاقينا منهم حسن المقابلة والتأييد .

الاشاعات الباطلة :

قد منيت هذه الجمعية بمن يحاربها بالباطل ويعرقلها بالافك ويستحل

في اذايتها العظائم فأشاعوا عنها كل اشاعة شنيعة ورموها بكل نقيصة ورذيلة حتى قالوا انها جمعيــة تنكر البعث والنشور دع ما هو دون ذلك ، ولكننا كنا ــ والحمد لله ــ لا نفرغ من الدرس العام حتى تنحل عقد الشيطان كلها ويقول الناس بلسان قالهم أو حالهم : « جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً » .

الاسئلة والاجوبة :

أكثر ما سئلنا عنــه بوجه عام هو التصوف والولاية والــكرامة والتوسل فكنا نجيب بأن ما كان من باب تزكية النفس وتقويم الأخلاق والتحقق بالعبادة والاخلاص فيها فهو التصوف المقبول وكلام أئمته فيه ككلام سائر أئمة الاسلام في علوم الاسلام لا بد من بنائه على الدلائل الصحيحة من الكتاب والسنة ولا بد من الرجوع عند التنازع فيه اليهما وكنت أذكر ما يوافق هــذا من كلام أئمة الزهد المتقدمين كالجنيد واضرابه ، وكنــا نجيب بأن الولاية من الايمان فأكمل النــاس ايماناً أكملهم ولاية وان الكرامة حق بحقيقتها وشروطها المذكورة في كتب الأئمة وان تحققها هو المتوقف على وجود الصلاح الشرعي فيمن ظهرت على يده لا ان تحقيق الصلاح متوقف عليها وكنا نجيب بأن الدعاء هو العبادة وانه مخ العبادة كما جاء في الحديث الاول عند أصحاب السنن وأحمد من حديث النعمان بن بشير والثاني عند الترمذي من حديث أنس وكل عبادة لا تكون الا لله فالدعاء لا يكون الا لله فلا يدعى غير الله ولا يدعى أحد مع الله ولكن يجوز أن تدعو الله وتتوسل اليه برسول الله عليه وآله الصلاة والسلام كما في حديث الاعمى الذي كنا كتبنا عليه في جزء مضى من الشهاب .

طريقتان في الموضوع :

الاولى : من العجيب ان بعض أهل العلم أبى أن يسلم ان الدعاء

هو العبادة رغم انه صريح الحديث مع ان أهل المجلس من غير أهل العلم أدركوا بفطرتهم العربية ما في لفظ الحديث من البيان الصريح وان لم يعرفوا كيف يعبرون عن الحصر وطرقه فزادني هذا يقينا بما كنت أقوله كثيراً في دروسي ومجالسي : من نعمة الله عليكم أيها الجزائريون[1] انكم تنطقون بالعربية وان أساليبها لا تزال مستعملة في ألسنتكم فهذا مما يقربكم من فهم كلام الله وكلام رسوله عليه وآله الصلاة والسلام ، فيسهل عليكم الاهتداء بالكتاب والسنة .

الثانية : ان أحد الشيوخ المنتمين الى الطريق لما سمعني استدل بكلام الجنيد على لزوم وزن الأعمال والاقوال والاحوال والفهوم بالكتاب والسنة قال لي : « وما الجنيد الا واحد من الناس » وما صار الجنيد واحداً من الناس الا يوم استدللت بكلامه ومن العجيب ان هذا الذي يقول هذا ليرد ما ذكرته من كلام الجنيد الذي هو ثابت في نفسه بأدلته من كلام الله وكلام رسوله ـ يريد أن يثبت التصوف في الكون للمخلوقات حتى في قفزة الهر على الفار مستنداً في ذلك الى كلام رجل لا مستند له من كتاب ولا سنة وينسى أن يقول فيه انه واحد من الناس ، وبعد هذا فأنا غير آيس من مثل الأخ الأول والأخ الثاني أن تكون مذاكرتنا معهما منبهة لهما على لزوم فهم الدين بفهم الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح من الأئمة وفهم كلام العرب وأساليب العربية فمثلهم من اعتنى بذلك واهتدى به ودعا اليه .

مظاهر الاتحاد :

كنا اذا حللنا بلدة فيها من اخواننا الميزابيين يهرعون الينا مثل بقية اخوانهم من أهل البلدة وفي بعض البلدان تسبق ضيافتهم ضيافة غيرهم ثم تجد الضيافة عندهم تشمل أهل البلدة وأعيانها وتجد الضيافة عند

(١) في الاصل (الجزائريين) .

غيرهم تشملهم كذلك فتشاهد في مجامع الكرم أبناء الاسلام ترفرف على رؤوسهم روح الأخوة والاتحاد ، هذا بين المسلمين ، ثم اننا في أكثر البلدان أجد النواب المسلمين مع مير البلدة في غاية الوئام والمودة وكثيراً ما حضر معنا أفراد من الفرنسيين واليهود في مجالس القهوة والشاهي وبعض الضيافات فنرى مصافاة واتحاداً ، ولا شك ان ما كنا نقوله في مجالسنا ودروسنا مما يزيد ذلك الاتحاد قوة ومتانة .

تعلق الامة بحكومتها :

ارتباط الجزائر بفرنسا اليوم صار من الامور الضرورية عند جميع الطبقات فلا يفكر الناس اليوم الا في الدائرة الفرنسية ولا يعلقون آمالهم الا على فرنسا مثل سائر أبنائها ورغبتهم الوحيدة كلهم هي أن يكونوا مثل جميع أبناء الراية المثلثة في الحقوق كما هم مثلهم في الواجبات وهم الى هذا كله يشعرون بما يأتيهم من دولتهم مما يشكرونه ومما قد ينتقدونه وقد كنا نؤكد لهم هذا التعلق ونبين لهم فوائده ونبين لهم في المناسبات ان فرنسا العظيمة لا بد أن تعطيهم يوماً — ولا يكون بعيداً — جميع ما لهم من حقوق وكنا لا نرى منهم لهذا الا قبولا حسنا وآمالاً طيبة .

كرم الامة واقبالها :

لقد كان تنازع الناس على ضيافتنا كتزاحمهم على دروسنا ومجالسنا وكان تسارعهم الى اكرامنا يضاهي تسارعهم الى مقابلتنا وقد كان أكثر البلدان يتلقانا أهلها قبل الوصول اليها ويشيعونا[1] الى البلدة التي تليها فلله هذه الامة المسلمة العربية في تعظيمها للعلم واكرامها للضيف تراثاً جليلا حافظت عليه أجيالا وأحقاباً ، وان أمة تحافظ على

(١) كذا في الاصل والصحيح (وشيعوننا) .

أخلاقها الكريمة وسجاياها الموروثة مثل هذه المحافظة لجذيرة بالمدح والثناء حقيقة بالخلود والبقاء خليقة بالخدمة والاعتناء •

فضل الحكومة ورجالها :

العلم والفضيلة هما كل ما يحتاج اليه الانسان في كماله وسعادته وهما كل ماترمي اليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بسعيها ، فللحكومة الفضل العظيم بفتحها السبل لهذه الجمعية حتى تتوصل الى نشرهما باتصال رجالها من أهل العلم بالامة في مساجدهم ومجامعهم وحيثما كانوا فللحكومة في هذا من الفضل بقدر ما فيه للأمة من النفع ولقد كان رجال الحكومة الذين لقيناهم في جميع البلدان يلاقوننا بمزيد الاكرام ويزودوننا بعبارات التأييد والتنشيط ويقول لنا الكثير منهم اننا مستعدون لمساعدتكم في كل ما تريدونه بدائرتنا ولا شك انهم يتكلمون بلسان الحكومة ويعربون عن نياتها ومقاصدها ، وأي مقصد أشرف وأي نية أنفع من تعاون الحكومة من العلماء لتهذيب الامة وتعليمها هذا أعظم ما قامت به فرنسا في أول القرن الثاني نحو أبنائها المسلمين الجزائريين الذين كانوا معها في جميع المواقف مواقف الحياة ومواقف الموت •

فضل الصحافة العربية والفرنسية :

كانت الصحف الفرنسوية تتبع رحلتنا وتنشر الفصول عنها وتذكر الجمعية بكل تعظيم وتبجيل مثل ما كانت تفعله مع أكبر جمعية فرنسوية ورئيسها فبرهنت على ان الفكر العام الفرنسي يقدر للمسلمين مشاريعهم ويساعدهم عليها ويرد لهم الرقي والتقدم ، وقد كانت الصحافة العربية النجاح والنور والمرصاد قامت بواجبها نحو قومها وملتها فلجميع الرصيفات الفرنسية والعربية شكر الامة والوطن وشكر الجمعية والعلم • واذا كانت ثم صحيفة واحدة شذت عن الجميع فاننا نقابلها بالمسامحة

والتجاوز لأننا نرى واجباً على من وقف نفسه لخدمة امة أن يتلقى بالقبول كل ما يأتيه منها من مدح أو قدح من حق أو باطل ، من عقل أو غيره ويستعمل ميزان عقله ويستعين بأهل الرأي من المخلصين معه في قبول ما يجب من أي ناحية جاء ورد ما يجب رده من أي شخص كان فللرصيفات كلها ـ اذاً جميل الشكر والاكرام •

فضل الرفاق علينا :

رافقني من بداية الرحلة الى آخرها ابننا الشيخ محمد الصادق الجندلي ومن معسكر الى غليزان الشيخ عبد القادر آل زيان ومن معسكر الى آرزيو الأديب الكبير الشيخ السعيد الزاهري ومن وهران الى غليزان العالم النفاع الشيخ عبد القادر المهاجي ومن أرزيو الى باريقو العالم الجليل الشيخ أبو عبد الله البو عبدلي ومن سيق الى تموشنت ثم أرزيو الشيخ فرحات الليشاني ومن تلمسان الى ارزيو الشريف الغطريف الشيخ مولاي علي الحسني وغيرهم ممن رافقنا في بعض الطريق وقد كانوا كلهم الرفقة الكريمة الموفقة نسينا بهم الاهل والمقر واستطبنا معهم عناء السفر فجازاهم الله أحسن ما جازى رفيقاً عن رفيقه وصديقاً عن صديقه •

خدماتنا بهذه الرحلة :

قد خدمنا الامة الاسلامية بما دعوناها اليه من علم وفضيلة ومحبة وتسامح وما عرضناه على اسماعها من علوم القرآن وهدايته وما رغبناها فيه من قراءته وتفهمه والعمل به وخدمنا المسلمين وغيرهم بما دعونا اليه من اتحاد وتعاون وتراحم وتفاهم والتزام للأمن والنظام واحترام للقوانين الدولية وأوامر الحكام ، وخدمنا الحكومة بما نوهنا به من فضلها بفتح باب العلم بما أذنت به من تأسيس هذه الجمعية وما أذنت به من فتح مكاتب عربية وما سهلت من سبيل لاتصال علماء

الامة ومرشديها بهـا لوعظها وارشادها وخدمنا الجمعية بما بينا من أغراضها وما دفعنا من الاشاعات الباطلة عنها وما قربنا من منزلتها وما رفعنا من قدرها في قلوب الامة وحكومتها •

حاصل ما تيقنته من هذه الرحلة : أولا : استعداد الامة لكل خير • ثانيا : مساعدة الحكومة عليه • ثالثا : تمركز الجمعية عندهما وثقتهما بهـا •

هذا كلام موجز على الرحلة على وجه العموم ، وسنتكلم — ان شاء الله تعالى — في الجزء الآتي على البلدان التي زرناها بالتفصيل •

دفع توهم :

الاسلام يدعو الى النظام وينهي عن الفوضى فلا بد للمسلمين من التزام القوانين الدولية التي بها حفظ النظام وصلاح المجتمع والضرب على أيدي المجرمين تقول هذا وندعو اليه دفعاً لما توهم من بعض مانشر في جزء ماضي — على انه عند صادق التأمل لا يبقى وجه للتوهم[١] •

عبد الحميد بن باديس

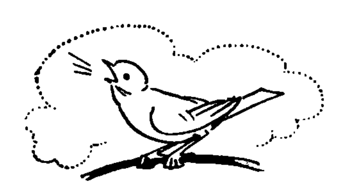

(١) ش : جـ ٨ ، م ٨ ، ص ٤٠١ — ٤٠٩
غرة ربيع الاول ١٣٥١ هـ — اوت ١٩٣٢ م •

في تونس العزيزة

حقاً ان لتونس هوى روحياً بقلبي لا يضارعه الا هوى تلمسان أعرف ذلك من انشراح في الصدر ، ونشاط في الفكر ، وغبطة في القلب ، لا أجد مثلها الا في ربوعهما . ومن نعم الله عليّ في العهد القريب أن يسر لي التردد بين الخضراء والبهجة مرتين ، وقد كانت أخراهما في تونس ذات مظهر ممتاز ومغزى سام .

حللت بتونس في منتصف أشرف ربيعي العام لاحضر حفلة الذكرى التي أقيمت للرجل العظيم السيد البشير صفر رحمه الله ، وكنت ممن تشرفوا فيها بالخطابة ثم دعتني جمعية التلامذة الجزائريين الزيتونيين والجمعية الودادية الجزائرية بتونس الى الخطابة فما وسعني الا الإجابة وحظيت بلقاء الكثيرين من رجال العلم والادب والسياسة ورجال الاعمال والعمال ، من كل من كانت تونس بهم وبأمثالهم عروس الشمال الافريقي وواسطة عقد وحدته وقد كانت من الأمة التونسية الكريمة وصحافتهما وبعض الصحافة الفرنسية عناية ظاهرة بما كان ظاهرا من مقاصد الرحلة ، وقد رغب اليّ بعض الإخوان أن أنشر عليهم ما ألقيته في الخطبة الأولى والثانية فاعتذرت عن نفس النص لأنني لم ألقهما الا ارتجالا ولكنني رجعت الى ما نشرته منهما وعنهما بعض الرصيفات الكريمة فأثبته هنا تخليداً له ــ لما اشتمل عليه من مبدأ وغاية ــ في هذه المجلة التي ما أسست الا على ذلك المبدأ ولتلك الغاية .

قالت (النهضة) الناهضة :

« ثم تلاه ضيف تونس الاستاذ ابن باديس الذي وفد خصيصاً

صورة منصة الاحتفال باحياء ذكرى البشير صفر بتونس

من القطر الجزائري الشقيق ليحضر هذه الحفلة وألقى خطاباً ارتجالياً بفصاحة نادرة وامتلاك لناصية الموضوع أثر كثيراً على الحاضرين وهز مشاعرهم وذكرهم ببعض خصال الفقيد المحتفل بذكراه لان الخطيب هو من تلاميذه المعترفين بفضله والمقرين بجميله الذي لا يزول وبعد هذا الخطاب الذي قوبل بعاصفة من الهتاف الحار جاء دور شيخ الادباء الاستاذ الشيخ العربي الكبادي » .

قالت (الزهرة) الزاهرة :

« وأحيلت الكلمة الى حضرة الاستاذ الجليل والمصلح الكبير فضيلة الشيخ السيد عبد الحميد بن باديس (ممثل الجزائر) فتقدم وارتجل خطاباً فياضاً بالشعور الاسلامي الصميم والعاطفة الافريقية السامية .

افتتحه بحمد الله والصلاة والسلام على نبيه ورسوله ومصطفاه وآله وصحبه ومن والاه • ثم قال :

أيها الاخوان الكرام

أيتها الاخوات الكرائم :

أرجو أن تعتبروني جندياً من جنود الإسلام والعروبة في القطر الجزائري لا أكثر ولا أقل واني أحمل تحيات الأمة الجزائرية الى شقيقتها الأمة التونسية ومشاركة الجزائر لتونس في هذه الذكرى الطيبة وهذا الحفل الكريم ، كما أقدم مشاركتي الخاصة •

وان الروابط عديدة بين تونس والجزائر ، بل بين المغرب العربي بصفة عامة : طرابلس ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب الاقصى ، كالروابط العلمية والروابط السياسية التي ذاقت بها هذه الاقطار حلاوة الاستقلال تحت ظل الإسلام والتاريخ يشهد بذلك •

وأنا شخصياً أصرح بأن كراريس البشير صفر الصغيرة الحجم الغزيرة العلم هي التي كان لها الفضل في اطلاعي على تاريخ أمتي وقومي والتي زرعت في صدري هذه الروح التي انتهت بي اليوم لأن أكون جندياً من جنود الجزائر •

وهذه الذكرى التي تقام اليوم انما هي تقام لرجل واحد كان سبباً في حياة أمة والقصد منها هو اعتراف بالجميل وهو من أعظم مظاهر الكمال الانساني والشكر كما لا يخفاكم سبب في المزيد عند الله عز وجل ، وعند عباده •

وطالما وصفت الأمم الشرقية بكفران النعم ، وعدم تقديرها لعظمائها• وها نحن نقيم الدليل بهذه الذكرى وأمثالها على أننا من الشاكرين للنعم لا الكافرين بها !

ثم أخذ الاستاذ ابن باديس بعد هذه المقدمة المفيدة في ذكر نواحي الفقيد المحتفل بذكراه فقال : ان لهذا السيد العظيم البشير صفر نواحي ثلاثا جديرة بالتنويه أذكرها لكم فيما يلي :

أولا ـ انه رجل بنى ما أخذه من العلوم باللغات الاجنبية على ثقافة اسلامية عربية ، وبذلك استطاع أن يخدم أمته وأن يحتل قلبها .

ثانيا ـ ان هذا الرجل لما تخرج من الصادقية ورجع بما رجع به من الديار الباريسية من العلم عرض عليه الوظيف فأباه ..... ولم يقبله حتى أشار عليه بقبوله الوزير المرحوم السيد العزيز بو عتور فقبل اذ ذاك الوظيف وجعله آلة لنفع امته لا آلة لاشباع معدته .

ثالثا ـ انه دخل الوظيف فلم يكن الوظيف له سجنا أو قفصا أو قيدا ـ كما قد يقصد به ـ اذ الوظيف لا يكون الا[1] بمثابة السجن والقيد الا للصغار من الناس لا لعظماء الرجال . فلقد أدى السيد البشير صفر ـ وهو في الوظيف ـ للصحافة والفلاحة والمعارف أجل الخدمات.

فهذه هي نواحي الكمال الثلاث التي يمجد بها الرجل . لكنه لما دخل العمل المخزني قصر في العمل ، ولعله كان معذورا وقد عذرته الأمة.

وختم الاستاذ عبد الحميد بن باديس خطابه الارتجالي البليغ ببسطة عن مشاركة المرحوم الشيخ النخلي للفقيد في تشييد النهضة العلمية المباركة ومقاومة الركود والجمود وقال : هذان الرجلان العظيمان نقدمهما لأبنائنا لينحوا نحوهم ويقتفوا أثرهم لنصل الى سعادة البشرية كلها لا سعادة الشمال الافريقي أو تونس فقط .

والسلام عليكم ورحمة الله .

---

(١) كذا في الاصل ويمكن أن يكون التعبير : لا يكون بمثابة السجن والقيد الا للصغار .

وبأثر انتهاء خطاب الشيخ السيد عبد الحميد بن باديس الذي قوبل وقوطع بعواطف متوالية من تصفيق الاستحسان »[1] .

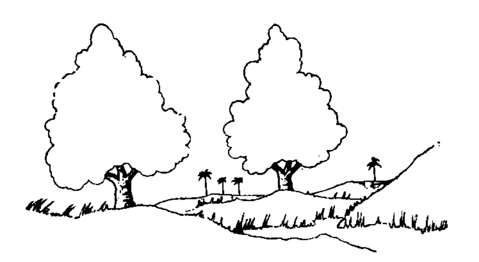

(١) كذا في الاصل والجملة غير تامة .

ش : جـ ٥ ، م ١٣ ، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٨
غرة جمادى الاولى ١٣٥٦ هـ ـ جوليت ١٩٣٧ م .

محاضرة الاستاذ عبد الحميد بن باديس :

الحركـــة العلميـــة والسيـــاسيـــة

في القطر الجزائري الشقيق

لمندوبنا الخاص
(نقــلا عن جريدة (الزهرة)
الغراء عدد ٢١و٢٢ ربيع الاول)

عشية يوم السبت قام حضرة ضيف تونس الكريم الزعيم الاسلامي العظيم الاستاذ الكبير الشيخ السيد «عبد الحميد بن باديس» بمحاضرة فائقة بقصر الجمعيات الفرنسية تحت اشراف كل من جمعية الطلبـــة الجزائريين بتونس والجمعية الودادية الجزائريه الاسلامية بتونس •

وقد وقع اقبال عظيم جداً على سماع هذه المحاضرة الكبرى • وكان الاستاذ ابن باديس يتوسط المسرح وعن يمينه حضرة العـــالم الفاضل الشيخ السيد الشاذلي بن القاضي صاحب رصيفتنا (المجلــة الزيتونية) الفيحاء والسري الامثل السيد حسان بو جدرة •

كما كان عن يسار الاستاذ المحاضر رئيسا الجمعيتين المذكورتـــين السيدان الشاذلي المكي ، وقلش الورين •

وقبل أن يشرع الاستاذ المحاضر في الكلام قام الاديب السيـــد الشاذلي المكي وارتجل كلمات لطيفة قال فيها : ان الشيخ ابن باديس لا يحتاج لتقديم اذ هو أشهر من أن يترجم له أو يقدم •

وقد افتتح الاستاذ محاضرته بحمد الله والصلاة على الرسول الكريم،

وذكر ان هاتين الجمعيتين قد طلبتا منه القيام بهذه المحاضرة ــ وهو يشعر بتعب ــ ولكنه لم يسعه الا تلبية دعوة الجمعيتين اذ هما لسان الشباب ومن الواجب تلبية نداء الشباب الذي هو نتيجة الماضي وزهرة الحاضر وآمال المستقبل وعدة الحياة .

ثم قال الاستاذ : ان الجمعيتين اختارتا أن يكون الكلام عن الجزائر، وأنا أحب أن يكون الحديث عن عموم المغرب العربي لاني أؤمن بأن هذا الشمال الافريقي لا ينهض الا بتضامنه مع بعضه بعضا . لكن اذا تحدثت عن الجزائر فانما أتحدث عن جزء من كل وأذكر عن الاخ ما يسر اخوانه .

وكلامنا اليوم عن العلم والسياسة معاً وقد يرى بعضهم أن هذا الباب صعب الدخول لانهم تعودوا من العلماء الاقتصار على العلم والابتعاد عن مسالك السياسة . مع انه لا بد لنا من الجمع بين السياسة والعلم ، ولا ينهض العلم والدين حق النهوض الا اذا نهضت السياسة بجده.

واني أحدثكم لا بصفتي رئيساً لجمعية العلماء الجزائريين تلك الجمعية الدينية المحضة التي لا دخل لها في السياسة ، وانما أحدثكم اليوم بصفتي شخصا خدم الصحافة ١٢ عاما وخدم العلم ٢٥ سنة فباسمي الخاص فقط أتكلم .

ثم بيّن الاستاذ المحاضر ان الجزائر لم تقصر عن اخواتها بلاد الشمال الافريقي وأشار الى أن عواصمها الزاهرة شاهدة بذلك ، كما أشار الى العهد القريب أيام كان أبناء الجزائر يتولون أعلى المناصب مع الاتراك وعرج على نبغاء الجزائر وبين انهم منتشرون ــ في الماضي والحاضر ــ في أرضها وفي الشمال الافريقي وفي بلاد الشرق .

وبعد أن أنهى الاستاذ بسط مقدمته المحكمة وعرج بالثناء الجزيل على الزعيم الكبير الاستاذ عبد العزيز الثعالبي وبين انه ليس بزعيم

تونسي فحسب بل هو زعيم عالمي • شرع في التحدث عن النقطة الاولى من محاضرته فقال مرتجلا :

الحالة العلمية :

العلوم في الجزائر كما أظنها في غيرها ، منها علوم تؤخذ باللسان العربي وهي علوم الدين واللسان ، ومنها علوم تؤخذ باللسان الاجنبي وهي علوم الاكوان والعمران •

وقد كان الذين يزاولون العلوم الاولى على جمود تام كما كان الذين يزاولون العلوم الثانية على تيه وضلال • فهؤلاء يعتبرون الآخرين أحجاراً ••• وأولئك يعتبرون هؤلاء كفاراً •••

هكذا كانت الجزائر في الحركة العلمية الى ان مرت عليها مائة عام وانشئت جمعية العلماء الجزائريين فتولت افهام كل طرف قيمة الطرف الآخر وبينت للجميع انهم مهما نطقوا بأي لسان فهم من الجزائر والى الجزائر ولا تنهض الجزائر الا بهم ولا ينهضون الا بها •

ولقد وضعت هذه الجمعية برنامجا صالحا لتعليم الصغار اللسان العربي وتكميل معلومات من تعلموا باللسان الاجنبي كما خصصت دروسا للكبار •

ولكن ما كادت هذه الجمعية تخطو خطوتها حتى تنكرت لها الحكومة وأقيمت أمامها العراقيل حتى من طرف بعض المسلمين فأوذيت وصودمت وأصبحت حديث الجرائد الكبرى الفرنسية حتى اليوم ولكن الجمعية كانت تقابل هذه المقاومات بالثبات العظيم • وقد تأسست رغم تلك المقاومات المدارس وفتحت الاندية لالقاء المحاضرات وزرعت نواة الكلية وما زالت البعثات العلمية تتكون وتتوالى الى جامع الزيتونة المعمور •

والخلاصة ان الحالة العلمية بالجزائر اليوم هي علم مبني على روح اسلامية عربية لا يمكن أن يقاومها مقاوم أو يعارضها معارض ولا يمكن للظلم أن يقف في طريقها !

الحالة السياسية :

كانت مطالب الجزائر قبل انعقاد المؤتمر الجزائري الشهير مطالب متفرقة يقوم بها أفراد موزعون •

ولما تأسس المؤتمر الجزائري في السنة الفارطة توجهت الامة بمطالب عامة ــ سياسية ، اقتصادية ، علمية ، عربية قومية ــ ومطالب الجزائر لا تزال في حيز الانتظار الى الان كما لا تزال مطالب تونس في حيز الانتظار • ورحم الله من قال :

ونحن في الشرق والفصحى ذوو رحم
ونحن في الجرح والآلام اخوان

وقد حدث شيء بعد ذلك وهو مشروع فيوليت الذي هو شيء واحد من المطالب التي قدمناها وهو يعطى حق الانتخاب لعشرين ألف وبضعة آلاف وحق التصوت في جملة الفرنسويين •

ولقد صعب تنفيذ هذا المشروع لما اشترطه المؤتمر من المحافظة على الصفة الشخصية الاسلامية العربية ، وها هو الآن في مهب الريح يمكن أن يتم ويمكن أن لا يتم •

ومسيو فيوليت رجل فرنسي قبل كل شيء ، رأى من مصلحة فرنسا أن يقرب اليها الجزائريين ووجد برنامجه للمعارضة من طرف الكولون المعمرين لانهم تأبى نفوسهم أن نجتمع معهم على مائدة واحدة فكيف يرضون أن نجتمع بهم في البرلمان ؟ كما انهم لما رأوا ان المؤتمر وضع

ثقته في الواجهة الشعبية خافوا أن يصير نواب الجزائر كلهم من أنصار الواجهة الشعبية .

وقد قبلت أكثرية الامة مشروع فيوليت بالشرط المذكور وباعتباره أقل المطالب ، أما الأقلية فقد أبت قبوله تماماً لانها تخشى بعض الألاعيب التي لا تدري متى تكون .

ونحن نحترم رأي هذه الأقلية ونؤمل بقاءها على رأيها ، وهي تطالب بالاستقلال وأي انسان يا سادة لا يحب الاستقلال ؟ ان البهيمة تحن الى الاستقلال الذي هو أمر طبيعي في وضعية الامم .

أما موقف الحكومة التي أعطيناها ثقتنا من أول يوم فهو موقف التريث والتردد ، تشاهد المعارضة من الرجعيين أصحاب المال الأقوياء ، ونشاهد مطالب الجزائريين الضعفاء فتارة تعد كما قال م. فيانو وتارة تتوعد كما قال م. أوبو الذي يقول اذا أردنا الاحتفاظ على الشمال الافريقي فلنحافظ على القوة وقد أخطأ في ذلك ، ولو كانت الحكومة تقبل نصيحتي كانسان لنصحتها باستعمال الاحسان ، الذي يمكنها به المحافظة على صداقة هذا الشمال الافريقي .

والخلاصة اننا قلنا نحن لنا ثقة في الواجهة الشعبية ولا زلنا نقول ذلك ، وقلنا ننتظر وها نحن ننتظر ، ولكن للانتظار حد محدود ، واذا خاب أمل الأمة الجزائرية فانها لا تخيب وحدها بل تخيب معها فرنسا أيضا .

وختم الاستاذ عبد الحميد بن باديس محاضرته الكبرى بقصيدة من شعره البليغ مطلعها :

شعب الجزائر مسلم — والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله — أو قال مات لقد كذب
أو رام إدماجا له — رام المحال من الطلب

ومنهـــا :

من كـــان يبغــي ودنا ... فعلى الكرامة والرحب
أو كـــان يبغي ذلنــــا ... فلــه المهــانة والعطب

وقد ختمها بهذا البيت الرائع :

فاذا هلكت فصيحتي : ... تحيا الجزائر والعرب !

وقد قوبلت المحاضرة والقصيدة بعواصف من التصفيق والهتاف •

وما كاد الاستاذ المحاضر ينتهي من كلامه حتى وقف الشاب الاديب السيد الشاذلي المكي رئيس جمعية الطلبة الجزائريين بتونس وقال : لئن أعتاد الخطباء شكر المحاضرين بعد انتهائهم من محاضراتهم فانا قـــد اعتدت بأثر كل محاضرة لأستاذي العزيز الشيخ عبد الحميد بن باديس ان أضع على جبينه قبلة حارة •

ثم تقدم وقبله باسم الطلبة الجزائريين فقام الاستاذ الطيب بن عيسى وطلب منه أن يقبله مرة ثانية باسم التونسيين فكان ذلك ودوت القاعة بالتصفيق والهتاف المتواليين •

وبأثر ذلك وقف حضرة العالم الفاضل الاستاذ الشيخ السيدالشاذلي بن القاضي المدرس بالجامع الاعظم دام عمرانه وصاحب رصيفتنا (المجلة الزيتونية) الغراء وارتجلخطابا قيما قدم فيه خالص الشكر للاستاذ ابن باديس بالنيابة عن الزيتونيين وأثنى على هذا المصلح الكبير والزعيم الاسلامي العظيم الذي تتمثل فيه الناحيتان العلمية والسياسية ، وقال في هذا الصدد ان الجزائر اذا اعتمدت اليوم فانما تعتمد على هذا الشيخ الجليل • ثم قال الاستاذ بن القاضي :

ونحن ان شاء الله مقتفون خطوات هذا الاستاذ في خدمة العروبة

والاسلام ، واذا قال الاستاذ ان العلم يجب أن ترافقه السياسة ، فـانا نقول ان لنا علماء ضربوا في الحركة السياسيه بسهم مصيب •

وأذكركم بأن أول كلمة صدرت في بنـاء الدستور كان مصدرها العالم الكبير الاستاذ الشيخ السيد الصادق النيفر •

وختم خطابه بقوله : فتونس تحيا بحياة رجالها وحيـاة معهدها أدام الله لها رجالها وأدام لها معهدها[1] •

(١) البصائر : السنة الثانية العدد ٧١ الجمعة ٩ ربيع الثاني ١٣٥٦ هـ ١٨ جوان ١٩٣٧ م • ص ٤ ، ع ١ و ٢ و ٣ و ص ٥ ، ع ١ و ٢ •

الشيخ عبد الحميد بن باديس في قالمة

يوم الخميس ٢٩/١/٥٧ و ٣١/٣/٣٨ على الساعة العاشرة صباحا نزل بقالمة فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قادما من قسنطينة الى قالمة بقطار الضحى اجابة لدعوة أهل المدينة .

وقد تلقاه بالمحطة عند النزول بعض أعيان المدينة وطلبتها ، وبعد التحية والترحيب بفضيلته توجه الجميع الى مركز شعبة الجمعية حيث تقرر على أثر الوصول برنامج أعمال الرئيس التي قدم خصيصا لها في ذلك اليوم وليلته المقبلة .

ونظراً لضيق حجم هذه الجريدة وكثرة موادها فاني أستسمح القراء الكرام ان أغفلت وصف مهرجانات الاحتفاء والاحتفال بقدوم الرئيس العظيم الاستاذ ابن باديس الى قالمة واكرامهم مثواه فقد كان اقتبال أهل قالمة له وسرورهم به بالغا الغاية وكان لما أسدى اليهم اليوم من نصائح وارشادات قيمة في محاضرته ودرسه الجامعين المانعين الاثر الحميد في نفوسهم ، والى القراء الافاضل خلاصة المقصود من زيارة الاستاذ الى قالمة وما عمله بها .

ان القصد من زيارة الاستاذ ابن باديس قالمة اليوم — وفق رغبة سكانها المسلمين — هو حث عامة هذه النواحي على التآخي والتعاون على الخير ونصرة المشاريع الاسلامية النافعة والتضامن في كل ما يهم المسلمين ونبذ كل خلاف ينسيهم روابط الاخوة الاسلامية التي جمعهم الله بها على الهدى والحق وأن يعلموا حق العلم ان لا حزبية بينهم ازاء

القضايا العامة والمشاريع الهامة التي هم مسؤولون أمام الله ورسولـه والناس أجمعين عن حقها عليهم وما حقها عليهم سوى تعاونهم عـلى احيائها تعاونا مستمدا من وحي الضمير !

بعد ظهر اليوم المذكور نادى مناد في المدينة ان الاستاذ ابن باديس يلقي محاضرة بفسحة السينما بعد صلاة العصر ، وما أزفت الساعة المعينة حتى اكتظت ردهة المحل وشغلت جميع كراسيه بالوافدين الذين من بينهم من جاءوا من أماكن بعيدة لسماع محاضرة الاستاذ وعلى أثر ذلك صعد فضيلته منصة الخطابة وشرع يمتع السامعين بما تهفو اليه أرواحهم وتنجذب اليه عواطفهم وتستعذبه مشاعرهم من خالص النصح وسديد الارشاد وبديع الخطاب .

بدأ الاستاذ محاضرته بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ثم تطرق الى التحدث الى سامعيه عن محاسن الاسلام التي تجل عن الوصف فأبان لهم ما يجب عليهم للمحافظة على الاسلام الثمين وكتابه الإلهي ذي اللسان العربي المبين . بيانا هو الشمس وضوحا والحق نوراً فقال :

ان هذا الاسلام هو رحمة من الله لبني آدم فانظروا رحمكم الله قوله تعالى : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰن الرَّحِيم الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ الرَّحْمٰن الرَّحِيم » كيف كرر الله عز وجل لفظ الرحمة أربع مرات في موطن واحد ولم يقل لنا « القهار الجبار » مع انه عز وجل قهار جبار كل ذلك لنستشعر سعة رحمة الله بخلقه ، فاذا كان رب الناس الذي هو المالك لهم على الحقيقة يعامل عباده بمقتضى هذه الرحمة التي وسعت كل شيء فأحرى أن يتخلق عباده باخلاقه وتظهر عليهم آثار هذه الاخلاق في معاملة بعضهم لبعض وقد قال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : **« من لا يَرحم لا يُرحم »** .

ثم ان الاسلام بقدر ما فيه من رحمة للبشرية ورأفة واحترام لهـا فهو يمقت الظلم والجبروت والطغيان أشد المقت ويندد بالمتصفين بهذه الصفات من العباد أمر تنديد فهو لا ربوبية فيه لاحد على أحد ، لا ربوبية بالمال ولا ربوبية بالعلم ولا ربوبية باسم الدين بل الربوبية الحقيقية هي لرب العالمين وحده على عباده ، وهذا هو السر في سرعة انتشار الاسلام في جل أقسام المعمورة في مدة ٢٥ عاما ، وبفضل هذا الاسلام ، أيها السادة اهتدى أوائلنا العظام واهتدينا نحن ! لما تضمنته مبادئه السامية من رحمة وسماحة وعدل يغبط عليه ، نعم بفضل هذه الخصال الكريمة ونظائرها في الاسلام تحول العرب من الجهل الى العلم ، والقسوة الى الدين ، ومن الهمجية الى المدنية التي مـدنوا بها الامم يومئذ ، وكان للعرب بها الفضل على سواهم رغم أنف مـن جحد منهم وما يجحد بها الا كلُّ أفّاك أثيم • وفي ما كان للعرب من رحمة أكسبها اياهم الاسلام السمح ، قال قوستاف لوبون : (لم يعرف التاريخ فاتحاً أرحم من المسلمين) ! فهذا الاسلام أمانة عندنا وبه سعادتنا وعزنا فلنحافظ عليه وذلك بالمحافظة على كتابه الكريم ولسانه العربي المبين تعلماً وتعليماً ، أيها السادة كما تلقيناه من آبائنا وأجدادنا ، وكل من عارضنا في هذا التعليم رددنا معارضته رد الأباة الكرام وأولى الناس بالمحافظة على القرآن هم حفاظه الذين استحقوا به لقب « السياد » ان عملوا ! •

ان قواعد الاسلام التي شرعها الله لعباده جعلت عواطفنا وشعورنا مطبوعة على أن لا نحس الا احساساً متحداً « صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً » ؟ فالصائمون ــ مثلاً ــ يحسون احساساً واحداً بما ينشأ لهم من الصوم من جوع وعطش وقس على ذلك فديننا دين الرحمة والاتحاد على الخير ونحن مسلمون لا نتحد على الشر أبـدا ولا نضمره لأحد من الناس ، كما لا نقبله من أي أحد منهم كائنا من كان •

هذه محاضرة الاستاذ ابن باديس نقلناها نقلا اختزاليا أثناء القائها لها على المنصة وحافظنا على ألفاظها ومعانيها حتى لا يفلت من ذلك شيء وهي نفس الخطاب الذي ألقاه ليلا بنادي الشباب الاسلامي القالمي بعد أن أفرغها في قالب يناسب طبع الشباب ومزاجه الكهربائي الذي عبر عنه الاستاذ بالشعلة المقدسة وتفنن فيه ماشاء له البيان وأراد وزاد على ذلك مخاطبا الشبان ومرغبا في الاستزادة من العلم النافع بأي لغة كان ومن أي شخص وجد ، والاعتراف[1] بجميل من يكون لهم واسطة في نيل العلم خالصا من شوائب المس والدس فقال :

ان طلاب العلم عندنا ثلاثة أقسام ، قسم طلبوا العلم من الغير فنالوه الا ان الغير طبعهم بطبعه فهو عوض أن يأتونا به مطبوعاً بطابعنا الفطري الذي هو حبل الاتصال بين أفراد أمتنا وبين جامعتهم القومية أصبحوا متأثرين بطابع الغير .

وقسم نالوا العلم ولم يحسنوا التصرف فيه لنفع مجتمعهم ووسطهم .

وقسم نالوا العلم من الغير وأحسنوا التصرف فيه ونفعوا به بلادهم وقومهم فهذا الفريق هو الذي نحتاجه اليوم وعلى يديه يكون رقي البلاد وخيرها .

فأرجوكم أيها الشبان الحازمون أن تأخذوا العلم بأي لسان كان وعن أي شخص وجدتموه وأن تطبعوه بطابعنا لننتفع به الانتفاع المطلوب كما أخذه الاروباويون من أجدادنا وطبعوه بطابعهم النصراني وانتفعوا به وهم اذا أنكر بعضهم اليوم فضلنا عليهم فذلك شأنهم اما نحن فلا ننكر فضل من أسدى الينا الخير الخالص ونعترف له بالجميل الذي لا يراد به سوى الجميل ولا علينا فيمن « يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا

(١) في الاصل : ولا اعتراف .

نُورَ اللهِ بأفْواهِهِمْ واللهُ مُتِمُّ نُوره ولَو كَرِه الكَافِرون »
ولا يكن في صدرنا من حالهم حرج فصدورنا بالايمان بالله والثقة به
أوسع وعقولنا أرجح وديننا أرحم وأكمل[1] .

(.....)[2]

(١) البصائر : عدد ١٠٩ السنة الثالثة . قسنطينة يوم الجمعة ٢١ صفر ١٣٥٧ هـ الموافق ليوم ٢٢ افريل ١٩٣٨ م الصفحة ٣ كلها .

(٢) لم يذكر الناقل لهذا الخطاب اسمه .

آثار ابن باديس

قسم تطور الشهاب

خـاتمة المجلد الخـامس

بهذا الجزء تمت أجزاء المجلد الخامس اثنى عشر جزءاً • وانقضى عام على « الشهاب » مجلة شهرية ، واذا لم يكن يجب أن يكون فقد كان على نهاية ما استطاع ، وقد كان قرر ان يشعر قراءه بروح الاخوة الايمانية التي تربط بينهم مهما اختلفت أفكارهم ، وقد نجح في هذا الى حد بعيد • فهو بهذه النعمة الربانية جد مغتبط ومسرور • معتزما على شكرها باستمرار العمل حاسبا اياها أعظم جزاء على ما عمل ، وأكبر معز ومصبر عما يلقاه من مكاشحة « العدو » وتقصير الصديق •

علم الله اننا لا نجني من هذه المجلة ثمرة مادية ، وانما نعود عليها بمالهـا • ولو كثر مالها لكبر حجمها وغزرت موادّها ، ورغم ذلك فقد بلغت صفحاتها ستة وخمسين بعد ما كانت اثنتين وثلاثين في الجزء الأول ، وستصدر في سنتها الجديدة ــ ان شاء الله تعالى ــ في اربعة وستين ، وسنوسع في أبوابها حسبما نستطيع من التوسيع •

ليس لنا ــ بعد عون الله تعالى ــ الا همم اخواننا المسلمين عموما والمشتركين معنا في المجلة خصوصاً ، فنحن ندعوهم الى مؤازرتنا على ما تتوخاه لِلنجَميع من خير وصلاح ، ونستحث المقصّرين والمتخلفين الى أداء واجب اشتراكهم القليل •

وقد رأينا ــ والحمد لله ــ من كثير من اخواننا مؤازرة ومساعدة، شكرا لله لهم ما عملوا وأثابهم عليه ووفق غيرهم الى الاقتداء بهم فيه ، والله ولي العون والتوفيق للجميع[1] •

---

(1) ش : جـ ١٢ ، م ٥ ، ص ٥٦ .
غرة شعبان ١٣٤٨ هـ ــ جانفي ١٩٣٠ م .

فاتحة المجلد السادس

بسم الله الرحمن الرحيم ،

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم •

نحمد الله الذي أمدنا بروح منه حتى قطعنا السنة الماضية ، وأبقى فينا الثقة والرجاء لقطع السنة الحالية ، والسنوات التالية ، ثم تتقدم لقراء « الشهاب » ومشتركيه ومناصريه الفضلاء الأكارم بالاشادة بحسن الثناء ، والدعاء بجميل الجزاء ، واعدين حضرتهم بالمضي على ما عرفوا من خطتنا : ننشر هداية القرآن وندعو اليها ، ونعتصم برابطة الاخوة ونحافظ عليها • داعين الى العلم والعمل والتقدم في نظام وسلام قاصدين الخير وساعين فيه لصالح الجميع •

ثبت الله القصد ، وأيد العمل ، وقرب الغاية ، انه الولي النصير •

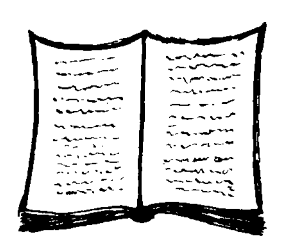

ش : ج ١ ، م ٦ ، ص ١ — غرة رمضان ١٣٤٨ هـ — فيفري ١٩٣٠ م

خاتمة المجلـد السادس

قد انتهى بهذا الجزء المجلد السادس ، فالحمد لله على نعمته وتيسيره وما أمكن لنا انهاؤه بعد ذلك الا بهمم أولئك الأخوان الكرام المشتركين والمؤازرين الذين لولا مثلهم لما كان لمجلة علمية أن تعيش في الجزائر الى اليوم ، فهم أصحاب هذه المجلة وهم أصحاب الفضل بها .

واذا كان حقا علينا أن نذكر هؤلاء السادة الذين يعملون على حياة هذه المجلة فان حقاً آخر علينا أن نذكر قوماً آخرين من الذين يعملون على قتلها من حيث لا يشعرون وأولئك هم الذين يتأخرون بدفع بدل الاشتراك الزهيد بعد مكاتبتهم وتذكيرهم السبع والثماني مرات فلا هم يدفعون ولا هم يعتذرون ولاهم يجيبون فيحملون الادارة بمصاريف المكاتبة مع بدل الاشتراك المتأخر ضغثا على ابالة وليست هذه الابالات ذوات الاضغاث بالشيء القليل الذي يتحمله كاهل الادارة على ضعفها بل هي بمجاوزتها للمائتين قد صارت عبئا ثقيلا لا تنوء به الادارة الا بجهد جهيد .

لقد كنا ـ لولا هؤلاء السادة المتأخرين ـ عازمين على زيادة توسعة وتحسين في نطاق المجلة ووضعها . ولكنهم تأخروا فتأخرنا ، وعسى الله أن يجعل بعد العسر يسرا وبعد الشح سخاءا وبعد الإهمال اعتناء فنبلغ بهذه المجلة حيث نأمله لها من رقي في خدمة الدين والعلم والوطن.

والله يسدد خطى الأمة ـ ونحن في جملتها ـ الى ما فيه سعادتنا وفلاحها في الدنيا والآخرة بلطف منه وتيسيره انه اللطيف الخبير[1] .

---

(١) ش : ج ١٢ م ٦ غرة شعبان ١٣٤٩ هـ ـ جانفي ١٩٣٠ م ص ٧٨٢ .

تنبيـــــه

ما ينشر في باب رسائل ومقالات هو على عهدة كاتبيه فمن رأى فيه ما لا يوافق عليه فليباحث فيه صاحبه وباب المباحثة والمناظرة في المجلة مفتوح لهما • لا نقول هذا تبريا من كتابنا أو فرارا من مسئولياتهم وانما نقوله :

أولا ــ لثقتنا بكفائتهم في تحمل مسؤولية كتاباتهم والجواب عن أنفسهم بالعلم والادب والانصاف •

ثانيا ــ لفتح مجال البحث والمناقشة العلمية النزيهة بين الكتّاب فنعم المشحذ للذهن والمظهر للحقيقة هي :

دعانا الى كتابة هذا ان بعض الناس اندهش مما كتبه صاحب مناظرة المصلح والمحافظ في مسألة الافعال النبوية ، ومسألة تقسيم البدعة ، ومسألة لزوم الحق لجانب الكثرة وعوض أن يوجه بحثه وسؤالـه الى كاتب المناظرة وجهه الى صاحب « الشهاب » الذي وقف اسمه كالشجا في حلقه فلم يستطع أن يذكره • وصاحب « الشهاب » يرد لو ان هذا الباحث يوفق الى الاتيان الى قسنطينة فيفيده هذه المسائل من كتبها بدلائلها وأقوال الأئمة فيها ويعتقد انه لو وفق الى هذه السفرة لحمد غب سراه وعدها من خير أيامه ويعيذه بالله من أن ينفخ الشيطان في أوداجه فينكبر عن الرحلة للعلم وتحصيله • وأما الجواب في الصحيفة فانه يدعه لصاحب المناظرة لانه يرى ان الجواب على بحث يتعلق بمناظرته تعد عليه خارج عن سياج الادب •

والأمر المهم أكثر من هذا كله الذي يجب علي أن أنبهك عليه

ويحرم علي اقرارك عليه هو كذبك وافتراؤك ــ والله يغفر لك ان تبت ــ في الحديث الشريف فانك قلت هكذا بالحرف : « وأخرج البخاري ومسلم عن ابي هريرة : ان أمتي لم تجتمع على ضلالة فاذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الاعظم » وهذا المتن لا وجود له في البخاري ولا في مسلم البتة . فبأي شيء نسمي صنعك هذا وجرأتك عليه ومن كان قدوتك فيه ... أأنت الذي سميت نفسك في امضائك (أحد كتاب أهل السنة) ترتكب هذا الافتراء على السنة أهكذا كتاب السنة يكونون ؟ أهذا هو القدر الذي عندك من السنة التي أضفت نفسك اليها؟

هداك الله أيها الاخ وعرفك قدرك ورزقك احترام السنة التي ألصقت نفسك بها ثم بعد ما نبهتك فهل تعترف بالحق وتنشره حيث نشرت الباطل ؟ أم تسكت أنت الآخر . ويخنقك الكبر عن لفظ الحقيقة نصيحتي لك أيها الاخ ولامثالك أن تقرأوا العلم وتلتزموا الصدق وتتقدموا حينئذ للعمل فاما هذا الخبط وهذا الكذب وهذا التجري فشيء نعوذ بالله منه ، ونسأل الله أن يقينا والمسلمين شر غائلته وسوء عاقبته[1] .

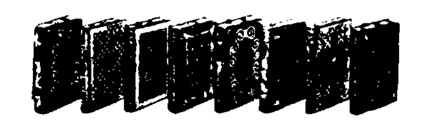

(١) ش : ج ١٢ ، م ٨ ، ص ٦٢٣ ـ ٦٢٤
غرة شعبان ١٣٥١ هـ ـ ديسمبر ١٩٣٢ م .

فاتحة المجلد التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم

يخطو الشهاب خطوته التاسعة ، نحو غايته الشريفة السامية ، بقدم ثابتة ــ ان شاء الله تعالى ــ وأمل كبير يذكر أنصاره ومؤازريه ، بالثناء الجميل ويرجو لهم ولغيرهم كل خير يدعو في مستقبله كما دعا في ماضيه ــ الى الله ، بكتاب الله وسنة رسول الله مهتديا ــ ان شاء الله ــ هدى السلف الصالحين والائمة الهادين المهديين ويعرض للمسائل الجزائرية في حق ونزاهة وشيء كثير من الرفق واللين ، داعيا الى المساواة بين جميع المتساكنين ، داعيا الى التعارف والتقارب والتفاهم بين سكان الجزائر اجمعين ، داعيا الى حفظ النظام ، ومراعاة الجوار واحترام القوانين سائلا من الله تعالى العون والتوفيق للعمل الخالص المثمر النافع للجميع[1] .

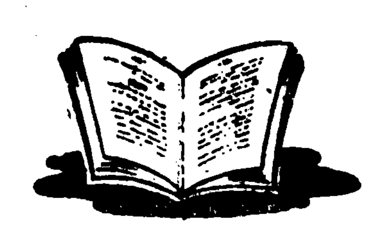

(١) غرة رمضان ١٣٥١ هـ جانفي ١٩٣٣ م ، الجزء ١ ، المجلد ٩ ص ١

مجلة الشهاب والحركة الاصلاحية

الحمد لله على آلائه ، والصلاة والسلام على خير انبيائه

وعلى آله وأصحابه وأزواجه وابنائه

وبعد فان مجلة (الشهاب) تفخر بانها انشئت للحركة الاصلاحية ورافقتها في جميع مراحلها وانها هاجمت البدع في معاقلها وواثبت الخرافات في أيام عزها واشتدادها ، وساورت الأباطيل على احتفالها واستعدادها لم تهن لها عزيمة في موقف من المواقف التي تخور فيها العزائم وترجف الأفئدة ، ولم يكتب لها قلم في ميدان من الميادين التي تنعقد فيها الالسنة وتجبل القرائح .

وهي اليوم تعلن فخرها واغتباطها بما وصلت اليه الحركة الاصلاحية من تتائج اتسع مداها وطبق الخانقين صداها ، مكتفيةمن الجزاء بهذه الغاية ومن الآيات على اثمار عملها بهذه الآية وقد كان من الاجتماع السنوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في هذه السنة ما اقام على ما ادعيناه الدليل ــ وقطع على المكابرين السبيل ، وعلى ذلك فمجلة الشهاب تعد من المساهمة لجمعية العلماء المسلمين الى الابتهاج بالنتائج الصالحة التي تجلت في اجتماعها الاخير ، ان تتقدم الى قرائها بهذا العدد خاصا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومخلدا لوصف ذلك الاجتماع الرهيب ، وما قيل فيه كما تقدمت اليهم بالعدد الذي قبله خاصا بالطلبة تنشيطا لهم وتقوية لعزائمهم واستفزازا للهمم لاعانتهم في جهادهم العلمي [1] .

---

(١) ش : ج ٩ ، م ١٠ ، ص ٣٧٠ .
غرة جمادى الاولى ١٣٥٣ هـ ــ ١٢ اوت ١٩٣٤ م .

بعد عقد من السنين

في يوم النحر من ذي الحجة خاتمة شهور عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف برزت جريدة « المنتقد » تحمل فكرة الاصلاح الديني بتنزيه الاسلام عما أحدثه فيه المبتدعون وحرفه الجاهلون • وبيانه كما جاء في القرآن العظيم والسنة المطهرة وعمل به السلف الصالحون معلنة ان المسلمين بذلك وحدة تصفو عقائدهم وتزكو نفوسهم وتستقيم أعمالهم وينبعثون عن قوة وبصيرة في الاخذ بأسباب الحياة الراقية والمدنية الطاهرة • مشاركين لأمم الدنيا في خدمة الانسانية وترقية وتوسيع العمران ، سالمين مما تشكو منه أمم الحضارة التي غلبت عليها المادية والانانية وتفشت فيها امراض ليست من التمدن الحقيقي في كثير ولا قليل •

برزت جريدة (المنتقد) تحمل هذا وتلفت الجزائريين المسلمين الى حقيقة وضعيتهم بين الامم بأنهم أمة لها قوميتها ولغتها ودينها وتاريخها فهي بذلك أمة تامة الأهمية لا ينقصها شيء من مقومات الأمم • وأنهم الى ذلك مرتبطون بأمة عظيمة ذات تاريخ مجيد ومدنية راقية وحكومة منظمة وان عليهم ان يراعوا هذا كله في حياتهم فيحترموا قوميتهم ولغتهم ودينهم وتاريخهم والامة التي هم مرتبطون بها والحكومة التي هم مسيرون بقوانينها •

ثم ماكاد يبرز العدد الثاني منها حتى ظهر في الجزائر كتاب لم يجدوا مجالاً لأقلامهم قبلها فانضموا الى تحريرها وأوجدوا بهيئتهم أول حزب المصلحين •

مضت الجريدة على خطتها حتى سقطت في الميدان بقرار التعطيل

بعد مابرز منها (١٨) ثمانية عشر عددا كانت في بنيان النهضة ثمانية عشر سندا • صدرت جريدة (الشهاب) اثر تعطيل المنتقد على مباديه وخطته فلاقت مالاقت في سبيلهما من العناء والبلاء فثبتت وصبرت وصابرت وثابرت على العمل تشتد مرة وتلين أخرى وصدمتها في سنتها الرابعة ازمة مالية كادت تقضي عليها فصدرت مجلة شهرية فوق ما كانت يوم ذلك تستطيع قوتها ثم تدرجت حسب تيسير الله حتى تممت اليوم العقد الاول من حياتها •

فالحمد لله وشكرا لمن عاشت هذه الصحيفة بايمانهم ومؤازرتهم واذا كان لها اثر فيما دعت اليه من اصلاح وما أعلنته وخدمته من حقيقة وضعية هذه الامة • فالفضل في ذلك لله ثم لهم واذا كان من شيء وراء ذلك الاثر تغتبط به فهو ـ اولا ـ انها كانت تقصد الصواب عن نظر وصدق واخلاص فاذا ظهر لها خطأ رجعت وأعلنت عن خطئها واعترفت به • كان هذا بضع مرات مع أصحابها وخصومها و ـ ثانيا ـ أنها ماخطت حرفا الا بوحي ضميرها واقتناع منها لا بوحي ناحية ولا لارضائها وما انفقت فلسا الا من مالها وكيسها لا من مال ذى غاية ولا من كيس أية هيئة •

وها هي اليوم تخطو الى العقد الثاني من عمرها على خطتها ومبدئها مستعينة بالله متكلة عليه معتضدة برجالها وانصارها العاملين الصادقين، والله ولي الجميع[١] •

(١) ش : ج ١ ، م ١١ ، ص ١ ـ ٣
محرم ١٣٤٥ هـ ـ افريل ١٩٣٥ م.

ثنـاء كـرام

(لا يجوز ان نعمل للثناء ، ولكن الثناء الذي يأتي عفوا من أهـل الصدق والخبرة يسرنا ، اذ يشعرنا بأن معنا في طريق العمل من يرانا ويسمعنا ويتبع اعمالنا ، فيدعونا ذلك الى الجد في العمل والاتقان ، وشدة التوقي للخطأ والزلل ، على ان ما يقال في المجلة ليس خاصا بفرد ولكنه يصيب كل المشاركين في النهوض بها • وعلى هذا الذي قلنا رأينا نشر ما قالته بعض الرصيفات الكريمات في هذه المجلة شاكرين للرصفاء الفضلاء عطفهم وتشجيعهم) •

• • •

ما جاء في « البـلاغ » الذائع

نفحة من الجزائر :

وصل الى يدي عدد من مجلة الشهاب ، وهو العـدد الخـاص بالاجتماع السنوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وهو عـدد طريف يشتمل على فوائد كثيرة تصور الحياة العلمية في الجزائر ومن ادق ما فيه ما قرأته من اصرار العلماء هناك على القاء عظاتهم باللغـة الفصيحة ، واحتجاجهم بان البلاغة تلقن عن طريق السماع كما تكتسب بالدرس ، ومعنى ذلك ان العامة يكتسبون الذوق الادبي بفضل الاكثار من سماع الكلام الفصيح ، كما يكتسبه المتعلمون بكثرة الاطلاع على الكلام الفصيح •

ذلك يقع في الجزائر ، والعامية هناك بعيدة بعدا شديدا من اللغة

الفصيحة ، فليعرف ذلك الواعظون في مصر ، وعامية اهل هذه البلاد قريبة كل القرب من الكلام المعرب الفصيح •

وفي ذلك العدد من الشهاب قصائد تدل على ان هناك نهضة شعرية منها هذه الانشودة التي ألقاها الاستاذ أبو اليقظان :

أهزار الروض غـرد   بنشيـد الوطنيـة
أحمـام الأيـك غـن   بحيـاة العربيـة
بلبـل الـدوح تنغم   لي بـألحـان شجية
فوق لبـات الغصون   اهـد للجمع التحيـة

وهي انشودة طويلة ، ومنها قصيدة الاستاذ الهادي السنوسي في خطاب اعضاء الجمعية :

حيـاك شعبك اقليمـا وسكانا   يا هيئة قد زكت علمـا وعرفانا
ادركت من روحه الطهرى حشاشته   من بعد ماقيل حين الشعب قد حانا
شعب اضاع كثـيرا من مفاخره   لولاك اصبح في الايـام نسيانا

وحرص اهل الجزائر على اللغة العربية هو من اظهر ما هم عليه من الشهامة والرجولة والاباء • فاليهم ، على بعد الدار ، أطيب التحيات •

ــ زكي مبارك ــ

• • •

ما جاء في « القلم » البليغ

وصلنا عدد خاص من مجلة الشهاب الغراء التي تصدر في قسنطينة بالجزائر وقد زين العدد المذكور بصور طلبة صديقنا الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الحميد بن باديس وقد تصدر حضرته الصورة الاولى من من تلك الصور فاذا بنا نرى جلالا ومهابة في وجه الشيخ ذي الأيادي

البيضاء على العلم واللغة في تلك البلاد المنكودة الحظ التي لولا حضرة الشيخ وأمثاله لماتت اللغة العربية في الجزائر لا محالة .

فالى حضرة الشيخ الفاضل الكريم تحيتنا القلبية وتمنياتنا الطيبة .

• • •

ما جاء في « الزهرة » الزاهرة
الشهاب النير
في عقده الثاني الحفيل

استقبلت رصيفتنا « الشهاب » الزاهرة التي تصدر عن قسنطينة من القطر الجزائري الشقيق عامها الحادي عشر او عقدها الثاني بعدد حافل بالمواضيع المهمة والبحوث المفيدة في تحرير نفيس واسلوب ممتع كثيرا ما الف لها ولحضرات السادة محرريها وبالمقدمة حضرة العالم الجليل صديقنا الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس السلفي الصميم .

والعدد على ورق صقيل في ٦٤ صفحة متقن الطبع جميع التنسيق طيه صور شمسية للاستاذ ابن باديس تمثله ممسكا لمصحف ايماءة لطيفة الى لزوم التمسك بالقرآن الكريم وتعاليمه الحكيمة وتتقدم ذلك كلمة المجلة وما تضمنته : (فالحمد لله وشكرا لمن عاشت هذه الصحيفة بايمانهم ومؤازرتهم واذا كان لها اثر فيما دعت اليه من اصلاح وما اعلنته وخدمته من حقيقةوضعية هذه الامة فالفضل في ذلك لله ثم لهم).

تهنئة حارة للزميلة فيما توفقت لانتهاجه نحو اشاعة الاسلام وبث تعاليمه وما غنمته الجزائر بآثارها البارزة في ميادين العرفان المنبثقة عن اشعة ذلك (الشهاب النير ومشكاته الوضيئة وفي الوقت تؤمل له مزيد التقدم واطراد الرواج حتى يثمر الامل المرغوب) .

• • •

ما جاء في ((الزهو)) العذبة

مجلة ((الشهاب)) الغراء

استأنفت الصدور هذه المجلة الراقية بعد ان ادخلت عليها ادارتها تحسينات جمة وترقيات صيرتها من ارقى المجلات في العالم العربي وقد قررت طبع هدايا مع كل عدد بمناسبة دخولها لعامها (١١) لاشهر مشاهير القطر الشقيق الجزائري وجاء فعلا مع الجزء المتحدث عنه رسم جميل للاستاذ العلامة المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورئيس تحرير (الشهاب) فنهني الزميلة الكريمة بعامها ونرجو لها طول العمر وعظيم الرواج والانتشار في كافة الاقطار [1] .

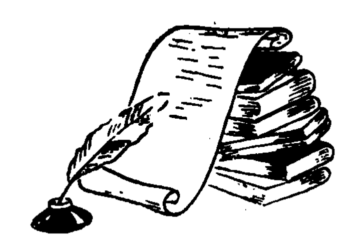

(١) ش : ج ٢ ، م ١١ ، ص ١٠٣ ــ ١٠٦
غرة صفر ١٣٥٤ هـ ــ ماي ١٩٣٥ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم

فاتحة العام الثاني من العقد الثاني

على اسم الله نخطو هذه الخطوة نحو الغاية التي نعمل اليها من ترقية المسلم الجزائري في حدود اسلاميته التي هي حـدود الـكمال الانساني ، وحدود جزائريته التي بها يكون عضوا حيا عاملا في حقل العمران البشري •

وليس ما ندعو اليه ونسير على مباديه من الاصلاح بالامر يخص المسلم الجزائري ولا ينتفع به سواه ، كلا، فان صحة العقيدة ، واستنارة الفكر ، وطهارة النفس ، وكمال الخلق ، واستقامة العمل ــ وهذا هو الاصلاح كله ــ مما يشترك في الانتفاع به جميع المسلمين بل جميع بني الانسان • وانما نذكر المسلم الجزائري لانه هو الذي قدر ان يكون منا ونكون منه كما يكون الجزء من كله والكل من جزئه فحاجته اشد وحقه أوجب ، فكان المقصود بالقصد الأول• على انه لم يذكر لتخصيصه وانما ذكر ليشعر بنفسه فيعمل لاسلامه وجزائريتـه فيكون ذا قيمة ومنزلة في المجموع •

عمل الماضي :

ونحن ــ بحمد الله ــ ما عزمنا على مد خطوة الى الامام والتفتنا الى ما كان من اثر سيرنا وما مضى من خطواتنا ــ الا وجـدنا ذلك الشعور قد نما وألفينا العمل بمقتضاه قد زاد • وها نحن نعرض صورة السنة الماضية لنرى فيها مصداق ما قلناه :

التعليم :

ولا ادل على وجود روح الحياة في الامة وشعورها بنفسها ورغبتها في التقدم من أخذها بأسباب التعليم : التعليم الذي ينشر فيها الحياة ويبعثها على العمل ويسمو بشخصيتها في سلم الرقي الانساني ويظهر كيانها بين الأمم. وقد تأسست في السنة الماضية جمعيات وفتحت مكاتب وتأسست نوادي ونهض المصلحون في العاصمة بابي النوادي كلها ،نادي الترقي،نهضة جديدة اصلاحية خالصة.وطلبت عدة جهات معلمين للمساجد غير الحكومية واشتريت بتلمسان وقسنطينة وميلة دور للتعليم وتزايد عدد الوافدين من الطلاب على الجامع الاخضر وعلى جامع الزيتونة وعلى الجهات التي فيها دروس منتظمة .

وهذا والمساجد ما تزال مغلقة في وجوه العلماء ورخص التعليم الحر ما تزال غير معطاة لهم ولولا ذلك لكانت النهضة العلمية اكثر بكثير مما كانت .

الاصــلاح :

بقدر ما كان تمسك الامة باسباب العلم كان رفضها للجمود والخمود والخرافات والاوضاع الطرقية المتحدرة للفناء والزوال حتى اصبح القطر الجزائري كله يكاد لا تخلو بيت من بيوته ممن يدعو الى الاصلاح وينكر الجمود والخرافة ومظاهر الشرك القولي والعملي واصبحت البدع والضلالات تجد في عامة الناس من يقاومها وينتصر عليها .

ومن اجمل مظاهر انتشار الاصلاح وانتصاره ان خصومه بعد ما كانوا يقاومون ما يدعو اليه من نشر التعليم بالعرقلة والتزهيد أصبحوا لا يستطيعون ان يظهروا للامة الا بمظهر المعلمين . فهم لأجل

حفظ مراكزهم اليوم مضطرون لتأييد العلم ـ ولو ظاهرا ـ العلم الذي يقضي عليهم في المستقبل باذن الله •

نعم هنالك طائفة من المنتسبين للعلم ومن طلبة القرآن معروفون عندنا باسمائهم يتسترون باسم العلم والقرآن ، ويبثون في الناس ما يتبرأ منه العلم والقرآن ولعل هذه السنة تكون سنتهم فيستنزلهم المصلحون للميدان ليعرفوا الحق فيكونوا من انصاره او يكابروا فيه فيعرفهم الناس فيحذروهم ويتقوا شرهم •

امل المستقبل :

اذا نظرنا في عمل الماضي الذي قدمنا انبعث فينا الرجاء والأمل فيما نستقبل ، وأصدق الامل ما انبنى على عمل ، فنتقدم ـ باذن الله ـ للعمل في سبيل ترقية المسلم الجزائري داعين الى العدل والاحسان والالفة والرحمة بين جميع المتساكنين بهذا القطر والى التفاهم والتعاون على ما فيه هناء وسعادة الجميع[1] •

(١) ش : ج ١ ، م ١٢ ، ص ١ ـ ٤
غرة محرم ١٣٥٥ هـ ـ ابريل ١٩٣٦ م •

فاتحة السنة (١٣)

بسم الله الرحمن الرحيم ـ وصلى الله على محمد واله وسلم

بهذا الجزء نستفتح السنة الثالثة عشرة من سنوات هذه المجلة ، حامدين الله تعالى على ما يسر من عمل للاسلام والجزائر ، شاكرين لكل من اعان على هذه الخطوات في هذه السبيل •

وسنخطو هذه الخطوة ــ ان شاء الله تعالى ــ على ما عرفه الناس من مبدئنا في الاصلاح الديني من ناحية العقائد والاخلاق والافكار والاعمال ، تصحيحا وتهذيبا وتنويرا وتقويما • كــل ذلك في دائرة الاسلام كما نزل به القرآن وبينته السنة ومضى عليه ــ علما وعملا ــ السلف الصالح من هذه الامة • وعلى ما عرفوه من مبدئنا في الاصلاح السياسي ، وهو المحافظة التامة على جميع مقوماتنا ومميزاتنا كأمة لها مقوماتها ومميزاتها ، والمطالبة بجميع حقوقنا السياسية والاجتماعيــة لجميع طبقاتنا دون الرضى بأي تنقيص او أي تمييز كما قمنا بما اوجب علينا • والتعاون على هذين الاساسين مع كل احد من أي جنس وأي دين مدَّ يَدَهُ للتعاون معنا •

وقد بلغنا ــ والحمد لله ــ من النجاح في الاصلاح الديني ان اصبح الذين كانوا يعارضوننا لايستطيعون أنيروجوا لأنفسهم الا باسم العلم والكتاب والسنة • وفقهم الله الى ما يصدقهم • وبلغنا ــ والحمد لله ــ من النجاح في الاصلاح السياسي ان اصبح امر المحافظة على شخصيتنا امرا اجماعيا حتى ممن كان لا يباليه او لا يشعر به ، ومعترفا به ــ رسميا ــ شيئا ضروريا في كل برنامج يوضح للجزائر •

هذا واذا كان شيء يؤلمنا حقا ويوجب شكوانا لمن يهمهم بقاء هذه المجلة ــ فهو تأخر نحو شطر المشتركين عن اداء اشتراكهم أكثر من سنة مع علمهم بأن هذه المجلة لا مورد لها الا منهم فقط ، وقد عزمنا على قطعها ــ مع الاسف ــ عن جميع المتخلفين الا المعتذرين •

والى هذا فنحن نجــدد شكرنا لاولئك الذين وازرونا ــ ماديا وادبيا ــ حتى امكننا ــ باذن الله ــ البقاء الى اليوم • واننا عندما نشعر بثقتنا بالله ثم بهم نجد في انفسنا القوة التي نندفع بها الى الامام في جميع الاعمال • والله المستعان ، وعليه التكلان[١]•

(١) ش : ج ١ ، م ١٣
١ محرم ١٣٥٦ هـ ــ ١٤ مارس ١٩٣٧ م •

بيـان واعتـذار

وردت علينا رسائل من قراء الشهاب الافاضل المعتنين بجمع مجلداته طالبين للاجزاء المتأخرة فوجب علينا أن نبين ما صدر من الاجزاء في المجلد الرابع عشر .

صدر الاول في ١٩ صفر ١٣٥٧
صدر الثاني في ٢٨ ربيع الاول ٥٧
صدر الثالث في ٧ جمادى الاولى ٥٧
صدر الرابع والخامس خصصا لما قيل وما كتب بمناسبة ختم التفسير وقد تم طبعه وهو الآن بين يدي الاستاذ الابراهيمي للمراجعة .
وصدر الجزء السادس في ٥ رجب ٥٧
وصدر الجزء السابع في ١٧ شعبان ٥٧
وصدر الجزء الثامن في ١٩ رمضان ٥٧
وصدر الجزء التاسع في ٨ ذي القعدة ٥٧

وبه أنهينا المجلد الرابع عشر ودخلنا المجلد الخامس عشر عازمين على اصدار كل جزء في وقته وستكون أجزاؤه عامرة ـ ان شاء الله ـ تعوض على القراء وترضي ضميرنا بما لهم من الحق علينا[1] .

---

(١) ش : ج ٩ ، م ١٤ ، ص ١٧٤
غرة رمضان ١٣٥٧ هـ ـ نوفمبر ١٩٣٨ م .

فاتحة السنة الرابعة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم ـ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

بحمد الله وتوفيقه واعانته ثم بشكر المشتركين بعقولهم أو مالهم وتأييدهم ـ نخطو خطوة جديدة بهذه المجلة في ميدان الحياة ، على ما عرفه القراء منا من صراحة في الرأي ، وصلابة في الحق ، ورغبة في الخير نعمل لصلاح الامة في دينها ودنياها على نور الكتاب والسنة وهدى السلف الصالح فتتمسك الامة باسلامها وعروبتها وتحافظ على قوميتها وتاريخها وتتناول أسباب الحياة والتقدم من كل جنس وكل لغة ، وتعمل مع كل عامل لخير البشرية وسعادة الانسان •

على هذه الأصول وفروعها مضت الثلاث عشرة سنة من حياة هذه المجلة وقد شاهدت من آثار تلك الاصول في الامة ـ بحمد الله ـ ما زادها ايماناً بهذه الاصول وفروعها وثباتاً فيها وصبراً على ما تلقاه في بسبيلها • ولأجل أن يشاركنا الجدد من قرائنا في هذا الايمان نعرض شيئاً من تلك الآثار نقتطفها من الماضي بنظرة مختصرة •

الشباب :

أعلن « الشهاب » من أول يومه ـ و « المنتقد » الشهيد قبله ـ انه « لسان الشباب الناهض في القطر الجزائري » ولم يكن يوم ذاك من شباب الا شباب أنساه التعليم الاستعماري لغته وتاريخه ومجده وقبّح له دينه وقومه ، وقطع له من كل شيء ـ الا منه ـ أمله ، وحقره في نفسه تحقيراً ، والا شباب جاهل أكلته الحانات والمقاهي والشوارع ، ومن وجد العمل منه لا يرى نفسه الا آلة متحركة في ذلك العمل

لا هم له من ورائه في نفسه فضلاً عن شعوره بأمر عام . والا شباب حفظه الله للاسلام والعروبة فأقبل على تعلمها لكنه تعلم سطحي لفظي خال من الروح لا يعتز بماض ، ولا يألم بحاضر ، ولا يطمح لمستقبل اللهم الا أفراداً قلائل جداً هنا وهنالك .

أما اليوم فقد تأسست في الوطن كله جمعيات ومدارس ونواد باسم الشباب والشبيبة والشبان ولا تجد شابا ـ الا نادرا ـ الا وهو منخرط في مؤسسة من تلك المؤسسات وشعار الجميع : الاسلام ، العروبة ، الجزائر .

الوطن :

وأعلن (الشهاب) من أول يومه ـ و (المنتقد) الشهيد من قبله ـ ان (الوطن قبل كل شيء) وما كانت هذه اللفظة يومئذ تجري على لسان أحد بمعناها الطبيعي الاجتماعي العام لجهل أكثر الامة بمعناها هذا وعدم الشعور به ، ولخوف أقلها من التصريح به . أما اليوم فقد شعرت الامة بذاتيتها وعرفت هذه القطعة من الارض التي خلقها الله منها ومنحها لها ، وانها هي ربتها وصاحبة الحق الشرعي والطبيعي فيها ، سواء اعترف لها به من اعترف أم جحده من جحد ، وأصبحت كلمة (الوطن) اذا رنت في الآذان حركت أوتار القلوب ، وهزت النفس هزاً .

فرنسا :

أعلن (الشهاب) من أول يومه ـ و (المنتقد) الشهيد من قبله ـ انه (يعمل لسعادة الامة الجزائرية بمساعدة فرانسا الديموقراطية) فصور بكلمته هذه الحقيقة الواقعة عارية من براقش الخيال وحجب التلبيس والتضليل ، فوضع الأمة الجزائرية بازاء الأمة الفرنسية ، إذ كل منهما لها ذاتيتها ومقوماتها ومميزاتها القلبية والعقلية والنفسية

والتاريخية ، التي يستحيل معها أن تندمج في امة اخرى ، وضعهــا بازائها على انها تابعة لها مرتبطة بها محتاجة الى مساعدتها .

على هذه الحقيقة ناهض (الشهاب) التجنس والاندماج وناضل عن الشخصية الاسلامية غير مبال بما يعترضه من غلاة الاستعمار اكلة الامم ، ولا من صرعاهم من ضعاف النفوس ، ولا من صنعائهم خربي الذمم ، حتى أصبحت الامة اليوم وهي مجمعة بجميع طبقاتها على لزوم المحافظة على شخصيتها وعدم التنازل عن شيء منها ولو حرمت كل حق بيد الظلم والعدوان ، مع بقائها علىفكرة الارتباط بفرنسا ومطالبتها بانصافها قبل أن تنصفها الايام وقبل أن تحل نقمة الله الذي جرت سنته بالانتقام من الظالم للمظلوم ولو طال الزمان .

الادارة :

عانى (الشهاب) من الادارة بسبب صراحته وجرأته ما عانى ، ولكنه صبر حتى ألفت الادارة تلك الصراحة وتلك الجرأة ، وقد عرفتها الايام ان صراحة (الشهاب) صراحة الحق والصدق وان لا غرض وراءها الا خدمة الصالح العام ، وان جرأته جرأة الواثق بصدق قوله وحسن قصده لا المغتر بنفسه ولا المستهين بمقام غيره ، وهي اليــوم تعتني بالشهاب عنـــاية خاصة ، وتتولاه أقلام للترجمة عديدة ، أعلاها قلم الاستاذ ماسينيون في وزارة الداخليـــة ، وقد اشترك فيه م ســـارو لما انيطت به ادارة افريقيا الشمالية ونحن نعلم انه يعتبر في الدوائر الحكومية المعبر الحقيقي عن الجزائر العربية المسلمة ، الذي لا يثنيه عن تصوير الحقيقة خوف ولا طمع ، ولا يحجبها عنه غرض ، ولا يبعده عنها خيال . وان (الشهاب) ليغتبط بهــذا ويرجو من الله تعالى أن يثبته عليه حتى يخدم أمته من هذه الناحية لدى الحكومة ويكون اداة تعريف صحيح وواسطة خير للجميع .

الامــة :

برغم ما في الامة الجـزائرية من اصول الحيوية القومية ، فقد عركتها البلايا والمحن حتى استخذت وذلت ، وسكتت على الضيم ، ورئمت للهوان ، وبرغم ما بينها من روابط الوحدة المتينة ــ فقد عملت فيها يد الطرقية المحركة تفريقاً وتشتيتاً ، حتى تركتها أشلاء لا شعور لها ببعضها ولا نفع ، تتخطفها وحوش البشرية من هنــا ومن هنالك بسلطان القوة على الابدان ، أو شيطان الدجل على العقول والقلوب •

أما اليوم فقد نفضت الامة عن رأسها غبار الذل وأخــذت تنازل وتناضل ، وتدافع وتعارض ، وشعرت بوحدتها فأخــذت تطرح تلك الفوارق الباطلة ، وتتحلى بحلل الاخوة الحقة ، وتنضوي أفواجــاً أفواجاً تحت راية الاسلام والعروبة والجزائر •

العلمــاء :

كان الذين يتسمون بالعلم ــ الا قليلا ــ بين جامد خرافي تستخدمه الطــرقية وما يحرك الطــرقية في التخدير والتضليل ، وقد لا يدري المسكين ما يدس به للامة من كيد ، وحاذق دنيوي قد غلبــه الوظيف واستولى حبه على قلبه فأنساه نفسه وأنساه ذكر الله • وكان العلماء الأحرار المفكرون ــ على قلتهــم ــ مغمورين مشتتين ، فلمــا برز (المنتقد) الشهيد فـ (الشهاب) هب اولئك العلماء الاحرار المفكرون للعمل ، وتكونت النواة الاولى لجمعية العلماء ، وأصبح اليوم اسم العلمــاء يحمل في أثنائه كل معاني الجد والتضحية في سبيل الحياة الحقيقية دنيا وأخرى •

النواب :

مجلدات (الشهاب) الماضية سجل يحفظ اســم كل نائب وقف موقفاً مشرفاً ، يطلب حقاً أو يدافع باطلا فـ (الشهاب) ينوه بكل عامل

ويشيد بذكره ويهيب دائماً بلزوم المحافظة على شخصية الامة وعدم التساهل في شيء منها والمصارحة في كل موقف بأنها أمة لها لغتها ولها دينها ولقد كان من يرى السكوت عن هذه الناحية أقرب للمجاملة ، وكان من يرى التسامح فيها والمساهلة ، وكان من يصارح ويتصلب في هذه الناحية وان تساهل في ناحية أخرى .

أما اليوم فقد أصبحت الامة ولا يستطيع أحد أن يتقدم للنيابة عنها الا اذا أقنعها بالمحافظة على شخصيتها والدفاع عن دينها ولغتها .

واننا لنغتبط جد الاغتباط أن نرى نواب الامة ــ الا قليلا ــ قد أخذوا يشعرون بما عليهم من المسؤولية في الدفاع عن الاسلام والعربية ، وأن نسمعهم ــ وقد سمعنا بعضهم ــ يرصعون خطبهم العامة بكلمات : اسلام ، عربية ، تاريخ ، وطن ، أمة وانا لنرجو أن تكون لهم مواقف في هذه الناحية كما كانت لهم مواقف في النواحي الاخرى هذه الناحية في نظر الامة ، وفي الواقع أجل وأعز منها .

المصلحون :

ليس المصلحون حزبا ــ وربما يكونونه يوما من الايام ــ وانما هم العاملون على الاصول التي ذكرناها آنفا ، وتحدثنا عن آثارها .

كانوا يوم رفع (الشهاب) وقبله (المنتقد) الشهيد دعوة الاصلاح قليلا ، وهم اليوم لا يأخذهم العدو لا تخلو بقعة من نواحي القطر منهم ، قد ملأوه من أقصاه الى أقصاه ، وقد تجلت قوتهم في الانتخابات الكثيرة بعمالة قسنطينة وعمالة وهران وهم لم ينتظموا انتظام الاحزاب فكيف لو انتظموا ؟

الطرقية :

كان الناس كأنهم لا يرون الاسلام الا الطرقية ، وقد زاد ضلالهم

ما كانوا يرون من الجامدين والمغرورين من المنتسبين للعلم من التمسك بها والتأييد لشيوخها ، فلما ارتفعت دعوة الاصلاح في (المنتقد) و (الشهاب) حسب الناس ان هدم تلك الاضاليل التي طال عليها الزمان ، ورسخها الجهل ، وأيدها السلطان ، محال . ولقد صمد (الشهاب) للطرقية يحارب ما أدخلته على القلوب من فساد عقائد وعلى العقول من باطل أوهام ، وعلى الاسلام من زور وتحريف وتشويه ، الى ما صرفت من الامة عن خالقها بما نصبت من أنصاب ، وشتت من كلمتها ، بما اختلقت من القاب ، وقتلت من عزتها ، بما اصطنعت من ارهاب ، حتى حقت للحق على باطلها الغلبة ، فهي اليوم معروفة عند أكثر الامة حقيقتها ، معلومة غايتها ، مفضوحة دوافعها ... اذا دعاها داعي السلطان لبت خاضعة مندفعة ، واذا دعاها داعي الامة ولت على أعقابها مدبرة . ومن نكاية الله بها ان جعل أكبر فضيحتها على يد من يريد ممن توالتهم من دون الامة مددها بما لها من مزايا عليه .

لا يهمنا اليوم ان تجهز على الجريح المثخن الذي لم يبق منه الا ذماء ، وانما يهمنا أن نبين موقفنا مع البقية من شيوخها ونسمعهم صريح كلمتنا .

حاربنا الطرقية لما عرفنا فيها — علم الله — من بلاء على الامة من الداخل ومن الخارج فعملنا على كشفها وهدمها مهما تحملنا في ذلك من صعاب ، وقد بلغنا غايتنا والحمد لله وقد عزمنا على أن نترك أمرها للامة هي التي تتولى القضاء عليها ثم نمد يدنا لمن كان على بقية من نسبته اليها لنعمل معاً في ميادين الحياة على شريطة واحدة وهي : أن لا يكونوا آلة مسخرة في يد نواح اعتادت تسخيرهم ، فكل طرقي مستقل في نفسه عن التسخير فنحن نمد يدنا له للعمل في الصالح العام. وله عقليته لا يسمع منا فيها كلمة وكل طرقي — أو غير طرقي — يكون اذنا سماعة ، وآلة مسخرة فلا هوادة بيننا وبينه حتى يتوب الى الله .

قد نبذنا اليكم على سواء ... « إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الخَائِنِينَ ».

هذا عرض سريع لصور من الماضي والحاضر ، لنواح عديدة من الامة والوطن وما يتصل بهمــا ، يبين ما كان من تأثير تلك الاصــول الاسلامية التي تمسك بها « الشهاب » فيها . فالله نرجو أن يثبتنا على الحق ويعيننا على الصدع به ، وصدق تنفيذه ، وحسن تبليغه ، حتى يبلغ المسلمون كل خير وسعادة وكمال[1] .

عبد الحميد بن باديس

(١) ش : ج ٢ ، م ١٤ ، ص ١ ــ ٧
غرة محرم ١٣٥٧ هـ ــ مارس ١٩٣٨ م .

فاتحة السنة الخامسة عشرة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على الرسول وآله .

وهذه أول خطوة نخطوها ــ ان شاء الله تعالى ــ الى العام الخامس عشر من حياة هذه المجلة حامدين الله على عونه وتوفيقه وتيسيره ، شاكرين لاسرة المجلة ــ من مشتركيها ومحرريها وطابعيها وناشريها ــ أعمالهم التي هي أعمال في سبيل الاسلام والعروبة والجزائر ، ذاكرين كل ذي خير بكل خير .

هذا واننا نجدد العهد بيننا وبين قرائنا على السير على ما عرفوه فينا من صدق وصراحة وقصد للخير ، غير متملقين لأحد ولا متحاملين عليه ، مع المحافظة التامة على شخصيتنا وكل مقوّماتنا الكريمة مما به كنا ، وبه بقينا ، وبه نكون ، دون تفريق في العدل والاحسان بين الأجناس والأديان .

والمجد للاسلام والعروبة والجزائر ، والسعادة للعاملين من الأفراد والامم لخير الانسان[1] .

---

(١) ش : ج ١ ، م ١٥ ، ص ١
غرة محرم ١٣٥٨ هـ ــ فيفري ١٩٣٩ م .

آثار ابن باديس

قسم الصلاة على النبي

الصـــلاة على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

– ١ –

تمهيد ، مكانتها ، ثمرتها . القسم العلمي ، معناها لغة ، معناها شرعا ، مزية لفظها ، من تكون منه ، من تكون عليه ، نفي الاشتراك عنها ، تفسيرها باللازم .

تمهيد :

الصلاة على النبي – صلى الله عليـه وآله وسلم – من أصـول الاذكار في الاسلام ومن أعظمها ، فان الله – تعالى – أمر بها المؤمنين على أبلغ أسلوب في التأكيد ، وأكمل وجه في الترغيب ، وجعلها من الأذكار اليومية المتكررة في الصلوات ، وهي ذكر لساني بتلاوة لفظها ، وقلبي بتدبر معانيها ، ومثمرة لرسوخ الايمان وشدة المحبة وتمـام التعظيم له – صلى الله عليه وآله وسلم – المثمرين لاتباعه ، المحصل لمحبة الله عبده ، وتلك غاية سعادة المخلوق ونهاية كماله « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

فمما يتأكد على كل مسلم أن يكون على شيء من العلم بهذا الكنز العظيم ، وسنأتي من ذلك بما يفتح الله تعالى به في هذا المقال .

القسم العلمي :

الصلاة في لسان العرب قبل الاسلام وردت بمعنى الدعاء ، قال الأعشى :

وَصَهْبَاءَ طَافَ يَهُودِيُّهَا وَأَبْرَزَهَا وَعَلَيْهَا خَتَمْ
وَقَابَلَهَا الرِّيحُ في دَنِّهَا وَصَلَّى على دَنِّها وَارْتَسَمْ

قال صاحب اللسان : دعا لها أن لا تحمض ولا تفسد .

وقال الأعشى أيضاً :

عَلَيْكِ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيْتِ فَاغْتَمِضِي
يَوْماً فَإِنَّ لِجَنْبِ المَرْءِ مُضْطَجَعَا

أي دعوت ، فالدعاء هو معناها اللغوي الأصلي وعليه جاءت كلمات كثيرة في الكتاب والسنة فمنها « وصلوات الرسول » أي دعواته « وصل عليهم » أي ادع لهم وحديث **« اذا دعي أحدكم لطعام فليجب فان كان مفطرا فليطعم وان كان صائما فليصل »** أي فليدع لأرباب الطعام و « الصلوات لله » أي الأدعية التي يراد بها تعظيم الله هو مستحقها لا تليق بأحد سواه كما في « اللسان » .

جاءت هذه الكلمات وأمثالها على المعنى اللغوي الأصلي ، وجاء مثل قوله تعالى « إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً » وقوله — صلى الله عليه وسلم — **« لا صلاة لجار المسجد في غير المسجد »** مراداً به عبادة مخصوصة ذات أقوال وأفعال وتروك على هيئة خاصة من جملة أجزائها الدعاء ، ولا شك ان اطلاقها على هذا المعنى انما هو اطلاق شرعي ولكنه غير خارج عن أساليب كلام العرب فانه من باب تسمية الشيء باسم جزئه فاطلاق هذا اللفظ على هذه العبادة المخصوصة حقيقة شرعية مجاز لغوي وليس هذا هو مرادنا هنا. وقد كان الظاهر لما كانت بمعنى الدعاء أن تتعدى باللام ولكنها تعدت بعلى لما فيها من معنى العطف فصلى عليه يؤدي معنى قولنا : دعا له عاطفاً عليه وهذا هو السر في اختيار لفظها على لفظه لتؤدي

المعنيين : الدعاء والعطف ، وان كان لفظ الدعاء يقتضي عطفاً فذلك بطريق الاستلزام ، وهو دون دلالة التضمن .

تكون هـذه الصلاة من المخلوق على المخلوق ومن الخالق على المخلوق . فمن الاول صلاة النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — على المؤمنين كما في آيتي سورة التوبة المتقدمتين ومنها قوله — صلى الله عليه وآله وسلم — « **اللهم صل على آل ابي اوفى** » فقد دعا لهم وسأل الله تعالى أن يصلي عليهم . وصلاته على نفسه في تشهده في الصلاة ، ومنه صلاة الملائكة على النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — كما في آية الصلاة من سورة الأحزاب ، وصلاتهم على المؤمنين كما في قوله تعالى : « هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ » ويفسر هذه الآية قوله تعالى « وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ » وهـذا منهم دعاء عام . وقوله تعالى « الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا » .

وهذا دعاء خاص . وكما في حديث « **من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة عشراً** » وحديث « **اذا صلى أحدكم ثم جلس في مصلاه لم تزل الملائكة تصلي عليه اللهم اغفر له اللهم ارحمه** » . ومنه صلاة المؤمنين على النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — وعلى الأنبياء وعلى الملائكة وعلى عامة المؤمنين بطريق التبع فهي سؤالهم من الله تعالى ودعاؤهم اياه أن يصلي على نبيه ومن ذكر قبل معه فهذه كلها من القسم الاول وهو صلاة المخلوق على المخلوق وكلها لم تخرج عن معنى الدعاء .

وأما القسم الثاني وهو صلاة الخالق على المخلوق فمنها صلاته

على المؤمنين في قوله تعالى : « هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ وَكَانَ بِالمُؤْمِنِينَ رَحِيماً » • وصلاته على الصابرين في قوله تعالى : « أولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأولئِكَ هُمُ المُهْتَدُون » •

وعلى نبيه محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ في قوله تعالى : « إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيما » •

قد تنوعت عبارات العلماء سلفاً وخلفاً في تفسير صلاته تعالى على من ذكر من خلقه ففسرت بالرحمة ــ والجمع في قوله « صَلَوات » باعتبار أنواع آثارها ومواقعها وقوله بعدها « وَرَحْمَةٌ » نوع منها خاص ــ وفسرت بالمغفرة ، وفسرت بثنائه عند ملائكته على المصلي عليه ــ من باب ذكرته في ملاء خير منه ــ وفسرت باعطائه واحسانه ، وفسرت بتعظيمه ، ولا خلاف في الحقيقة بين هذه التفاسير ، فان مغفرته من رحمته وان ثناءه من رحمته وان اعطاءه واحسانه من رحمته وان تعظيمه من رحمته • فرجعت كلها الى تفسيرها بالرحمة •

لو قلنا بعد هذا ان الصلاة لها معنيان الدعاء والرحمة لكانت من باب المشترك ، والاشتراك خلاف الاصل فلذا تقول ــ كما قال جماعة من المحققين ــ ان الصلاة معناها واحدة وهو الدعاء فاما من المخلوق فبدعائه الخالق وهو ظاهر ، واما من الخالق فبدعائه ذاته لايصال الخير والنعمة للمصلي عليه على تفاوت المراتب ، ومن لازم هذا رحمته له بالمغفرة والثناء والتعظيم وأنواع العطاء والإحسان • فالذين فسروا الصلاة من الله بالرحمة فسروها باللازم والذين فسروا بغير الرحمة ،

فسروا بمقتضيات ذلك اللازم فلها اذن معنى واحد وهو الدعاء ولكنه يحمل في كل واحد من الجانبين على ما يليق به[1] .

(١) ش : جـ ٥ ، م ٥ ، ص ١ ــ ٥ .
غرة محرم ١٣٤٨ هـ ــ جوان ١٩٢٩ م .

الصــلاة على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

- ٢ -

تاريخ مشروعيتها ، آية مشروعيتها ، شيء من تفسير الآية .

الصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من اذكار الصلاة ولكنها لم تشرع يوم شرعت الصلاة بمكة بل كانت مشروعيتها بعد بضع سنوات من الهجرة ، وذلك يوم نزلت آية الأمر بها من سورة الأحزاب وهي سورة مدنية ، ففي الترمذي وغيره ـ عن كعب بن عجرة ـ : لما نزلت « إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ ... الآية » قلنا يارسول الله قد علمنا السلام فكيف الصلاة ، فعلمهم حينئذ كيفيتها كما يأتي بيانه .

قوله تعالى : « إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيما » ، هو آية الأمر بالصلاة على أبلغ أسلوب في التأكيد ، وأكمل وجه في الترغيب . فمن التأكد للامر التوطئة له بجملتين : الجملة الأسمية المصدرة بحرف التأكيد ، والجملة الفعلية الندائية ، ومن أعظم الترغيب في امتثال هذا الأمر جعل امتثاله اقتداء بالله وملائكته .

وفي عطف الملائكة عليه تعالى تنبيه على ثمرة الامتثال والاقتداء ، وهي نيل أشرف المنازل العليا ، فان الملائكة ـ عليهم السلام ـ بإمتثالهم أمر ربهم واقتدائهم به ـ جل اسمه ـ في الصلاة على أكرم خلقه ـ

صلى الله عليه وآله وسلم ــ نالوا شرف اقتران اسمهم باسمه ، وفي هذا ووراءه من الشرف والسعادة ما فيه •

وقوله ــ تعالى ــ : « يُصَلُّونَ » ، على معناه اللغوي والأصلي وهو الدعاء ، غير ان الملائكةيدعون ربهم له ــ صلىاللهعليهوآلهوسلم ــ والله تعالى يدعو نفسه ، والمراد ــ وتذكر ما قدمنا ــ لازم ذلك وهو انعامه الخاص الذي يرضاه لاكرم خلقه ، وتقصر عقولنا عن الاحاطة به وقد عبر الناس عنه بعبارات نقلنا بعضها في القسم الاول •

وفي صيغة الفعل المضارع دليل على تجددهذه الصلاة• فالملائكة ــ عليهم السلام ــ لا يفتؤون يصلون ويدعون ، والله ــ تعالى ــ لا تنقطع انعاماته على النبي الكريم ، وهو ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بتلك الإنعامات الربانية لا يزال أبدا مترقيا في درجات الكمال ، ويؤيد هذا عموم قوله تعالى : « وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأولى » • وفي هذا ترغيب للمؤمنين في مداومة الصلاة عليه حسب الجهد والطاقة في الصلاة وغيرها •

وقيل هنا « على النبي » ولم يقل على الرسول • وهو ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ نبي ورسول • ذلك لان الرسول هو المبعوث لاداء الرسالة من الخالق الى الخلق فالجانب الاول الاساسي لمعناه يرجع الى معنى التلقي والأخذ عن الذي أرسله ، والنبي هو المخبر المبلغ للرسالة الى الخلق من الخالق ، والجانب الاول الاساسي لمعناه يرجع الى معنى اعلام الخلق وارشادهم وهدايتهم بما جاء به من عند خالقهم • فاختير اسم النبي هنا على اسم الرسول لوجهين •

الاول : التنبيه على انه قام باعباء الرسالة وبلغ الأمانة ونصح الخلق ونفعهم فجازاه الله على هذا العمل العظيم بهذا الجزاء العظيم وكما كان هو ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ معلناً بتوحيد الله

وتسبيحه وتقديسه وحمده أمام العالم بأسره ، كذلك أعلن الله فضله ومكانته بصلاته عليه أمام جميع خلقه ، وفي هذا تنبيه للمؤمنين على عظم الجزاء عند عظم العمل ، وعلى اعلائه ــ تعالى ــ شأن العاملين على اعلاء كلمته على قدر جهادهم في سبيله واخلاصهم في ابتغاء مرضاته •

الثاني : انه بذلك التبليغ قد جلب للمؤمنين أعظم النفع وأكمل الخير وهو سعادة الايمان في العاجل والآجل • فمن بعض حقه عليهم أن يقوموا ــ لتعظيمه وتكريمه ــ بالصلاة عليه • فتكون صلاتهم عليه ــ وهي سبب أجر عظيم ونفع كبير لهم ــ كالجزاء لعظيم احسانه ، والاعتراف بجزيل جميله •

فاسم « النبي » بهذين الوجهين ، أنسب بالمقام ، وأدخل في التأكيد والترغيب ولهذا اختير •

وقوله ــ تعالى ــ : « وسَلِّمُوا تَسْلِيما » أمر ثان معطوف على الأمر الأول فيفيد النّسق طلب الجمع بين مدلوليهما في الامتثال • ولذا كره العلماءُ إفراد الصلاة عن السلام •

وسلم : يأتي بمعنى الانقياد ويتعدى باللام ، ومنه قوله تعالى : « فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيما » • ويأتي بمعنى قال له السلام عليكم ويتعدى بعلى ومنه قوله ــ تعالى ــ : « فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً » ، ومنه هنا « وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » أي حيوه بتحية الاسلام • وقد ثبت عن الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ انهم لما سألوه عن كيفية الصلاة،

قالوا له السلام قد علمنا فبين لهم كيفيتها وقال لهم والسلام كما قد علمتم ، وقد كان علمهم كيفية السلام في التشهد وهي : « **السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته** » ، كما في حديث ابن مسعود الثابت في الصحيح . وبعد هذا لا يبقى وجه لتجويز حمل التسليم هنا على معنى الانقياد كما زعمه الجصاص وغيره ، ويا لله من الجري وراء الاحتمالات ، والغفلة عن التفسير النبوي الصحيح الثابت المأثور. وقوله تعالى : « تَسْلِيمًا » مصدر مؤكد ، والتأكيد بالمصدر يكون لرفع احتمال المجاز كما في « قتلته قتلا » دفعاً لتوهم المجاز عن الضرب الشديد ، ويكون لتثبيت معنى الفعل من جهة الحدث ببيان انه فرد كامل من نوعه لا نقص فيه كما في « أكرمت زيدا اكراماً » بمعنى ان الذي كان منك له هو اكرام لا شبهة فيه ــ والتأكيد هنا من هذا النوع ــ فان المسلم على النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ لا يكمل سلامه الا اذا طابق قلبه ولسانه وجرى على مقتضاهما عمله ، فلم تكن منه للنبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ الا السلامة في دينه وكتابه وأمته ، وهذا هو الذي يقال فيه انه سلم تسليما .

ونظير هذا ما في الآية الأخرى : « وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » فيكون منهم الانقياد التام لحكمه في الظاهر والباطن بلا أدنى شبهة في العقل ولا أدنى حزازة في القلب ولا ادنى توقف في العمل .

فقد أمرنا بالآيتين بالتسليم الكامل بمعنييه ، ليكون هو الغاية التي نرمي اليها ، ونسعى في تحصيلها ، وحتى اذا أخطأنا مرة أصبنا مرات واذا انحرفنا رجعنا الى الجادة من قريب ومن داوم على القصد أعين على الوصول « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » . ومن لازم التوبة أتحف بالقبول ، « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ » .

وفي قول المربي الأكبر ، عليه وآله الصلاة والسلام : « **استقيموا ولن تحصوا** » ، وقوله : « **سددوا وقاربوا** » ، جماع السلوك الاسلامي كله الى غايات الكمال ، والله المستعان[1] .

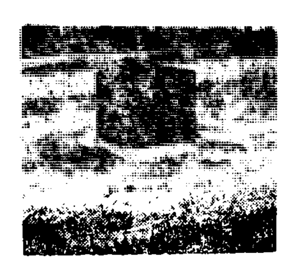

(١) ج ٦ ، م ٥ ، ص ١ ــ ٥
غرة صفر ١٣٤٨ هـ ــ جويلية ١٩٢٩ م .

الصـــلاة على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

- ٣ -

توقف الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ، وجوه توقفهم ، سؤالهم ، اول من سال منهم ، ما يستفاد من هديهم في هذا المقام ، لزوم الاقتـــداء بهم ، حديث بيان الكيفية ، رواته ، الفاظه ، الجمع بينها ، الاقتصار على الصحيح من الروايات ، كلام الحافظ ابن العربي .

لما سمع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ الامر بالصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من الآية المتقدمة فهموا أنهم أمروا بالدعاء له لان الدعاء هو معنى الصلاة لغة كما قدمنا .

وانما الذي اشكل عليهم هو كيفية هذا الدعاء ، ووجـه هـذا الاشكال امور :

الاول : ـ علمهم بكمـال النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ورفعة مقامه عند ربه ، وجزيل انعامه لديه فلم يدروا ما هو النـوع الاكمل من الانعام اللائق بمنصبه الرفيع ليدعوا له به .

الثاني : ـ ان ألفاظ الدعاء كثيرة وصفاتها مختلفة فما هو أنسبها بمقامه الشريف ؟

الثالث : ـ ان الصلاة عليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ امـر تعبدي والعبادات لا سبيل اليهـا الا التوقف . واكد لهم هـذا ان الصلاة قد قرنت بالسلام وقد تقدم لهم التوقيف في السلام فتوقعوا مثله في الصلاة .

فلما اشكل عليهم الامر طلبوا منه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ البيان • ففي الترمذي عن كعب بن عجرة لما نزلت « إنَّ اللهَ وملائكتَهُ » الآية ، قلنا يارسول الله قد علمنا السلام فكيف الصلاة ، وقوله « لما » يفيد ان سؤالهم كان عند النزول وقوله « قلنا » يفيد ان السؤال كان من جميعهم ولو كان السائل المتكلم واحد فانه يتكلم بلسان الجميع لانهم له موافقون • ومثل هذا قول ابي حميد « انهم قالوا يارسول الله كيف نصلي عليك » وقول ابي سعيد « قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلي » وأول من سأله ــ فيما أرى ــ بشير بن سعد الانصاري ــ لانه لما سأله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كيف نصلي عليك » ــ سكت ثم اجابه بالبيان • والظاهر ان سكوته كان لانتظار الوحي اليه فلما اوحى اليه بالبيان ، بين • وجاء البيان متأخرا عن نزول الآية واقعا بعد سؤالهم لانه من البيان التفسيري وجائز تأخره على الصحيح وهذا من امثلته •

وهنا نكت من هدى الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ في هــذا المقام ينبغي التنبه لها والتدبر فيها ، فمنها شدة تعظيمهم للنبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وتمام تحريهم في اجلال ذكره واحترام كــل ما يتصل بجنابه • ومنها حرصهم على الاتيان بعين ما يختاره الله لهم ويرضاه منهم من اللفظ الاكمل الافضل الذي يتقربون به اليه في تعظيم حبيبه ومصطفاه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ • ومنها شدة تحريهم لدينهم بتوقفهم فيما كان عندهم محتملا ولم يقطعوا فيه بشيء • ومنها شدة عنايتهم بالعلم ، فبادروا الى طلب البيان ومنها وقوفهم في باب العبادة عند حد التوقيف لانه لا مجال فيها للرأي ولا مدخل فيهــا للقياس •

كل هذا من هديهم ــ رضوان الله عليهم ــ حق على المسلمين ان يتدبروه ويتبعوهم فيه وينظروا في امورهم ما هو منها موافق لهديهم

او قريب منه وما هو مباين له بعيد عنه فلا وربك لا يكون الخير الا في موافقتهم ولا غيره الا في مخالفتهم • وكل امرىء ـ بعد هـذا ـ بنفسه بصير •

عدنا الى حديث بيان كيفية الصلاة • ونقتصر من متونه على الصحيح الثابت المتفق عليه مما في الموطأ والصحيحين • وقد جاء فيها عن اربعة من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ •

الأول : أبو حميد الساعدي عند الثلاثة والشيخان خرجاه عنه من طريق مالك ، قال ـ رضي الله عنه ـ « انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال : قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم ، انك حميد مجيد » وفي رواية مسلم « وعلى ازواجه » بزيادة « على » في الموضعين •

الثاني : أبو مسعود الأنصاري في الموطأ وصحيح مسلم ومن طريق مالك رواه مسلم قال : « اتانا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد « ابن ثعلبة » امرنا الله ان نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك قال فسكت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حتى تمنينا انه لم يسأله « لأنهم كانوا يكرهون كل ما يرونه انه يكرهه او يشق عليه » ثم قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم » • وفي بعض روايات الموطأ « كما صليت على ابراهيم » و « كما باركت على ابراهيم » بدون لفظة « آل » في الموضعين وفي بعضها بدونها في الاول •

الثالث : كعب بن عجرة في الصحيحين قـال ـ رضي الله عنه ـ

« سألنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقلنا : يارسول الله ، كيف الصلاة عليكم أهل البيت فان الله قد علمنا كيف نسلم قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد » هكذا أخرجه البخاري في احاديث الأنبياء من كتاب بدء الخلق • وخرجه في سورة الأحزاب من كتاب التفسير وفي كتاب الدعوات هكذا : كما صليت على آل ابراهيم » و « كما باركت على آل ابراهيم » بدون « على ابراهيم » في الموضعين وعلى هذا الوجه خرجه مسلم •

الرابع : ـ ابو سعيد الخدري عند البخاري في احاديث الانبياء والتفسير قال ـ رضي الله عنه ـ : « قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلي قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم » وفي رواية اخرى للبخاري « كما صليت على آل ابراهيم » بزيادة لفظة « آل » وليس في آخرها وعلى آل ابراهيم •

وهذه المتون الصحيحة كلها قد اتفقت واختلفت اتفقت في عمود الكلام وصلب المعنى ومعظم الكلمات واختلفت في كلمات قليلة • فمنها لفظة « على » كما في حديث ابو حميد وهي كلمة ذكرها كحذفها من جهة المعنى لان حرف العطف مغن عنها فقد تكون في الاصل واسقطها الراوي نسيانا او اختصارا وقد لا تكون وزادها من زادها نسيانا او بيانا ومنها لفظة « الآل » في حديث ابي مسعود فهي ثابتة في رواية من اثبتها وتحتمل السقوط على وجه النسيان في رواية من اسقطها ويحتمل انه كذلك سمع بدونها وان النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مرة ذكرها ومرة حذفها • ومنها زيادة عبدك ورسولك

في حديث ابي سعيد وزايدة في العالمين في حديث ابن مسعود وذكر الأزواج والذرية ، بدون الآل في حديث أبي حميد . والظاهر في هذه ان النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — تنوع بيانه في المقامات فاختلفت الروايات وهي مختلفة غير متناقضة فتفيد المعاني المتغايرة غير المتضاربة . وهي بهذا نظير اختلاف القراءات في صحيح الروايات .

هذا الذي ذكرناه من الروايات هو الصحيح المتفق على صحته وثبوته ووراءها روايات ليست في درجتها رأينا الاكتفاء بالصحيح عنها . وقد قال الامام الحافظ ابن العربي في تفسير سورة الاحزاب من أحكامه ، بعدما ذكر ثماني روايات — من هذه الروايات صحيح ومنها سقيم ، وأصحها ما روى مالك « حديث أبي حميد وحديث أبي مسعود فاعتمدوه » . ورواية من روى غير مالك من زيادة الرحمة مع الصلاة وغيرها « غير الرحمة » لا يقوى . وانما على الناس ان ينظروا في اديانهم نظرهم في اموالهم وهم لا يأخذون في البيع دينارا معينا وانما يختارون السالم الطيب . كذلك في الدين لا يؤخذ من الروايات عن النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — الا ما صح سنده لئلا يدخل في خبر الكذب على النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — فبينما هو يطلب الفضل اذا به قد أصاب النقص ، بل ربما أصاب الخسران المبين » .

وسنتكلم على كيفية استعمال هذه الروايات المتقدمة عند الذكر والصلاة على النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — في القسم العملي ، ان شاء الله تعالى وبه المستعان[1] .

---

(١) ج ٧ ، م ٥ ، ص ١ — ٦
غرة ربيع الاول ١٣٤٨ هـ — أوت ١٩٢٩ م .

الصــلاة على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

– ٤ –

صيغ الصلاة الثابتة ، تفسير الصيغ ، لفظ البركة ، الازواج ، الذرية ، الآل ، معناه ، اشتقاقه ، موارد استعماله ، توجيه الخلاف في تفسيره ، الراجح منها ، آل ابراهيم ، تفسيره ، دخول ابراهيم فيه ، توجيه ذلك .

قد حصل لنا مما تقدم في روايات حديث بيان الصــلاة اربــع صيغ لهــا :

الاولى : « اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد » .

الثانية : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين . انك حميد مجيد » .

الثالثة : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد » .

الرابعة : « اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على

ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم » •

فأما الصلاة المطلوبة من الله تعالى في جميع هذه الصيغ فهي مغفرته وثناؤه وتعظيمه واحسانه واعطاؤه وكلها ترجع الى رحمته ـ كما تقـدم •

واما البركة المطلوبة في جميعها ايضا فهي ـ لغة ـ النماء والزيادة والمقصود هنا زيادة الخير والكرامة وتكثير الاجر والمثوبة • وفسرت بدوام ذلك وثباته لأن أصل مادة بارك يدل على الثبوت ومنها بروك الابل وثبوتها على الارض • وقد يعتبر في الشيء الثابت قوته وزكاوة أصله فيستلزم ذلك كثرته ونماؤه • وعلى هذا الاعتبار جاء لفظ البرك (كحبل) اسما للابل الكثيرة ، في قول متمم بن نويرة :

اذا شارف منهن قامت ورجعت حنينا فابكى شجوها البرك اجمعا

فتفسيرها بالنماء والزيادة مأخوذة فيه ثباتها ورسوخها فلا يكون خارجا عن المعنى الاصلي للمادة •

وأما أزواجه في الصيغة الأولى فهن أمهات المؤمنين الطيبـات الطاهرات عليهن الرضوان •

وأما ذريته فيها أيضا فهم من كان للنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، ولادة عليه من ولده وولد ولده ممن آمن به •

واما الآل في جميعها فهو ـ لغة ـ اهل الرجل وعياله ، وهو ايضا الاتباع ومن الاول قوله ـ صلى اللهعليهوآلهوسلم ـ « انالصدقةلاتحل لآل محمد ، انما هي اوساخ الناس » ولا خلاف ان المراد بالآل هنا ذوو قرابته من بني هاشم والمطلب اومن بني هاشم فقط او من بني قصيأو قريش كلها على اختلاف بين الفقهاء في تحديد القرابة المرادة • ومـن

الثاني قوله تعالى : « أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ »
والمراد هنا اتباعه في ملته وملكه وسلطانه • ومنه قول الاعشي :

فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ
ذُو آلِ حَسَّانَ يُزْجِي السَّمَّ والسَّلَعَا

قال في « اللسان » يعنى جيش تبع•

وفسر هنا بجميع أمته ممن آمن به ، واليه ذهب مالك ، قال النووي: وهو اختيار الازهري وغيره من المحققين •

وفسر بقرابته :

وفسر بأهل بيته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أزواجه وذريته•وتحقيق هذه المسألة ان لفظة « آل » اصله اول من مادة ـ ا ـ و ـ ل ـ وقد ثبت تصغيره على اويل فرد التصغير الفه الى الواو اصلها فعرفت بذلك مادته المذكورة •

وزعم بعضهم ان اصله اهل وادعوا أنه صغر على أهيل • ولا حجة لهم في ذلك لاننا نسلم مجيء اهيل عن العرب وتمنع ان يكون تصغيرا لآل بل هو تصغير لاهل • وكونه تصغيرا لاهل ظاهر ملفوظ وكونه تصغيرا لآل دعوى لا دليل عليها • وما كان في نفسه دعوى بلا دليل لا يصلح ان يكون دليلا لدعوى اخرى فلم يقم حينذ دليل على ان آل اصله اهل يعارض الدليل الذي قام على ان اصله اول •

واذا ثبت ان آل من مادة ـ ا ـ و ـ ل ـ ، وهي بمعنى الرجوع ـ تقول آل الى خير بمعنى رجع الى خير ـ فئال الشيء هو ما يرجع الى ذلك الشيء وينتهي اليه بوجه من الوجوه • وعلى هذا جاء استعماله في كلام العرب •

قال الفرزدق :

نجوت ولم يمنن عليك طلاقــة سوى ربة التقريب من آل أعوجا

عني فرسا من نسل اعوج وهو فحل مشهور في خيل العرب تنسب اليه الاعوجيات فئاله نسله لانه يرجع اليه بالنسب .

وقال عبد المطلب بن هاشم ـ في قصة أبرهة الحبشي لما جاء لهدم البيت داعيا ومستنصرا الله على أبرهة وجنده :

لا هــم ان العبــد يمــ ـنع رحله فامنع رحالك
لا يغــلبن صليبهـــم ومحالهم غذوا محــالك
وانصر عــلى آل الصليب وعابــديه اليــوم آلك

فئال الصليب هم الحبشة النصارى عباد الصليب فرجعوا اليــه بوجه العبادة والتعظيم .

وآل الله هم قريش سدنة بيته وقطان حرمــه ، وأواة حجيجــه فرجعوا الى الله تعالى بهذه الاسباب فاتباعه ـ صلى الله عليه وآلــه وسلم ـ واقاربه وازواجه وذريته ـ كل يصدق عليه آل لانهم كلهم يرجعون اليه .

وانما الخلاف في ترجيح المعنى الذي ينبغي حمل اللفظ عليه في احاديث الصلاة فمن فسره بالازواج والذرية قال لانهم هم المصرح بهم في الرواية الاولى فحمل احدى الروايتين على الاخرى .

ومن فسره بالاقارب حمل حديث الصلاة على حديث تحريم الصدقة. والآل هنالك بمعنى الاقارب فلا خلاف . فرجع بالمختلف فيه الى المتفق عليــه .

ومن فسره بالاتباع رأى ان أتباعه بالايمان به أمر لا بد منه في

الدخول تحت لفظ الآل هنا ، فان من كان من اقاربه غير متبع له ـ كأبي لهب ـ غير داخل في لفظ الآل هنا قطعا • فحمل اللفظ على الاتباع لانه المعنى المشتمل على الوصف الذي لا بد منه في هذا المقام • وروى ايضا ان هذا المعنى اعم فهو الانسب بمقام الدعاء •

وكما ان مساق حديث الصدقة عيَّن معنى الاقارب هنالك كذلك مقام الدعاء يرجح معاني الاتباع هنا •

ولا معارضة بين الروايات التي فيها لفظ الآل مراد به الاتباع ، والرواية التي فيها الازواج والذرية ، لان تلك جاءت بالمعنى العام وهذه خصصت بالذكر نوعا من ذلك العام لمزية فيه •

فازواجه وذريته ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ مصلى عليهم في اللفظ العام على وجه العموم ، وباللفظ الخاص على وجه الخصوص لما لهم من مزيد الاختصاص •

ولهذه الادلة نرى هذا التفسير ارجحها •

واما آل ابراهيم فقد قال قوم هم ذريته وقال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ هم اتباعه على ملته • ونزع بقوله تعالى : « انَّ أوْلَىَ النَّاسِ بِابْرَاهِيمَ للَّذِينَ اتَّبَعُوهُ » واقتصر على قولـه ابن جرير الطبري في تفسير الآية من تفسيره الكبير •

فابن عباس في تفسيره الآل بالاتباع هو سلف مالك في تفسيره له بذلك • وابن جرير في ترجيحه لقوله هو سلفنا في الترجيح •

قال الامام ابن عبد البر : « آل ابراهيم يدخل فيه ابراهيم وآل محمد يدخل فيه محمد » • ومن هنا جاءت الاثارة مرة بابراهيم ومرة بآل ابراهيم وربما جاء ذلك في حديث واحد • ومعلوم ان قوله تعالى:

« أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أشَدَّ الْعَذَابِ » ان فرعون داخل فيهـم ٠

وهذا من طريق مفهوم الاضافة الأحروي لأن المضاف اذا تعلق به حكم بعلة الاضافة فالمضاف اليه احرى بذلك الحكم وأولى كما تقول : ـ ما ثبت للتابع بعلة التابعية فالمتبوع احرى به وأولى ٠ فاذا كان آل ابراهيم مصطفين ومصلى عليهم لانهم آله أي اتباعه ـ فهو مصطفى ومصلى عليه بطريق الاحرى للوجه الذي ذكرنا[1] ٠

(١) ج ٨ ، م ٥ ، ص ١ ـ ٦
غرة ربيع الثاني ١٣٤٨ هـ ـ سبتمبر ١٩٢٩ م ٠

الصــلاة على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

— ٥ —

معنى العبد في اللغة ، استعماله فيها ، ما اقره الاسلام وما ابطله ، معنيا الملك . عموم العبودية ، وجها اضافة العبد لله ، معنى العبادة لمن تكون ؟ مقام العبودية ، اكمل العباد ، اصدق وصف المخلوق ، تواضعه ، معنى الرسول ، توجيه الترتيب . حديث الاطراء ومعناه .

أما قوله « عبدك » في حديث أبي سعيد عنــد البخاري فالعبد ــ قال الأئمة ــ « خلاف الحر » والحر من لا ملك لأحد عليه ، فالعبد هو المملوك ، والعبودية هي طاعته مع الخضوع والتذلل[1]. والمملوكية التي هي أصل المعنى مستلزمة لها . وجاء في كلامهم مضافا اضافة ملك للبشر فقالوا عبد زيد أي مملوكه . والى الخــالق تعالى مالك الجميع فقالوا عبد الله ، والى معبوداتهم الباطلة فقالوا عبد العزى وعبد اللات بناء على شركهم وزعمهم ان طواغيتهم تملك مع الله وان كان هو مالك الجميع ، كما كانوا يقولون في تلبيتهم « لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك تملكه وما ملك » .

جاء الاسلام فأقر اضافتين وأبطل واحدة ، وذلك ان الملك اما ملك

---

(١) قال بعضهم ان العبد مأخوذ من الطريق المعبد اي المذلل بوطيء الاقدام . وهذا ليجعلوا الذل من مفهوم العبد . وانا أرى ان الذل لازم لمفهوم العبد وهو المملوك وانه هو أصل المادة وان المعبد ــ اسم مفعول مشتق ــ هو المأخوذ منه فمعبد معناه مذلل كما يذلل العبد .

حقيقي ثابت بالخلق والحفظ والانعام وهذا ليس الا لله فكل احد فهو عبد الله . واما ملك مجازى متنقل بسبب معاوضة أو عطية أو ارث وهذا هو ملك العباد وعلى هذا المعنى يقال عبد زيد أي مملوكه . وأما الطواغيت فلا ملك لها بالوجهين فلا تجوز اضافة العبد اليها . وقد جاء في اضافة الملك المجازي قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه **« لا يقولن احدكم عبدي فكلكم عبيد الله ولكن ليقل فتاي ، ولا يقل العبد ربي ولكن ليقل سيدي »** والنهي عن هذا لما فيه من التطاول والتعاظم والارتفاع ولا بأس به اذا كان في النادر للبيان والتعريف .

العبودية لله وصف عام ثابت في كل مخلوق ، فكل مخلوق هو عبد لله مملوك له ، في دائرة خلقه ، وقبضة أمره ، خاضع ذليل منقاد لتصرفات قدره .

والعبد يضاف لله تعالى بهذا المعنى اضافة عامة لا فرق فيها بين بر وفاجر ، وقد قال تعالى « إنْ كُلُّ مَنْ في السَّموات ِ وَالأرْض ِ إلاَّ آتى الرَّحْمَن ِ عَبْداً » .

ويضاف إليه اضافة خاصة اذا كان العبد قد عرف عبوديته لربه علماً ، وقام بواجبها عملاً ، فأطاع مولاه طاعة المملوك لمالكه عن علم واختيار . بذل وخضوع وانكسار ، بلا امتناع ولا اعتراض ولا استكبار ، وقد جاء على هذا قوله تعالى : « فَأَوْحَى إلى عَبْدِه ِ مَا أوْحَى » « سُبْحَانَ الَّذِي أسْرَى بِعَبْدِه ِ لَيْلاً » « وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ » « وَإنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ الله ِ يَدْعُوهُ » « قَالَ إنِّي عَبْدُ الله ِ » « وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ » ومنه قوله « عبدك » هنا .

والعبد المضاف الى الله تعالى بهذا الوجه هو المملوك المطيع ، وطاعته بذل وخضوع هي عبادته . ولما كان ليس مملوكاً الا لله فلا تكون طاعته الا لله فلا يجوز لأحد أن يطيع أحداً الا في طاعة الله فتكون طاعته في الحقيقة لله ، فطاعتنا للنبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ هي ــ بالقطع ــ طاعة لله ، وطاعتنا لغيره لا تجوز الا اذا عرفنا انها في مرضاة الله . وقد قال ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : **« لا طاعة لأحد في معصية الله ،انما الطاعة في المعروف »** رواه الشيخان وأبو داوود والنسائي عن علي رضي الله عنه وقال ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : **« لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »** رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه عن عمران والحكم بن عمر والغفاري رضي الله عنه .

ولما كانت الطاعة ــ التي هي العبادة ــ بها يحصل الكمال الانساني للفرد في عقله وأخلاقه وأعماله ، وللنوع في اجتماعه وعمرانه ، وهذا الكمال هو سعادة الدنيا المفضية الى السعادة الكبرى في الحياة الاخرى ــ كانت العبودية أشرف حال وأعظم مقام وأفضل وصف للانسان ، وكان أفضل انسان أرسخ الناس قدما في هذا المقام . ولما كان النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كذلك كان أفضل الخلق وكان ــ كما قال ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : **« سيد ولد آدم ولا فخر »** ــ ولهذا ذكر بوصف العبودية في مقام التقريب والتكريم في قوله تعالى : « فَأَوْحَى إلى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى » وفي مقام الترفيع والتعظيم في آية الاسراء وجعل على مقتضى ذلك وصفه به في ذكر الصلاة ومقام الثناء والدعاء .

ولفظ العبد كما أنه أكمل وصف للانسان على ما بينا ــ هو أصدق وصف له وأشده بعدا عن الكبرياء والعظمة والترفع .

ولذا لما خير النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بين أن يكون نبياً عبداً ، فان الملك لا بد له من مظاهر السيادة والسلطان ، وان كان بعدل وحق كملك داوود وسليمان ــ عليهما الصلاة والسلام ــ فاختار النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أن يكون نبياً بدون هذا المظهر وكان الذي اختار أفضل •

وكان ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ في جميع حياته على أكمل حال في التواضع الذي هو من مظاهر كمال عبوديته لربه وكان يقول ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : **« انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد »** •

وأما قوله « ورسولك » في الحديث المذكور فان الرسول هو من بعثه الله تعالى ــ فضلاً منه ــ ليبلغ شريعة ، وقيامه بأعباء الرسالة هو من طاعته وعبوديته لربه •

فقدم لفظ العبد على لفظ الرسول تقديم العام على الخاص ، وتقديم[1] الشرط على المشروط فان الرسالة لا يفضل بها الله تعالى الا أكمل عباده و « اللهُ أعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ » ، وتقديم الترتيب لأنه كان عبداً قبل أن كان رسولاً ، ولأن العبودية للخالق ، والرسالة فيها انصراف ــ بأمر الله ــ للخلق •

والعبودية والرسالة هما الوصفان اللذان أمرنا النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أن لا نتجاوز حدهما في الثناء عليه • فقد قال ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : **« لاتطروني كما اطرت النصارى عيسى ، انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله »** فنهانا عن اطرائه في المدح وهو

---

(١) لا تنس ان الشرط لا يلزم من وجوده الوجود فلا يلزم من وجود كمال العبادة ــ فرضا ــ وجود الرسالة لان النبوة لا تكتسب .

المبالغة والغلو بوصفه بما لايجوز كما غلت النصارى في عيسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ فادعت فيه الألوهية ونسبت اليه مالايكون الا لله ، وبين لنا طريقة مدحه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بذكر كل ما لا يخرج به عن كونه عبداً من كل كمال ، وبذكر كل ما يليق برسالته من عظيم الخصال . عليه وآله الصلاة والسلام (١) .

(١) ش : جـ ٩ ، م ٥ ، ص ١ ــ ٥
غرة جمادى الاولى ١٣٤٨ هـ ــ اكتوبر ١٩٢٩ م .

الصــلاة على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

- ٦ -

مبلغ صلاة الله على محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وجهان في معنى التشبيه ، نكتة التشبيه ، سؤال على الوجه الثاني وجوابه ، نكتة اخرى في التشبيه ، معنى في العالمين ، معنى حميد مجيد ، نكتة الختم بهذه الجملة .

وقوله : « كما صليت على آل ابراهيم » و « كما باركت على آل ابراهيم » في حديث أبي حميد وابن مسعود . و « كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم » و « كمـــا باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم » في حديث كعب بن عجرة ـ يفيد ان المصلي يسأل من الله تعالى صلاة وبركة لمحمد وآله في المستقبل مثل ما كان منه تعالى من صلاة وبركة على ابراهيم وآله في الماضي ، هذا يسأله المصلي في كل مرة من صلاته ويستجاب سؤاله كلما سأل ، فكم تكون صلوات الله تعالى وبركاته على محمد وآله في المستقبل ، وهي اثر كل صلاة مصل تكون مثل ما حصل في الماضي منه تعالى لابراهيم وآله ، ان مقاديرها ـ على هــذا ـ تبلغ الى ما تعجز عن حصره العقول ، وهي لا تزال متزايدة بقدر صلاة المصلين تزايداً فوق متصور البشر .

والكاف فيقوله «كما» تفيد التشبيه والالحاق وهذا يحتمل وجهين:

الوجه الاول : أن يكون ذلك في أصل الصلاة بقطع النظــر عن مقدارها فلكل ما يناسب مقامه في الفضل والأفضلية من المقدار .

كما تقول لمن تقدمت منه عطية لبعض أقاربه : اعط هذا القريب الاقرب كما اعطيت ذاك القريب ، تقصد أصل العطاء دون مقداره ضرورة ان ما يستحقه القريب الأقرب أكثر مما يستحقه القريب ، وجاء على هذا الاسلوب قوله تعالى : « وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ » فالمقصود أن يكون منه احسان كما كان من الله تعالى اليه ، ولا يمكن أن يكون ما يصدر منه من احسان مماثلاً لما لله عليه منه •

وتكون نكتة التشبيه الحاق المتأخر وهو الصلاة والبركة المسؤولتان لمحمد وآله بالسابق المشتهر وهو الصلاة والبركة المعطاتان لابراهيم وآله ، فالمقصود أن تكون هاته ظاهرة مشتهرة في الخلق كما كانت تلك فيهم •

الوجه الثاني : أن يكون التشبيه في مقدار الصلاة والبركة ويكون المطلوب هو المقدار المماثل كما تقول لمن أعطى زيداً عشرة دراهم : اعط عمرا كما أعطيت زيدا • ونكتة التشبيه في هذا الوجه هي نكتته في الأول •

وعلى هذا الوجه يقال كيف يطلب له ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ صلاة وبركة مثلما حصل لغيره وهو أفضل من غيره وبمقتضى كونه أفضل لا يطلب له الا ما هو أفضل ، ويجاب بأن النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كان شديد التعظيم لأبيه ابراهيم ــ عليه السلام ــ والتواضع في جانبه ، فكان هذا الطلب على مقتضى ذلك التعظيم وذلك التواضع ، وفي ذلك تعليم وتأديب لأمته •

ثم في هذا التشبيه اشادة بذكر ابراهيم ــ عليه السلام ــ وابقاء له على ألسنة هذه الامة ، وفي هذا اعتراف بفضل هذا النبي القانت الحنيف الذي هو على ملته ، واحتجاج على أهل الكتاب الذين يعظمونه مثلنا وقد حادوا عن ملته الحنيفية بذهابهم في أودية الشرك واتخاذ بعضهم

بعضاً أرباباً من دون الله ، وجزاء له — عليه السلام — في دعوته لنبينا فيما حكاه القرآن بقوله : « رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ • إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » •

وقوله « في العالمين » أي في أجناس الخلق — يفيد ان صلاته تعالى وبركاته على ابراهيم وآله كانت ظاهرة مشتهرة — علماً وأثراً — في أجناس المخلوقات ، وقد سئل في صيغة الصلاة أن تكون صلاته وبركاته على محمد وآله مثل ذلك •

ولفظ « في العالمين » مذكور في القسم الثاني قسم البركة دون القسم الاول قسم الصلاة وأرى ذلك من الايجاز بالحذف من الاوائل لدلالة الأواخر •

وقوله « حميد » من الحمد اما بمعنى حامد ، حول ليفيد التكثير وهو جل جلاله يحمد فعل الخير من عباده ويثيبهم على القليل بالكثير •

ومناسبة اسم « حميد » لختم هذه الصلاة ان هؤلاء من عبادك المتقين الذين تتفضل عليهم بحمدك ، فمن حمدك لهم أن تصلي وتبارك عليهم •

واما بمعنى محمود ومناسبته حينئذ انك ذو الكمال والانعام اللّذين تحمد عليهما فمن انعامك واحسانك صلاتك وبركتك •

وقوله « مجيد » من المجد والشرف بمعنى ماجد يفيد عظمة مجده وشرفه في ذاته وصفاته وأفعاله •

ومناسبته للاسم السابق ان حمده لخلقه — وطاعتهم بفضله وتيسيره — من مجده وشرفه ، أو ان كماله وانعامه اللذين يحمد عليهما هما فوق كل كمال وفوق كل انعام على ما يليق بمجده وشرفه •

ومناسبة ختم الصلاة بهذا الاسم ان من مجده وشرفه ــ جل جلاله ــ هذه الانعامات العظيمة والخيرات الجسيمة المتوالية على مخلوقاته ومنها هذه الصلاة والبركة المسؤولتان لأكرم خلقه وجميع آله •

وبهذا التقرير يظهر ان جملة « إنك حميد مجيد » هي تذييل للكلام السابق وتأكيد له بما هو عام ومشتمل على معناه ــ فان الصلاة والبركة من مقتضى الحمد والمجد ــ نظير قوله تعالى : « جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ • إنَّ البَاطِلَ كانَ زَهُوقاً »[1] •

(١) ش : ج ١٠ ، م ٥ ، ص ١ ــ ٥
غرة جمادى الثانية ١٣٤٨ هـ ــ نوفمبر ١٩٢٩ م •

الصــلاة على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

– ٧ –

القسم العملي : حكمها ، القصد بها ، افضلها ، استعمال صيغها المحافظة على الوارد منها ، التحذير من الغفلة ، من اللحن ، من تركها عند ذكره ، من ذكرها للغضبان ، من ذكرها للزغرته ، من هجر الوارد ، من كتــاب التنبيــه .

القسم العملي :

الصلاةعليه ــ صلىاللهعليهوآلهوسلم ــ واجبة مرة فيالعمر، وذهب الشافعي الى وجوبها في التشهد الثاني من الصلاة وقيل بوجودها عند ذكره ، وثبت الترغيب فيها أثر حكاية الأذان ويوم الجمعة وليلتها ،وعند الدعاء ثم ما شاء حسب الطاقة .

ويقصد المصلي بصلاته امتثال أمر الله ورجاء ثوابه والتقرب اليه بذكر نبيه على وفق أمره وقضاء بعض حقه والمكافأة بقدر جهدنا لبعض احسانه واظهار تمام المحبة فيه والاحترام له وصحة العقيدة في دينه .

وصيغ الصلاة كثيرة والامر فيها واسع وأرفعها قدراً وأعظمها نفعاً هي الصيغة التي قالها النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ لأصحابه ــ وقد سألوه ــ في معرض البيان وبيانه لهم بيان لجميع الامة بعدهم وهو أعلم الناس بما ينفع وأحرص الناس على جلبه لأمته ، فلا أنفع ولا أرفع مما جاء به من عند ربه واختاره لأمته .

والاكمل أن يحفظ الصيغة النبوية برواياتها ويستعملها مرة برواية ومرة بغيرها حتى يكون قد استعملها كلهـا ولو اقتصر على بعضها لكان كافياً ٠

وعندما يأتي بالصلاة النبوية باحـدى رواياتها يحافظ على لفظها بدون زيادة شيء من عنده عليها ولا أن ينقص شيئاً منها لأن الصيغة الواردة توقيفية متعبد بهـا والتوقفي في العبادات يؤتي بنص لفظه بلا زيادة ولا تنقيص ولا تبديل ٠

وأصل هذا حديث البراء بن عازب ــ رضي الله عنه ــ فـي الصحيح لما قال : « وبرسولك الذي أرسلت » قال له النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : « لا ، وبنبيك الذي أرسلت » فلم يقره على تبديل لفظ النبي بلفظ الرسول على تقاربهما لأن الصيغة متعبد بها والحديث في باب « اذا بات طاهراً » من كتاب الدعوات من صحيح البخاري ٠

التحذير :

مظهر الصلاة على النبي ــ صلى الله عليـه وآله وسلم ــ كسائر الاذكار وهو اللسان وثمرتهـا في الاعمال ومنبتها هو القلب فليحذر المصلي من الغفلة عند جريان الصلاة على لسانه ٠

والصلاة النبوية صيغة تعبدية فليحذر من اللحن فيها ٠

وجاء وعيد فيمن تركها عند ذكر النبي ــ صلى الله عليـه وآله وسلم ــ فليحذر من تركها عنده وخصوصاً من اعتياد تركها ٠

وقد اعتاد بعضهم أن يقول لصاحبه عند الغضب « صل على النبي » وهذا وضع لها في غير محلها وتعريض للاسم الشريف الى ما لا يليق من قد يكون عند جنون الغضب من تقصير أو سوء أدب فليحذر من هذا ومثله ٠

وقد جرت عادة بعض الناس في ليالي زرداتهم أن يرفعوا أصواتهم مرة على مرة « الصلاة على النبي » فتجيبهم النساء من وراء الحجاب برفع أصواتهن بالزغرتة حتى يرتج المكان ، ومن أبشع المنكر أن تستعمل عبادة من أشرف العبادات في اثارة هذه المعصية النسوانية فليحذر من ذلك وليغيره بما قدر عليه .

وقد هجر الناس الصلاة النبوية التوقيفية واقتصروا على غيرها ، وزاد بعضهم فقال ان غيرها أنفع منها ، فليحذر من هذا الهجر ومن هذا القول ، فمحمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنفع الخلق وأرفعهم ، وفعله أرفع الافعال وأنفعها ، وقولها أرفع الاقوال وأنفعها ، فليجعل أصل صلاته الصلاة النبوية المروية وليجعل بعدها ما شاء .

ومن الكتب المشهورة بين الناس في الصلاة على النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كتاب تنبيه الانام وفيه موضوعات كثيرة لا أصل لها فبينما قارئه في عبادة الصلاة اذا هو في معصية الكذب فليكن منه على حذر .

والله يفتح علينا في العلم ويوفقنا في العمل له الحمد في الاولى والآخرة ر بالعالمين[1] .

---

(١) ش : ج ١١ ، م ٥ ، ص ٧ ــ ٩
غرة رجب ١٣٤٨ هـ ــ ديسمبر ١٩٢٩ م .

آثار ابن باديس

قسم الفقه والفتاوى

الاسئلـة والاجوبـة

- ١ -

١ ـ س : هل يجوز كراء الاسواق العامة ، وأخذ ثمن الدخول على أرباب المواشي والسلع ؟ (سائل من الميلية)

ج : المعروف ان هذه الاسواق هي ملك للبلدية واذا قلنا هي ملك للبلدية فهي ملك للعامة التي تنوب عنها البلدية فللبلدية أن تبيع منفعتها بثمن معلوم الى أجل معلوم فيجوز اكتراؤها منها كذلك . ويجوز للمكتري أن يكري الانتفاع بها كذلك فيجوز له أن يأخذ على كل داخل لماشيته أو سلعته أجرا في مقابلة انتفاع ذلك الداخل بالمكان الذي يحل فيه والذي هو مملوك المنفعة لصاحب السوق . ونظيره من اكترى اصطبلا ثم يأخذ على أرباب المواشي أجرة بقاء مواشيهم في اصطبله مدة محدودة .

٢ ـ س : امام جمعة يسكن بقرية بعيدة عن قرية الجمعة بنحو خمسة وثلاثين كيلو ، هل تصح امامته بالقرية التي يؤم بها للجمعة وهو ليس من سكانها ؟ (سائل من فج مزالة)

ج : المسافر هاته المسافة لا يقصر الصلاة فاذا حل بقرية جمعة فالجمعة عليه واجبة فتصح امامته بها . والمسافر الذي لا تصح امامته للجمعة هو الذي يكون مسافرا مسافة القصر لان الجمعة حينئذ لاتجب عليه ، فامامته بها تصير صلاة أهل القرية خلفه كصلاة مفترض خلف متنقل وذلك لايصح ، ولهذا اذا نوى المسافر اقامة اربعة ايام صحاح

وجبت عليه الجمعة وصحت منه الامامة[1] .

- ٢ -

٣ ـــ س : هل يجوز تولي خطة الكتابة عند القائد وأخذ الاجرة عليها ، وهل يجوز كذلك ما في معناها من رتبة الدائرة والعساس أم لا يجوز ؟ (سائل من القرارم)

ج : كل خطة من مثل ما ذكر في السؤال اذا لم يكن فيها ظلم ولا اعانة ظالم فجائز توليها وأخذ الاجرة في مقابلة القيام بها .

٤ ـــ س : اذا ضرب انسان دجاجة او شاة بحجر او عمود فأصابها وبقيت تتخبط من ذلك الضرب فبادر اليها الضارب أو غيره فذبحها فهل تؤكل أم لا ؟ (منه أيضا)

ج : اذا أدركها غير منفوذة المقاتل فانه يذكيها ويأكلها اتفاقا . واذا كانت منفوذة المقاتل فالذكاة لا تفيد فيها في مشهور مذهب مالك وتفيد فيها في مذهب الشافعي وجماعة من المالكية وهي فسحة ينبغي اعتمادهـــا .

٥ ـــ س : هل نصاب الزيت معتبر بالحب أو بالزيت وما هو مقدار نصابه والقدر الذي يخرج من حبه أو زيته ؟ (منه أيضا)

ج : النصاب معتبر بالحب وهو خمسة أوسق وفي الوسق ستون صاعا وفي الصاع أربعة أمداد والمد ملء اليدين المتوسطتين لا مقبوضتين ولا مبسوطتين وهذا تقريب فيه تسهيل على الناس في هذا الامر العام

---

(١) ش : ج ١ ، م ٦ ، ص ٥٨ .
غرة رمضان ١٣٤٨ هـ ـــ فيفري ١٩٣٠ م .

ليس فيه تشديد بالنقير والقطمير والحبة والقمحة فلا تكن من المتنطعين.
والاخراج يكون من زيته الا أن يكون باعه حبا فيخرج من ثمنه
أو أهداه أو أكله حبا فيخرج من قيمته والقدر المخرج هو العشر
الا اذا كان سقاه بآلة فنصف العشر .

٦ — س : هل يجوز للمرأة أن تستعمل دواء يمنعها من الحمل لانها
ضعيفة بالمرض ؟ (منه أيضا)

ج : أصل هذه المسألة هو العزل أي عدم انزال الرجل المني في الفرج
وهذا كرهه بعض ، والمشهور في المذهب جوازه باذن المرأة الحرة لحقها
في الوطء والانزال من تمام لذتها وفي العزل منع للولادة فيقاس عليه
شرب الدواء لمنع الولادة فيجوز ما لا يلحق ضررا بالجسم اذا كان
باذن الزوج لان له حقاً في الولد واذا كانت ضعيفة عن الولادة فلا
تتوقف على اذنه .

٧ — س : هل يجوز للمرأة الحامل المطلقة ان تتزوج في عدتها
قبل وضع حملها اذا لم تجد ما ينفق عليها ؟

(سائل من جبل عياض)

ج : ان المواعدة في العدة حرام وكذلك النفقة عليها لانها في
حكم صريح المواعدة فكيف بالتزوج فهو حرام بلا خلاف لنص الآية .

تنبيـــه :

وقع لنا في السؤال الثاني في الجزء الماضي خطأ ، وصوابه ان من
كان خارجا عن فرسخ من قرية الجمعة لا تصح امامته الا اذا نوى اقامة
أربعة ايام صحاح سواءا كان بعيدا على مسافة القصر أو دونها[1] .

---

(١) ش : ج ٢ ، م ٦ ، ص ١٢٨ — ١٢٩
غرة شوال ١٣٤٨ هـ — مارس ١٩٣٠ م .

كــراء الاســواق

من الاجارة لا من المكس (١)

— ١ —

المكس في اللغة هو النقص ويطلق على ما يؤخذ من بائع السلعة ظلماً والمكاس هو الآخذ لذلك ، وجاء في شأنه من الوعيد حديث « **لا يدخل الجنة صاحب مكس** » رواه أبو داوود وغيره . وقد كانت الاسواق ملكاً مشاعا بين الناس يقفون فيها بسلعهم فكان أخذ فرد المكس منهم ظلماً لهم هذه هي حالة الاسواق في العهد القديم ، أما اليوم فان أوضاع الاسواق صارت على شكل آخر وذلك ان العامة الذين هم ملاك الاسواق وغيرها من الاماكن العامة يحتاجون في القيام بمصالحهم المدنية من تنظيف أقنية وانارة شوارع وتعبيد طرقات ونظام أمن ، وغير ذلك من المرافق التي تتولاها المجالس البلدية فكانت البلدية تتصرف في الاسواق التي هي ملك للعامة في مصلحة العامة وكانت العامة المالكة لتلك الاسواق قد نوبت عنها نوابا فوضت لهم أن يتصرفوا في ممتلكاتها لأجل مصلحتها فأولئك النواب الذين هم وكلاء العامة هم أعضاء البلدية يعرض السوق للكراء بالمزاد فيكتريه زيد أو عمر فهذا المكتري قد اكترى شيئا معينا بثمن معين من نواب مالكيه ، وهم العامة فقد وجدت أركان عقد الاجارة كلها فكان هذا العقد لذلك صحيحاً جائزاً .

---

(١) أعيد هذا المقال في ش : جـ ٣ ، م ٩ ، ص ١٥١ ــ ١٥٣ غرة ذي القعدة ١٣٥١ هـ ــ مارس ١٩٣٣ م .

ثم ان هذا المكتري يقف عند باب سوقه في أيام السوق ، فكل من يريد الدخول لمحله ــ وهو السوق الذي يملك منفعته بالعقد السابق ــ يدفع اجرة الانتفاع بالبقعة التي يقف فيها بسلعته مدة بقاء السوق في ذلك اليوم سواء أباع تلك السلعة أم لم يبعها ، فهذا أيضا عقد على الانتفاع بالبقعة مدة معلومة بثمن معلوم فهو صحيح جائز .

لا يقال ان المكتري لا يلاحظ منفعة البقعة وانما يلاحظ ما يأخذه عن ثمن المبيعات لاننا نرى ان البقعة هي المقصودة لا ثمن المبيعات بدليل انه يأخذ أجرة البقعة سواء أباع أم لم يبع وسواء أباع بالقليل أم بالكثير . ولا يقال ان المكتري للسوق يأخذ عن كل ما يأتي للبلد ولو كان بعيدا عن السوق لان كلاً منا فيمن يأخذ عن الموضع الذي اكتراه بحدوده وأما الأخذ في غير المكان المكتري بحدوده فهو غير داخل في كلامنا . وليس الفتوى فيه . ولا يقال ان العقد الاول فيه غرر لان مكتري السوق قد تساعده الأحوال فيربح وقد تعاكسه فيخسر لأننا نقول هذا الشأن في التجارة بيعاً واكتراء ، ولا يضر هذا اذا كان ثمن البيع والكراء معلوماً كما هو في موضوعنا ، ومثل هذا من اكترى فندقاً فانه قد يربح وقد يخسر ولا يقال انه فرق بين كراء بقعة لتقف فيه الدابة حتى يأتيها صاحبها ، ويكون صاحب البقعة حارساً لها ، وبين كراء البقعة لتقف فيها الدابة لتباع وصاحبها هو حارسها ، لاننا نقول المقصود هو الانتفاع بالبقعة منفعة صحيحة سواء كانت وضع سلع أو وقوف دابة لأي غرض كان ، اذ الجميع انتفع بالبقعة ، ودعوى الفرق بين ثمرات الانتفاع لاوجه لها . من هذا البيان يعلم اننا لا نريد تحليل المكس « عياذاً بالله » وانما نريد انه غير منطبق على كراء الأسواق واكتراء الانتفاع بالوقوف فيها يوم السوق ، وأن العقد الاول ما بين صاحب السوق ونواب العامة والثاني بين صاحب السوق ومريد الوقوف فيه بسلعته ، من عقود الاجارة الصحيحة الجائزة .

الدواء لمنع الحمل والعزل :

قيل لنا انكم أجزتم الدواء لمنع الحمل للمرض والضعف وعدم القدرة على الحمل قياساً على جواز العزل مع ان العلة وهي المرض والضعف وعدم القدرة على الحمل موجودة في المقيس دون المقيس عليه • فقلنا وجود هذه العلة في الفرع يجعله أحرى بالجواز من أصله • فسقط السؤال ولو لم تكن هذه العلة المذكورة لما كان فرق بين العزل واستعمال الدواء للامتناع من الحل • اللهم الا أن يكون من جهة ان الدواء قد يؤدي الى ضرر بدني أو الى منع الحمل بتاتاً وحينئذ يكون منع استعمال الدواء لسبب آخر ، غير أصل استعماله وهـذا ليس هو الواقع في السؤال الذي كان عليه الجواب [1] •

(١) ش : ج ٤ ، م ٦ ، ص ٢٣٤ ــ ٢٣٦
غرة ذي الحجة ١٣٤٨ هـ ــ ماي ١٩٣٠ م

كراء الاسواق

- ٢ -

تكلمنا على هذه المسألة في جزء رمضان سنة ١٣٤٨ ثم في جزء ذي الحجة من السنة نفسها وكنا نعلم ان المسألة نظرية تحتاج الى أخذ ورد بين أهل العلم وكنا ننشر ما يأتينا منهم لو أتانا منهم شيء كما هي عادتنا . واليوم بعد مضي ثلاث سنوات نشر الشيخ الحافظي مقالا في المسألة ونحن نرحب بكل بحث علمي مخلص نزيه غير اننا نقول لحضرة الشيخ ما أخّرك عن ابداء رأيك في المسألة الى اليوم والشهاب من أقرب الصحف اليك ، وقد نشر لك في هذه السنوات الثلاث عدة مقالات . وقد استشعرت هذا السؤال الذي يتبادر من نفسه الى ذهن كل أحد فقلت في مقالك هكذا : « قد كان لزاماً أن يرد عليها في الحال لو ان هذا العدد من المجلة موجود تحت يدي والآن حيث عثرت عليه بادرت الى ابطال هذا القول » سبحان الله ما هذا الجواب ياحضرة الاستاذ ؟ . ان الشهاب من يوم تأسيسه مازال يرسل هدية اليكم الى يومنا هذا فكيف يغيب عنكم الى اليوم ، دعنا من هذا فللناس عقول تعرف بها وتميز .

ولما كان كلامنا في المسألة قد نشر منذ مدة طويلة فاننا نعيد نشره لتعلم وجهة نظرنا ولينظر أهل العلم في المسألة وأقوال الطرفين فيها ويكتبوا ما يظهر لهم ونحن نتكفل بنشره .

واليك نص السؤال وجوابه من جزء رمضان سنة ١٣٤٨ هـ

١ ــ س : هل يجوز كراء الأسواق العامة ، وأخذ ثمن الدخول على أرباب المواشي والسلع ؟ للسائل من الميلية .

ج : المعروف ان هذه الاسواق هي ملك للبلدية واذا قلنا هي ملك للبلدية فهي ملك للعامة التي تنوب عنها البلدية فللبلدية ان تبيع منفعتها بثمن معلوم الى أجل معلوم فيجوز اكتراؤها منها كذلك . ويجوز للمكتري أن يكري الانتفاع بها كذلك فيجوز له أن يأخذ على كل داخل لماشيته أو سلعته أجراً في مقابلة انتفاع ذلك الداخل بالمكان الذي يحل فيه والذي هو مملوك المنفعة لصاحب السوق ونظيره من اكترى اصطبلا ثم يأخذ على أرباب المواشي أجرة بقاء مواشيهم في اصطبله مدة محدودة .

ش : ج ٣ ، م ٩ ، ص ١٥١
غرة ذي القعدة ١٣٥١ هـ ــ مارس ١٩٣٣ م .

قسم الفتوى

- ١ -

سؤال :

سادتي العلماء الاعلام ، حمال الشريعة ، ما قولكم حفظكم الله وأعلى مناركم في عرش من سكان ألبادية يحتوي على مائتين وخمس وثلاثين دارا « قرى صغيرة وديارا متفرقة » وستمائة رجل متوغلين في البداوة ذوي غلظة وفظاظة يخاف الراكب ان يجوب أصقاعهم نهارا.

رأى بعض المصلحين أن ينقذهم مما هم فيه ويستل منهم أخلاقا فاسدة وعوائد ممقوتة ولا سبيل الى ذلك الا ببناء مسجد يجمعهم ومعلم حاذق يعلمهم واجبات دينهم ويربيهم تربية شرعية اصلاحية ويغرس في نفوسهم روحاً وطنية وشهامة عربية وأخلاقاً دينية ، فعود الشيوخ وان عسى ، فان فنن الكهول لين وغصن الشباب لا زال رطباً ميادأً تهزه نسمات الصبا ولا يحرك عواطفه ريح السموم فأرشدهم الى بناء مسجد يصلون فيه ، ويتعلمون واجبات دينهم فأجاب كلهم بالسلب الا ان تصح وتقام فيه الجمعة ، ورأى ان لا بد من اجابة رغبتهم والا فانهم لا يرجعون عما هم فيه ولأن الجمعة هي التي تجمعهم ، فبنوا مسجد جمعة منذ عامين وأقاموا فيه درارا[1] ومدرسا قام فيهم بالوعظ والارشاد والدروس العلمية النافعة فحصلت النتيجة والحمد لله ، فقام بعض من يبغونها عوجا ويودون لو يبقى هذا العرش المسكين في غفلة

---

(١) كذا في الاصل ولعله : دارا .

وتيه من الجهالة ليأكل من لحمه ويشرب من دمه ويودع فيه سمومه القتالة وأمراضه الوبئة شأن من ينتسب الى الولاية المزعومة والدعاية الفارغة وحكم ببطلان الجمعة محتجا بأن المسجد لم يكن وسط القرية ولم ينعكس عليه دخانها •

المسجد وان لم يكن في وسط القرية حقيقة فهو فيها حكما لان ديار العرش وقراه مسترسلة وحائطة بالمسجد من كل جهة هذه أثر هذه واقرب دار اليه تبعد عنه بعشر مترات •

وما هي فائدة انعكاس الدخان اذا حصل المطلوب ، أو قرب الدار اذا لم يكن نافعا •

على ان قرب الدار ليس بنافع اذا لم يكن للمرء في الدين وازع

والمسجد لا ينفك مفعما بالمصلين مملوءة بهم رحابه ، والعرش ان حكمنا عليه ببطلان الجمعة تفرق شذر مذر ورجع الى سيرته الاولى وعاثت فيه يد الدجالين بالسلب والنهب •

أفيدونا الجواب أجركم الله لينزجر الكائد ويطمئن الرائد •

برج الغدير : مسترشد

الجواب :

ليس في اشتراط اتصال بنيان القرية حديث وانما ترجع المسألة المنظر ، وقد افتى بعض الفقهاء باشتراط الاتصال ولكن الامام الآبي تلميذ ابن عرفة بعد ما ذكر هذه الفتوى في شرحه على صحيح مسلم فقال : « والأظهر انهم ان كانوا من القرب بحيث يرتفق بعضهم ببعض في ضرورياتهم والدفع عن أنفسهم جمعوا لأنهم ــ وهم كذلك ــ بحكم القرية المتصلة البنيان » وما قاله الآبي نقطه الحطاب وسلمه وزاده

تأييدا بما نقل من جزم صاحب الطراز بعدم اشتراط الاتصال واستدلاله بأن بعض بيوت القرية قد يخرب فيحصل الانفصال ومع ذلك لا يضر ما لم يبعد ما بين البيوت ، وما كان المقصود من القرية هو الترافق والتعاون فاذا حصلا فأهل تلك البيوت قرية وان انفصلت بيوتها فهي في حكم الاتصال ، فالقرية الواقعة في السؤال اذا كانت بيوتها على هذا الوجه فانها تجمع ولا يضرها الانفصال .

عبد الحميد بن باديس

البصائر : س ١ العدد ٣٠ الجزائر يوم الجمعة ١٢ جمادى ١/١٣٥٥ هـ الموافق ليوم ٣١ جوليت ١٩٣٦ م ، الصفحة : ٦ العمود ٣ والاول من ص ٧ .

قسم الفتوى

- ٢ -

« كنا أعلنا حسب قرار المجلس الاداري للجمعية ان من أراد السؤال عن أي مسألة تهمه فليراجع فيها الاستاذ (عبد الحميد بن باديس) وهو يتولى الجواب عن سؤاله اما بالكتابة اليه رأسا أو بنشره على صفحات هذه الجريدة ، ولكن لا يزال كثير من الناس يوجهون أسئلتهم الينا ونحن بالطبع نحيلها الى الاستاذ ابن باديس ولذلك قد يتأخر الجواب عنها ، وقد جاءنا من الاستاذ الاجوبة الآتية عن أسئلة موجهة الينا ننشرها فيما يأتي »[1] :

سؤال عن حديث : يا بن آدم مرضت فلم تعدني •

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته •

وبعد فالمراد من الحديث تأكيد حقوق العباد على العباد بانها من حقوق الله وان الله آمر بها ومجاز عليها ووجه التأكيد هو جعل مايكون منهم من الطلب كأنه منه وانه حاضر عند الاحسان وذلك بحضور جزائه وسرعته والله أعلم •

قاله وكتبه خادم العلم وأهله :

عبد الحميد بن باديس

---

(١) ليس من كلام ابن باديس .

وسأل سائل عن جواز لباس الرجال مثل لباس النساء ، وظهورهم في زيهن على خشبة المسرح ، فكان الجواب من رئيس الجمعية كمايلي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ لعن الرجل يلبس لبس المرأة ، والمرأة تلبس لبس الرجل، رواه أبو داوود وغيره بسند رجال الصحاح ، وروى أصحاب السنن عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال : لعن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهون [1] من الرجال بالنساء ، وبهذه الاحاديث النبوية علم أن تزيي الرجل بزي المرأة الواضح من السؤال حرام لان اللعن لا يكون الا على المحرم .

عبد الحميد بن باديس

وسأل آخر هل اتصال البنيان في القرية شرط في صحة الجمعة فكان الجواب ما يأتي :

ليس في اشتراط اتصال بنيان القرية حديث انما مرجع المسألة للنظر وقد أفتى بعض الفقهاء باشتراط الاتصال ولكن الامام الآبي تلميذ ابن عرفة بعد ما ذكر هذه الفتوى في شرحه على صحيح مسلم قال : والأظهر انهم ان كانوا من القرب بحيث يرتفق بعضهم ببعض في ضرورياتهم والدفع عن أنفسهم جمعوا . لانهم ــ وهم كذلك ــ بحكم القرية المتصلة البنيان . وما قاله الآبي نقله الحطاب وسلمه وزاده تأييدا بما نقله من جزم صاحب الطراز بعدم اشتراط الاتصال واستدلاله بان بعض بيوت القرية قد يخرب فيحصل الانفصال ومع ذلك لا يضر ما لم يبعد ما بين البيوت ، ولما كان المقصود من القرية هو الترافق والتعاون فاذا حصلا فأهل تلك البيوت قرية وان انفصلت

(١) كذا في الاصل وصوابه : والمتشبهين .

بيوتها فهي في حكم الاتصال ، فالقرية الواقعة في السؤال اذا كانت بيوتها على هذا الوجه فانها تجمع ولا يضرها الانفصال .

عبد الحميد

وسأل أحد أهالي بلدة (ميشلي) عن أبناء المتجنسين بالجنسية الفرنسوية هل يجوز دفنهم في مقابر المسلمين فكان الجواب منه حسبما يلي :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

وبعد فابن (المطورني) اذا كان مكلفا ولم يعلم منه انكار ما صنع أبوه والبراءة منه فهو مثل أبيه لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين وان كان صغيرا فهو مسلم على فطرة الاسلام يدفن معنا ونصلي عليه .

قاله وكتبه خادم العلم وأهله

عبد الحميد بن باديس

الجزائر ٢٥ جمادى الاولى ١٣٥٤ هـ

البصائر : السنة الثانية العدد ٧٩ ، ص ٦ ع ١ و ٢ ، الجمعة ١٢ جمادى الثانية ١٣٥٦ هـ ــ ٢٠ اوت ١٩٣٧ م .

الفهارس العامة

الجزء الأول ـ المجلد الثاني

- الآيـات القرآنية
- الأحاديث النبوية
- الأشعـار
- رجال الأعلام
- الأمم والقبائل
- الأماكن والبلدان
- الكتب والمراجع والنشرات الدورية
- الموضوعـات

فهرس الآيات القرآنية

الجزء الاول

الصفحة

حرف الالف :

الصفحة

حرف البـاء :

حرف التـاء :

حرف الـراء :

حرف الفـاء :

الصفحة

حرف القـاف :

الصفحة

حرف الميم :

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

حرف اليـــاء :

الصفحة

فهرس الأحاديث النبوية

الجـزء الأول

الصفحة

حرف الألف :

الصفحة

حرف الهاء :

حرف الواو :

فهرس الاشعار[1]

الجزء الأول

(١) اثبتنا الاشعار المفردة والبيت الاول من القصيدة على الترتيب الابجدي .

الصفحة

فهرس الاعـلام

الجـزء الأول

حرف الألف :

حرف البـاء :

حرف التـاء :

حرف الحـاء :

حرف الخاء :

حرف الدال :

حرف الـذال :

حرف الراء :

حرف الزاي :

حرف السين :

حرف الشين :

حرف الصاد :

حرف الغـين :

حرف الكاف :

حرف النــون :

حرف الهــاء :

فهرس الأمم والقبائل

الجـزء الأول

فهرس الاماكن والبلدان

الجـزء الأول

حرف الالف :

حرف البــاء :

حرف التـاء :

حرف الجيـم :

حرف الحاء :

حرف الخـاء :

حرف الدال :

حرف الذال :

حرف الراء :

حرف الزاي :

حرف السين :

حرف الشين :

حرف الصاد :

حرف الطاء :

حرف العين :

حرف الغين :

حرف الفـــاء :

حرف القاف :

حرف النـــون :

حرف الهاء :

حرف الواو :

حرف الياء :

فهرس الكتب والمراجع والدوريات

الجـزء الأول

حرف الالف :

حرف البـــاء :

حرف التـــاء :

(١) لم تذكر اسماء الدوريات التي نشرت فيها مقالات ابن باديس المدونة في آخر كل مقالة وانما أثبتنا هنا ما ورد في الاصل فقط .

حرف الصـــاد :

حرف الطـاء :

حرف العـين :

حرف القــاف :

حرف الـلام :

حرف الميم :

حرف النون :

حرف الهـاء :

فهرس الموضوعات

الجـزء الأول

الصفحـــة

الصفحـة

الصفحـــة

ثمار العقول والمطابع :

في سبيل الدعوة والارشاد :

رسالة : جواب سؤال عن سوء مقال :

الصفحـــة

الدروس العلمية الاسلامية بقسنطينة :

الصفحـــة

الصفحـــة

الصفحة

الصفحة

الصفحـة

الصفحة

الصفحة

الصفحـة

الصفحـــة

الفهـارس العامة

الفهارس العامة

الجزء الثاني ـ المجلد الثاني

فهرس الآيات القرآنية

الجزء الثاني

الصفحة

حرف الألف :

الصفحة

حرف البـاء :

حرف التـاء :

حرف الجيـم :

حرف الحـاء :

الصفحة

الصفحـــة

الصفحـــة

حرف الواو :

الصفحــة

فهرس الأحاديث النبوية

الجـزء الثـاني

الصفحـة

حرف الألف :

الصفحة

الصفحـة

حرف الـلام :

الصفحة

حرف الميم :

حرف النون :

حرف الواو :

الصفحة

فهرس الأشعار

الجزء الثاني

فهرس الاعــلام

الجــزء الثــاني

حرف الألف :

حرف البـــاء :

حرف التـاء :

حرف الثـاء :

حرف الجيم :

حرف الحـاء :

حرف الـذال :

حرف الراء :

حرف الزاي :

حرف السين :

حرف الشين :

حرف الصاد :

حرف الضاد :

حرف الطــاء :

حرف الظاء :

حرف العين :

حرف الغـين :

حرف الفـاء :

حرف القاف :

حرف الكاف :

حرف اللام :

حرف الميم :

حرف النــون :

حرف الهـاء :

حرف الواو :

حرف اليـاء :

فهرس الأمم والقبائل

الجـزء الثـاني

فهرس الاماكن والبلدان

الجـزء الثـاني

حرف الالف :

حرف البـاء :

حرف التــاء :

حرف الجيـم :

حرف الحـاء :

حرف الخـاء :

حرف الدال :

حرف الـراء :

حرف الـزاي :

حرف السين :

حرف الشين :

حرف الصاد :

حرف الطـاء :

حرف الكـــاف :

حرف الـــلام :

حرف النـون :

حرف الهـاء :

حرف الواو :

حرف اليــاء :

فهرس الكتب والمراجع والدوريات

الجـزء الثـاني

حرف الالف :

حرف البــاء :

حرف التــاء :

حرف الجيم :

حرف الحاء :

حرف الخـاء :

حرف الـدال :

حرف الراء :

حرف الزاي :

حرف السين :

حرف الشين :

حرف الصاد :

حرف الضاد :

حرف الطـاء :

حرف العـين :

حرف الفـاء :

حرف القـاف :

حرف الكـاف :

حرف الـلام :

حرف الميـم :

فهرس الموضوعات

الجـزء الثـاني

الصفحـة

الصفحـــة

الصفحة

الصفحـــة

الصفحة

الصفحة

الصفحـــة

الصفحـــة

الصفحـــة

الصفحة

الصفحــة

تمت بحمد الله طباعة المجلدات الأربعة في طبعتها الأولى من كتـــاب ((**آثـــار ابن باديس**)) ، للعلامة الثائر **الاستاذ عبد الحميد بن باديس** طيب الله ثراه . وقد شارفت هذه الطبعة على نهايتها في اليوم الأول من ربيع الأول عام ١٣٨٨ هجرية المصادف للثامن والعشرين من ماي١٩٦٨ميلادية .